



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

التناسق الموضوعي في سورة السجدة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

عبد الرحمن أحمد حسن نصر

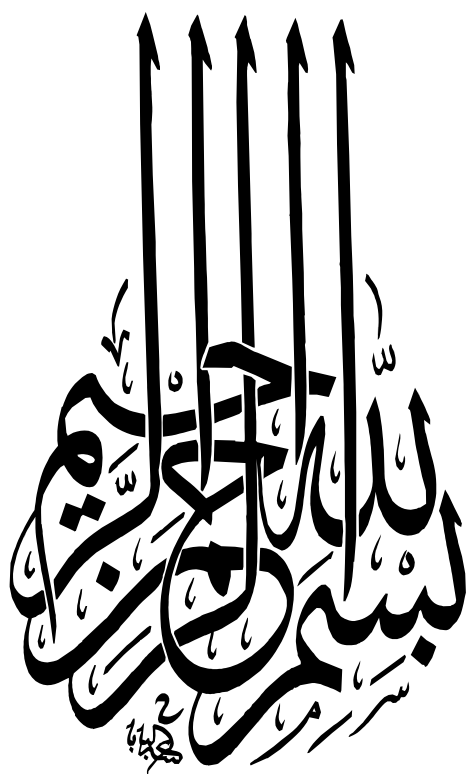
الرقم الجامعي (٤٣٠٨٨٠٤١)

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور:

عثمان المهدي صديق حاج بلال

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: التناسق الموضوعي في سورة السجدة.

اسم الباحث: عبد الرحمن أحمد حسن نصر.

الدرجة: مقدّمة لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة.

تم تقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

فالمقدمة: تحتوي على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهج البحث والدراسات

السابقة وخطة البحث.

والتمهيد: يحتوي على تعريف التناسق الموضوعي في السورة.

وأما البابين فالباب الأول: مقدمات تتعلق بالسورة وهي كالأتي: اسم السورة وفضلها وعدد

آياتها وتاريخ نزولها ومكي السورة ومدنيها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها واختصاصها بما

اختصت به وأسباب نزول السورة ومقاصدها.

أما الباب الثاني: فما احتوت عليه السورة من داخلها وهي كالأتي: مناسبة اسم السورة

لموضوعها الكلي ومناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها ومناسبة فاتحة السورة لخاتمها والتناسق بين

موضوعات السورة وتفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

أما الخاتمة فقد خلصت فيها إلى عدة نتائج ومن أهمها مايلي:

- إنَّ التناسق الموضوعي في السورة: هو تسلسل المواضيع الواردة في السورة الواحدة،

وانتظامها في نسق واحد، وذلك بترابط ألفاظ الآية وتناسب معانيها بحيث تكون كل جملة وآية

أخذة بعنق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعض، فلا يكون شيء منها خارج السياق لينتج

عن ذلك موضوعٌ رئيسٌ أو موضوعاتٌ رئيسةٌ تدور حولها السورة.

- إنَّ في السورة تناسقًا واضحًا بين موضوعاتها فهي كلها تمضي في سياق متآلف،

وبأسلوب متناسق ومتربط يظهر للناظر المتأمل المتدبرّ علوَّ القرآن ومكانته كأنه العقد المنتظم

في تسلسل موضوعاته وترتيب آياته ونسق ألفاظه وجمله. والله الموفق

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. الباحث

Abstract

The title of this thesis is: " The objective co-ordination in Surat prostration.

Researcher Name: Abdul Rahman Ahmad Hassan Nasr.

Degree: a letter of introduction to get a master's degree from the Quran and Sunnah.

This message has been divided into an introduction and pave the door and a conclusion.

The Introduction : containing the importance of the topic and the reasons for his choice , objectives , methodology, and previous studies and research plan.

The boot : Contains the definition of thematic consistency in Sura.

The first section Chapters : Introductions surah relates are as follows : Name of Sura and virtues and the number of verses and the history of descent and Makki Sura and Mdnyha and suitability for the before and after and what is unique to its jurisdiction , including the reasons for the descent of the sura and purposes.

Part II : What is it contained within the sura of which are as follows : Sura suitable name for the overall theme and is suitable for light Sura themes and suitable for light Sura conclusion and consistency between the subjects and the interpretation of Sura Sura in light of the substantive consistency.

The conclusion to which concluded several results is the most important include:

-The consistency substantive Sura : is the sequence of the topics contained in Sura one , and regularity in the pattern of one , and that the interdependence of the words of the verse and fit their meanings so that every sentence and verse are neck other that dovetails with each other , it is not something of which out of context to produce a Multi Chairman or President of the themes revolve around the sura.

- The Sura in consistent and clear between the subjects they are all moving in the context of monolithic , and in a manner consistent and coherent show the headmaster meditator minded, altitude and position the Koran like a regular contract in the sequence of topics and the order of verses and coordinated his words and sentence.

God bless

May Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions.

Researcher

شكر وتقدير

أحمد ربي وأشكره الذي أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة، كما أشكر والديَّ العزيزين اللذين سهَّلا لي كل الطرق لبلوغ طريق العلم، وبدلا الغالي والنفيس لإسعادي، فأسأل الله العظيم أن يسهِّل لهما الطريق الموصل إلى الجنَّة وأن يبارك في أعمالهما وأعمارهما وأن يمدَّهما بالصحة والعافية، وأن يرزقني برَّهما حتى الممات.

والشكر موصول لفضيلة شيخني الدكتور: عثمان المهدي صدِّيق حاج بلال المشرف على هذه الرسالة، والذي سعدت بإشرافه عليّ فقد استفدت من علمه وكرم خلقه وتواضعه ونصائحه وتوجيهاته وحرصه على إخراج الرسالة بأحسن صورة، فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يبارك له في علمه وأهله وماله وعمره.

كما أشكر زوجي أم أحمد التي أعانتني في هذا البحث وهيات لي الوقت للكتابة، وقد استقطعتُ جزءاً من وقتها، فأطلب منها العفو وأشكرها على صبرها ومساعدتها.

كما أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وعلى رأسها عميدها فضيلة الدكتور: محمد السرحاني والشكر موصول لرئيس قسم الكتاب والسنة ولمشايخي الأفاضل وأساتذتي العلماء في قسم الكتاب والسنة الذين تتلمذت على أيديهم ونهلت من معين علمهم، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما أشكر المناقشين الفاضلين الأستاذ الدكتور: جمال مصطفى النجار والأستاذ الدكتور: أحمد نافع المورعي على تفضلهما وتشمهما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وتقويم هذا العمل فالله أسأل الاستفادة مما سيتفضلان به عليّ من توجيهات موفقة وآراء سديدة تثري هذا العمل.

والشكر موصول لكل من أعانني في أمر هذا البحث بفائدة علمية أو مساهمة مادية أو رأي أو توجيه أو مشورة أو تصحيح أو تعديل أو دعاء بظهر الغيب وفقهم الله جميعاً.

وهذا الجهد الذي قمت به إنما هو - بعد توفيق الله تعالى ثم توجيه المشرف على الرسالة، وتوجيه كل من استشرته من المشايخ والزملاء - جهد بشري قد يعتريه الخطأ أو النقص أو القصور أو النسيان كغيره من أعمال البشر، وحسي أني بذلت فيه وسعي لإخراجه بالصورة التي أحسب أنها مرضية، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ وقصور فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

المقدمة

أولاً: أهمية الموضوع

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

ثالثاً: أهداف البحث

رابعاً: الدراسات السابقة

خامساً: منهج البحث

سادساً: خطة البحث

المقدمة

الحمد لله نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ من أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه من سَعَوْا في حمل الهداية القرآنية إلى البشرية جمعاء فكان سعيهم سعيًا مشكورًا وذنوبهم ذنبًا مغفورًا. أما بعد:

فإن كتاب الله هو النور المبين، وهو الصراط المستقيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، اشتمل هذا الكتاب على الهداية للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، فانتفع بهذه الهداية المؤمنون، وضلَّ عنها غيرهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، وقال في آية أخرى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال كذلك: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(٤). فبتحقيق الهداية القرآنية والانتفاع بها تكون سعادة البشرية كلها في دنياها وأخرها، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٦)، وللانتفاع بهذه الهداية

(١) - سورة البقرة، رقم الآية: (١٨٥).

(٢) - سورة البقرة.

(٣) - سورة يونس.

(٤) - سورة النحل.

(٥) - سورة النحل.

(٦) - سورة الإسراء، رقم الآية: (٩).

والوصول إليها لا بد من تدبر القرآن والعمل بما فيه، وممّا يعين على تدبر القرآن فهم معانيه، ومما يساعد على فهم معاني هذا الكتاب العزيز معرفة تفسيره، ولعلّ تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي مما يعين على فهم معاني آيات السورة بوضوح ويسر، وذلك بإبراز موضوعات السورة والتناسق بينها بعد إظهار التناسب بين آياتها وجملها وصولاً إلى استخراج الموضوع الكلي الذي تدور عليه آيات السورة.

فالتناسق الموضوعي في السورة يوضح ترابط أجزاء السورة بعضها ببعض، ويبيّن تكاملها من كل وجه، ويبرز تقارب موضوعاتها، ويظهر مقاصد السورة وأهدافها، وهذه النتائج تثمر بدورها للوصول إلى الهداية القرآنية.

ومن هنا نعرف أهمية التناسق الموضوعي في السورة؛ إذ هو طريق موصل إلى إيضاح المقصد الرئيس في السورة، وهذا المقصد الرئيس يشتمل على الهداية القرآنية، وبالوصول للهداية القرآنية في السور القرآنية والعمل بها من شأنه أن يحقق السعادة والفلاح للبشرية في الدنيا والآخرة.

كما أنّ التناسق الموضوعي في السورة والتناسب بين آياتها يظهر للناظر المتأمل المتدبّر علوّ القرآن ومكانته كأنه العقد المنتظم في تسلسل موضوعاته وترتيب آياته؛ لذلك أردت أن أكتب في بحث يتناول التناسق الموضوعي في سورة السجدة؛ لأبين ترابط وتناسق موضوعاتها وتناسب آياتها موضعاً المقصد الرئيس للسورة الكريمة ووصولاً إلى استخراج الهداية القرآنية، والتي تقود إلى المبتغى الأكبر وهو الفوز والفلاح في الدارين.

أولاً: أهمية الموضوع

١ / إظهار الإعجاز القرآني في هذا النوع من التفسير والذي اشتملت عليه آيات السورة، ويتمثل في الإعجاز اللغوي والبياني والعقدي وذلك بإظهار التناسب بين ألفاظ السورة وجملها وآياتها وإظهار التناسق بين موضوعاتها واستخراج المقصد الرئيس الذي تدور عليه آيات السورة.

٢ / إبراز الهداية القرآنية للسورة الكريمة من خلال دراسة التناسق بين موضوعات السورة والتناسب بين آياتها، وفي إبراز الهداية القرآنية والانتفاع بها صلاح حياة الناس؛ لأنَّ فيها العلاج لمشاكلهم وقضاياهم، وتصحيحاً لسير العباد إلى الله تعالى ممَّا يضمن لهم السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة.

٣ / التأكيد على وجود التناسق الموضوعي في السورة، ويتحقق ذلك من خلال الدراسة التطبيقية لموضوعات السورة وإبراز الترابط بينها.

٤ / إظهار جمال هذا النوع من التفسير الذي يربط بين آيات السورة وموضوعاتها.

٥ / الردُّ على المستشرقين الذين يزعمون أنَّ هناك تكراراً لبعض الموضوعات في السورة كقضية البعث والرسالة والتوحيد مثلاً، وتصحيح هذا المفهوم الخاطئ، وبيان أنَّ تكرار الموضوع الواحد في أكثر من سورة له مقصد ومغزى، فكل سورة لها مقصد تختلف به عن سورة أخرى.

٦ / إنَّ معرفة المناسبات بين آيات السورة والتناسق بين موضوعاتها يعين على فهم المعنى العام لآيات السورة.

٧ / إنَّ فهم آيات السورة في ضوء الترابط والتناسق الموضوعي فيها يعطي شمولية في الفكر والنظر، حيث تظهر دلالة هذا الفهم عند إرادة التطبيق الواقعي لمنهج القرآن الكريم في حياة الناس، وعند تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تعارف الناس عليها وتشبَّثوا بها دون الاستهداء بنصوص الوحي.

٨ / الوصول إلى الغرض الذي أنزل من أجله القرآن وهو التدبر والاتعاظ.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

- ١ / قناعتي بالحاجة الماسّة لمثل هذا الموضوع وحتى يخرج إلى حيز الوجود؛ ليكون في متناول طلبة العلم والعلماء والباحثين.
- ٢ / علمي اليقيني أنّ هذا الموضوع لم يبحث على شكل مخصوص بنفس الدراسة التي سيكون البحث عليها بمشيئة الله.
- ٣ / التمكن من تكوين ملكة علمية أستطيع من خلالها أن أستخرج درر السور القرآنية وجواهرها.
- ٤ / الاشتغال بكتاب الله تعالى وخدمته.
- ٥ / التعرف على مدلولات كلام الله في السورة، والاستفادة منها في التطبيق العملي في حياتي.

أمّا أسباب اختيار سورة السجدة فهي على النحو التالي:

- ١ / ما ورد في فضلها حيث كان ﷺ يحرص على قراءة سورة السجدة في صلاة الفجر في الركعة الأولى من يوم الجمعة^(١)، وأنّه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأها^(٢).
- ٢ / اشتمال هذه السورة الكريمة على قضايا عقدية مهمة مثل الرسالة والتوحيد

(١) - لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه "أنّ النبي ﷺ: كان يقرأ في الصباح يوم الجمعة بألم تنزيل في الركعة الأولى وفي الثانية هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً"، صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - بيروت، ١٣٧٤هـ، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة: (٥٩٩/٢)، رقم: (٨٨٠).

(٢) - لما روي عن جابر رضي الله عنه "أنّ النبي ﷺ: كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك"، مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ، مسند جابر بن عبد الله: (٢٦/٢٣)، رقم: (١٤٦٥٩)، سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك: (١٦٥/٥)، رقم: (٢٨٩٢)، والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (١٣٠/٢)، رقم: (٥٨٥).

والبعث، وهذه الأمور الثلاثة من الأسس التي يعتمد عليها المسلم الموحد، وهي من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة.

٣/ احتواء هذه السورة العظيمة على أدلة عقلية تحاطب العقول السليمة، والقلوب الواعية، والغرض من هذه الأدلة هو الوصول بالنفس البشرية إلى الحقيقة التي لا تقبل مجالاً للشك والريب.

٤/ عرض هذه السورة الكريمة صفات جليلة وحميدة للمؤمنين الأبرار وحسن مآلهم يوم القيامة، والغرض من ذكر هذه الصفات وحسن الجزاء السير على خطاهم والافتداء بمناقبهم ومحاسنهم حتى نظفر بالنعيم الذي نالوه.

٥/ ذكرها لصفات الكافرين والجاحدين وسوء مصيرهم يوم الدين، والغرض من ذكر هذه الصفات وسوء مصير أصحابها الابتعاد عن مساوئ أخلاقهم وسوء صفاتهم؛ حتى لا نتعرض لمثل ما تعرضوا له، فالسعيد من اتَّعظ بغيره.

٦/ عدم وجود بحث ورسالة علمية تناولت الموضوع الذي أنا بصددده وهو التناسق الموضوعي في سورة السجدة.

ثالثاً: أهداف البحث

- ١/ إظهار التناسق الموضوعي في سورة السجدة من خلال البحث العلمي.
- ٢/ الوصول إلى الهدايات القرآنية في سورة السجدة والاستفادة منها في الواقع.
- ٣/ إبراز بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم في السورة من خلال التناسق الموضوعي في السورة، والوقوف على الارتباط الوثيق بين موضوعات السورة وآياتها.

رابعًا: الدراسات السابقة

قد اعتنى جمع من المفسرين بالتناسب بين الآيات والسور؛ لعلمهم بأهمية هذا الموضوع، وإظهارًا لإعجاز القرآن الكريم وحسن ترتيبه وترابط أجزائه وآياته وسوره، ولعلَّ أول من أشار في تفسيره لذكر المناسبات بين الآيات والسور الإمام فخر الدين الرازي^(١)، فهو في سورة السجدة يشير إلى ذكر المناسبة بين الآيات كما أنه يربط بينها وبين سورة لقمان وبينها وبين سورة الأحزاب، كذلك يذكر الموضوعات التي تحدثت عنها السورة، ويربط بين فاتحة السورة وخاتمتها، كما أنه يظهر التناسق بين بعض موضوعات السورة من غير توسع.

ويمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى دراسات قديمة ودراسات معاصرة:

أولًا: الدراسات القديمة:

من المؤلفات المهمة في التناسب بين الآيات والسور:

١- كتاب البرهان في تناسب سور القرآن للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي^(٢)، وهو أول من أفرد علم المناسبة بمؤلف والكتاب وإن كان في تناسب السور - كما دلَّ عليه عنوانه - إلا أنَّ المؤلف ربما تعرَّض للتناسب بين الآيات وبيان الوحدة الموضوعية في السورة. أمَّا بالنسبة لسورة السجدة فقد ذكر المؤلف المناسبة بينها وبين سورة لقمان، وقام بالربط بين آيات من سورة السجدة وآيات من سورة لقمان، ويبيِّن أنَّ بعض الآيات التي في سورة السجدة هي موضحة وشارحة لبعض الآيات التي في سورة لقمان، ثم ذكر الارتباط بين أول سورة السجدة ووسطها وخاتمتها بإيجاز شديد.

(١) - هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، مات يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين إشراف الشيخ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ: (٥٠٠/٢١).

(٢) - هو الحافظ النحوي أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الأندلسي، علامة عصره في الحديث والقراءة، كان ثقة قائمًا بالمعروف والنهي عن المنكر، داعمًا لأهل البدع، وله مع ملوك عصره وقائع، وكان معظمًا عند الخاصة والعامة، توفي سنة ٧٠٨هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة - بيروت: (٣٣/١).

٢- كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي^(١)، وهذا الكتاب جليل القدر ذكر فيه مصنفه مناسبات ترتيب السور والآيات، وأطال التدبر في مناسبات الآيات والسور، وأمعن التفكير في آيات الكتاب الحكيم، فقد ذكر المصنف في كتابه الربط بين جميع أجزاء القرآن، وبين كل آية وآية، وكل سورة وسورة، فهو بحق قد جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير منه العقول، لكن استُدرك عليه تكلفه أحياناً في إظهار المناسبة بين الآيات أو بين السور.

أمّا بالنسبة لسورة السجدة فقد ذكر المؤلف مقصود هذه السورة وهو: "إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار"، وذكر أنّ اسم السورة مطابق لآياتها حيث دلت عموم الآيات على الإخبات وترك الاستكبار، ثم ذكر مناسبة السورة لما قبلها، ثم تابع تفسير الآيات على طريقته في الربط بين الآيات، وفي ختام السورة ذكر مناسبة خاتمتها لمقدمتها، فالمؤلف بطريقته المذكورة لم يتعرض لتقسيم آيات السورة إلى موضوعات، وبالتالي لم يذكر التناسق بين موضوعات السورة.

٣- قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي^(٢) والذي يشير إليه في الإتيقان بـ"أسرار التنزيل"، وموضوعه كل ما يختص بالنظم القرآني، وقد اعتنى فيه مؤلفه بعلم المناسبات سواء المناسبات بين السور أو بين الآيات أو حتى في الآية الواحدة حيث بيّن وجه الربط بين أجزائها، لكنّ الموجود من هذا الكتاب ينتهي عند الآية (٩٢) من سورة التوبة، وللسيوطي كتاب آخر وهو "تناسق الدرر في تناسب السور"، وقد طبع بعنوان أسرار ترتيب القرآن.

(١) - هو الإمام الكبير برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق، ولد تقريباً سنة ٨٠٩هـ بقرية من عمل البقاع ونشأ بها، برع في جميع العلوم وفاق الأقران، توفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني: (١٩/١).

(٢) - هو الإمام المحافظ عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، نشأ يتيمًا، واعتزل الناس في الأربعين من عمره، فانقطع للعبادة واشتغل بالتأليف، توفي سنة ٩١١هـ، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ: (٧٤/١٠).

وقد ذكر المؤلف في كتابه المذكور وجه اتصال سورة السجدة بما قبلها وبما بعدها، ولم يذكر المؤلف المناسبة بين آيات سورة السجدة ولا الموضوعات التي تطرقت إليها السورة، وبالتالي لم يشر إلى التناسق الموضوعي في السورة؛ لأنَّ هذا الكتاب مختصر جدًّا، ووظيفته لا تتعدى المناسبة بين السورة بما قبلها وبما بعدها، وذلك في أسطر قليلة جدًّا.

ثانيًا: الدراسات المعاصرة:

ومن أهمها وأقربها صلة بالبحث:

١- كتاب في ظلال القرآن للمفكر الإسلامي سيد قطب^(١): لا شك أنَّ هذا الكتاب قد تميَّز في إظهار موضوعات السورة، والتناسق الفني في صياغة آيات السورة صياغة أدبية راقية، كما امتاز في عرضه للموضوعات القرآنية بصياغتها بما يظهر الاعتزاز بالإسلام وصلاحيته للتطبيق في الحياة المعاصرة وفي كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد التزم المؤلف في كتابه هذا بأنَّ يقدم بين يدي السورة بمقدمة تتحدث عن أغراضها ومحورها الرئيس، وبعض القضايا المهمة التي تشير إليها الآيات مما له مساس بواقع الناس المعاصر، ثم يعرض السورة كلها عرضًا إجماليًّا، ثم يقسِّمها إلى مقاطع يتحدث عن كل مقطع بقدر من التفصيل.

وعند النظر في ما كتبه سيد قطب في سورة السجدة تبين لي ما يلي:

أولًا: ذكر في مقدمة السورة المحور الرئيس لها وهو: "قضية الدينونة لله الأحد الفرد الصمد، والتصديق برسالة محمد ﷺ، والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء"، واستطرد في المقدمة فعرض السورة كلها عرضًا إجماليًّا.

ثانيًا: قسَّم السورة إلى مقاطع، يتحدث عن كل مقطع بقدر من التفصيل.

(١) - هو المفكر الإسلامي المصري سيد قطب بن إبراهيم، تخرج من كلية دار العلوم، كتبه كثيرة مطبوعة متداولة، من أشهرها: " في ظلال القرآن"، "والمعالم في الطريق"، قتل شتقًا سنة ١٣٨٧هـ، انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ: (٣/١٤٧)، (١٤٨).

ثالثًا: من خلال حديثه عن السورة لم يتطرق إلى التناسق بين موضوعات السورة ولا التناسب بين آياتها.

٢- التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من الباحثين والمختصين، إشراف أ.د. مصطفى مسلم^(١) جامعة الشارقة ١٤٣١هـ.

وقد اعتمد منهج البحث على تقسيم التفسير الموضوعي للسورة إلى ثلاثة أقسام:
الأول: بين يدي السورة، ومما تضمّن هذا القسم ذكر محور السورة والمناسبات.
الثاني: التفسير الإجمالي للسورة.

الثالث: الهدايات المستنبطة من المقطع.

ومن خلال الاطلاع على تفسير سورة السجدة في هذا الكتاب تبين لي ما يلي:
أولاً: يلاحظ أنّ هناك فصلاً واضحاً بين التفسير وذكر المناسبات، حيث إنّ القارئ لا يشعر بالتناسب بين الآيات ولا بالتناسق الموضوعي في السورة.

ثانياً: قال عند الحديث عن محور السورة: "بيان عظمة الله تعالى في صفاته، وكمال قدرته في الخلق والأمر والبعث والجزاء"^(٢)، وعند قراءة تفسير السورة كاملاً في هذا الكتاب لم يظهر جلياً ذلك الموضوع الذي أشار إليه نخبة من الباحثين.

ثالثاً: عدم التطرق إلى بيان مقاصد السور وأهدافها بشكل أوسع.

رابعاً: قُسمت السورة في "التفسير الموضوعي لسور القرآن" إلى ثمانية موضوعات بينما قُسمت السورة - في بحثي - إلى ثلاثة موضوعات، وهذا هو الأنسب؛ لأنه يظهر بهذه الطريقة سهولة التناسب بين آيات السورة التي تندرج تحت مواضيع قليلة ومتقاربة، وسهولة كذلك إظهار التناسق بين موضوعات السورة القليلة، ويظهر كذلك سرعة الوصول إلى المحور الرئيس للسورة وبشكل واضح.

(١)- هو: أ.د. مصطفى مسلم محمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، درّس في جامعة الإمام بالرياض وفي جامعة الشارقة بالإمارات، من المهتمين بالتفسير الموضوعي وله فيه مؤلفات، يعمل حالياً خبيراً في مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، [موقع ملتقى أهل التفسير].

(٢)- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ: (٤٩/٦).

خامسًا: ختامًا أحب أن أشير إلى أن التناسق الموضوعي في السورة القرآنية شيءٌ والتفسير الموضوعي شيءٌ آخر.

٣- الرسالة العلمية في سورة السجدة بعنوان: "التفسير بالمأثور لسورة السجدة جمع ودراسة مع بيان الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة"^(١)، وعند النظر في هذه الرسالة العلمية تبين لي ما يلي:

أولًا: بدأ الباحث رسالته بتمهيد تعرّض فيه لتعريف التفسير وذكر أقسامه وأحكامه وشروطه وما يتعلق بذلك.

ثانيًا: قدّم بين يدي سورة السجدة بمقدمة ذكر فيها فضل السورة وعدد آياتها وهل مكية أم مدنية وبقية المقدمات التي تكون بين يدي السورة.

ثالثًا: قسّم الباحث بحثه إلى قسمين قسّم في تفسير آيات سورة السجدة بالتفسير المأثور، وقسّم في بيان الوحدة الموضوعية للسورة.

رابعًا: استغرق تفسير آيات سورة السجدة بالتفسير المأثور أكثر البحث بينما كان بيان الوحدة الموضوعية في السورة في جزء قليل من البحث.

خامسًا: عند الحديث عن الوحدة الموضوعية في السورة يرى الباحث أن موضوع سورة السجدة هو موضوع السور المكية الرسالة والتوحيد والبعث إلا أن البعث قد استغرق الحديث عنه معظم آيات السورة.

وعند المقارنة بين رسالتي ورسالة الدكتور: محمد كمال شعبان أبو حسين ظهر لي ما يلي:

أولًا: رسالة الباحث كانت تعتمد في أغلبها على تفسير سورة السجدة بالمأثور بينما رسالتي قائمة على إظهار موضوعات السورة والتناسق بينها.

ثانيًا: في القسم الثاني من رسالة الباحث كان الغرض منه بيان الوحدة الموضوعية في

(١) - رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بجامعة الأزهر، للباحث الدكتور: محمد كمال شعبان أبو حسين، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية - طنطا، ١٤١٨ هـ.

السورة، ولا بد من التفريق بين الوحدة الموضوعية والتناسق الموضوعي، فالوحدة الموضوعية شيء والتناسق الموضوعي شيء آخر، لكن قد يكون بينهما علاقة من جهة أن التناسق بين موضوعات السورة طريق موصل إلى إظهار الوحدة الموضوعية والمحور الرئيس في السورة.

ثالثاً: لم يتضح الموضوع الكلي عند الباحث بشكل واضح؛ لأنّ الموضوع الذي يراه عام يشترك فيه أكثر السور المكية.

خامساً: منهج البحث

سلكت في هذه الرسالة المنهج التحليلي والاستقرائي وذلك بالاعتماد على كتب التفسير التي تفسر مفردات السورة وجملها وآياتها، وتذكر التناسب بين آيات السورة وبين جمل ومفردات الآية الواحدة ثم بعد الاستقراء والاطّلاع أستنبط ممّا كتبه المفسرون في تفاسيرهم وأوظفه في إظهار موضوعات السورة ومحاور كل موضوع ثم أبرز التناسق بين موضوعات السورة والترابط بين محاور كل موضوع وصولاً إلى استخراج الموضوع الكلي للسورة.

وقد سرت في كتابة البحث في الدراسة التطبيقية على المنهج التالي:

١- اطلّعت على كتب التفسير المختلفة، واخترت منها ما يؤدي إلى تناسب آيات السورة وتناسق موضوعاتها.

٢- قمت بتقسيم السورة إلى مقدمة وثلاثة موضوعات، وجعلتها على مباحث، وأظهرت التناسق بينها، وقسمت الموضوعات إلى محاور، وجعلتها على مطالب، وقمت بالربط بين محاور كل موضوع، ثم ذكرت المناسبة بين كل موضوع من موضوعات السورة وبين المحور الرئيس فيها.

٣- قمت بذكر المناسبة بين آيات السورة وجمل الآية الواحدة مظهرًا كل محور من محاور السورة، وموجدًا العلاقة المناسبة بين هذه المحاور وبين المحور الرئيس للسورة واسمها.

٤- ذكرت بعض اللطائف البلاغية التي يظهر معها التناسب بين كلمات وجمل الآية أو بين الآيات بعضها ببعض.

٥- عند اختلاف المفسرين أشير إلى القول الذي يتفق مع التناسق الموضوعي للآيات، وكثيراً ما يكون هو القول الراجح.

إضافة إلى هذا فقد قمت بالخطوات التالية في كتابة البحث من بدايته إلى منتهاه:

١- قمت بشرح الكلمات الغريبة.

٢- ترجمت لجميع الأعلام الواردة في الرسالة عدا الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٣- كتبت الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني برواية حفص^(١) عن عاصم^(٢) سواء كانت في أصل الرسالة أو في هامشها ما عدا آيات سورة السجدة فأذكرها دون ترقيم؛ لأنه قد سبق كتابتها في بداية كل مبحث برسم المصحف مع الترقيم.

٤- ذكرت اسم السورة ورقم الآية - غير آيات سورة السجدة - في الهوامش السفلية.

٥- حرّجت الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بذكره، وما كان في غيرهما فقد حرصت على بيان درجته، مكثفياً بكلام المحققين من السلف أو من المعاصرين، وإن لم أجد أحداً من العلماء تكلم فيه فإني أجتهد - من خلال قواعد التصحيح والتضعيف - في بيان درجته.

٦- وثّقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية ولا أنقل بواسطة إلا إذا تعذر عليّ الأصل.

٧- طريقتي في كتابة المصادر في الهامش: أبدأ باسم الكتاب ثم اسم المؤلف ثم البيانات الكاملة للكتاب ثم الجزء والصفحة.

٨- التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء ومؤلفاتهم.

٩- التزمت بطبعة واحدة لكل كتاب.

١٠- عملت فهرس عامة في نهاية الرسالة تسهل الوصول إلى محتوياتها.

١١- رتبت المصادر والمراجع مفهرسة على حروف المعجم حسب أول حرف من المصدر أو

المرجع.

(١) - هو الإمام المقرئ أبو عمر حفص بن سليمان الدوري مولاهم الغاضري الكوفي، أعلم الناس بقراءة عاصم، لا يكتب حديثه، توفي سنة ١٨٠هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، ص: (٨٤)، الطبقة الرابعة، رقم: (١٥).

(٢) - هو الإمام المقرئ أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي، أحد السبعة القراء، هو في الحديث صدوق في حفظه شيء، توفي سنة ١٢٨هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (٥١)، الطبقة الثالثة، رقم: (١٦).

سادسًا: خطة البحث

ويشتمل البحث على مقدمة وباين وخاتمة:

المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج البحث.

الباب الأول: التناسق الموضوعي: مقدمات تعريفية، ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحًا.

الفصل الأول: اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم السورة الكريمة وما اشتهر من أسمائها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم السورة الكريمة.

المطلب الثاني: الأسماء المشتهرة للسورة الكريمة.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة من أحاديث وآثار.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة الكريمة.

الفصل الثاني: مكى السورة ومدنيها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها واختصاصها بما اختصت

به، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المكى والمدني في السورة.

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها، وفيه مدخل وستة مطالب:

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها.

المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها.

المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.

المطلب الرابع: المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها.

المطلب الخامس: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما بعدها.

المطلب السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها.

المبحث الثالث: اختصاص السورة بما اختصت به.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة.

الباب الثاني: التناسق الموضوعي في سورة السجدة: دراسة تطبيقية، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي.

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها.

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها، وفيه مدخل وأربعة مباحث:

المبحث الأول: القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله، ويشمل الآيتين: (١، ٢).

المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء)، ويشمل

الآيات: (٣-١١)، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إثبات صدق رسالة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان.

المطلب الثالث: إثبات عقيدة البعث والجزاء ومصير المنكرين لها.

المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين، ويشمل

الآيات: (١٢-٢٢)، وفيه مدخل ومطلبان:

المطلب الأول: صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم.

المطلب الثاني: المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم ومآل الفريقين.

المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث

والجزاء)، ويشمل الآيات: (٢٣-٣٠)، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد.

المطلب الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء.

الفصل الثالث: تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج الدراسة الكلية وأهم التوصيات.

الفهارس العامة: وتتكون من:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

- فهرس الأعلام.

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق في هذا البحث إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الأول

التناسق الموضوعي: مقدمات تعريفية

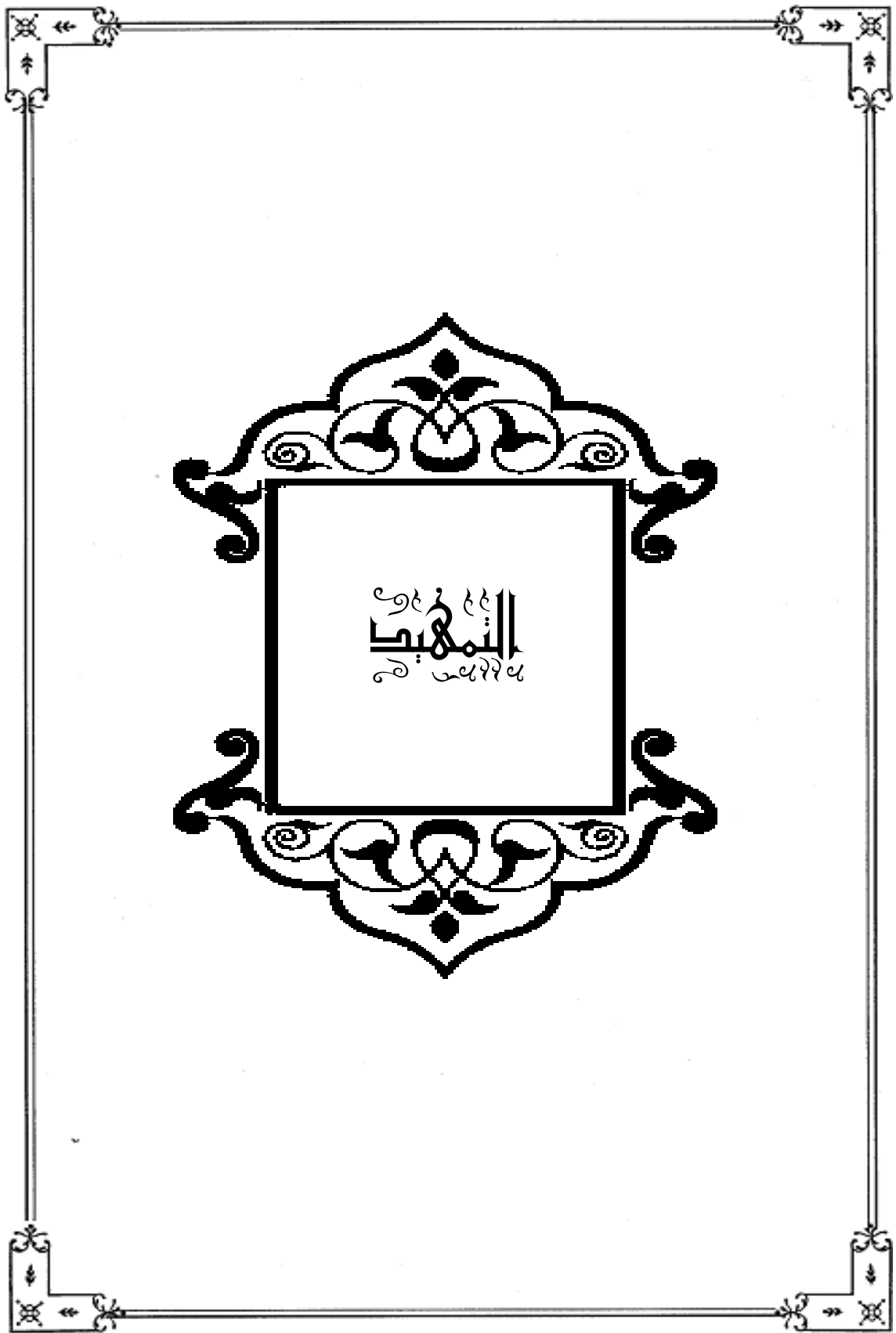
ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحًا.

الفصل الأول: اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها.

الفصل الثاني: مكى السورة ومدنيها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها واختصاصها بما اختصت به.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها.



التمهيد

تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحاً

ويشتمل على ما يلي:

أولاً : معنى التناسق لغةً واصطلاحاً.

ثانياً : معنى الموضوعي لغةً واصطلاحاً.

ثالثاً : معنى السورة لغةً واصطلاحاً.

رابعاً: معنى التناسق الموضوعي في السورة.

التمهيد: تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحًا.

التناسق الموضوعي: مركّب وصفيّ مؤلف من كلمتين هما: "التناسق" و "الموضوعي"، والمدخل إلى معرفة المعنى الكلي لـ "التناسق الموضوعي في السورة" سيكون بذكر مقدمة تشتمل على معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من التناسق، والموضوع، والسورة.

أولاً: معنى التناسق لغةً واصطلاحًا

❖ معنى التناسق لغةً:

التَّنَاسُقُ: مصدر، وفعله: تَنَاسَقَ، وقبل الشروع في ذكر المعنى اللغوي لهذه الكلمة لا بد من ملاحظة الفعل الثلاثي لهذه الكلمة، وهي كلمة "نَسَقَ"، قال ابن سيده^(١): "نَسَقَ الشَّيْءَ يَنْسُقُهُ نَسْقًا، وَنَسَقَهُ نَظْمَهُ عَلَى السَّوَاءِ، وَالاسْمُ: النَّسَقُ"^(٢)، والنَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عامًّا في الأشياء^(٣).

ومصدر نَسَقَ: النَّسَقُ بالتسكين تقول: نَسَقْتُ الكلامَ، إذا عطفتَ بعضه على بعض^(٤)، يقال: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت، وحروف العطف يسميها النحويون حروف النسق؛ لأنَّ الشيء إذا عطفته على شيء صار نظامًا واحدًا^(٥)، ويأتي النَّسَقُ كذلك

(١) - هو الإمام اللُّغوي أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، ولد بمصرية شرق الأندلس، إمام في اللغة وآدابها حافظ لها، وكان ضريزًا، من مؤلفاته "المخصّص" و"المحكّم"، توفي سنة: ٤٥٨هـ، انظر: وفيات الأعيان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي المعروف بابن خَلِّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م: (٣/٣٣٠).

(٢) - المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ: (٦/٢٣٩).

(٣) - انظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: (٨/٣١٣)، ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ: (١٠/٣٥٢).

(٤) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ: (٤/١٥٥٨)، ولسان العرب، لابن منظور: (١٠/٣٥٣).

(٥) - انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٨/٤١١)، ولسان العرب، لابن منظور: (١٠/٣٥٣).

بمعنى التتابع، قال ابن فارس^(١): "النون والسين والقاف أصل صحيح يدلُّ على تتابع في الشئ"^(٢)، "وكلُّ شيء أُتبع بعضُه بعضًا فهو نَسَقٌ له"^(٣)، يقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما ولائم^(٤)، "وأصله قولهم: تُعَرِّ نَسَقٌ إذا كانت الأسنان متناسقة مستوية، وخرزٌ نَسَقٌ: منظم"^(٥)، "والتنسيق: التنظيم"^(٦).

أمَّا استخدام التناسق في الكلام فمن المجاز يقال: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسقٍ ونظامٍ^(٧).

وبناء على ما ذكر فنقول التناسق في اللغة: هو حسن الترتيب والتنظيم في الأشياء، أمَّا تناسق الكلام في اللغة فيأتي بمعنى عطف الكلام بعضه على بعض، وبمعنى التتابع والتلاؤم بين أجزاء الكلام.

❖ معنى التناسق اصطلاحًا:

تناسق الكلام اصطلاحًا: هو توالي الكلمات وتتابعها وتلاحمها تلاحمًا سليمًا

(١) - هو الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، صاحب كتاب "المجمل" وكان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقهِ مالك، مناظرًا متكلمًا على طريقة أهل الحق، مات بالري في صفر سنة ٣٩٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٠٣/١٧).

(٢) - معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ: (٤٢٠/٥).

(٣) - جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م: (٨٥٣/٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ: (٤١٩/٢٦).

(٤) - انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٣٥٣/١٠)، والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ، ص: (٩١٨، ٩١٩).

(٥) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٥٥٨/٤)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٤٢٠/٥)، ومختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ص: (٣٠٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي: (٤١٩/٢٦).

(٦) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٥٥٨/٤).

(٧) - انظر: أساس البلاغة، لمحمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ: (٢٦٦/٢).

مستحسنًا بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها، واستقلَّ معناها بلفظها^(١)، ويمكن أن يقال بعبارة أخرى: إنَّه التتابع بين الكلمات والجمل، وعطف بعضها على بعض مع الترابط بينها في اللفظ والمعنى في حسن تنظيم، وجزالة في اللفظ، وجودة في المعنى.

أمَّا التناسق في اصطلاح المفسرين المتأخرين فهو: نظم كلمات القرآن وجمله وآياته بطريقة هي غاية في التناسب وبمتهى الدقة والإحكام لتؤدي المعنى المراد على أبلغ ما يكون التعبير^(٢). يظهر من هذا التعريف أنَّ التناسق يكون بين كلمات وجمل الآية الواحدة، ويكون بين آيات السورة الواحدة، ويكون كذلك بين مجموعة من الآيات التي تتحدث عن موضوع معين، ويكون كذلك بالربط بين آيات السورة الواحدة بموضوعاتها المتناسقة لإظهار الموضوع الرئيس أو الموضوعات الرئيسة التي تدور حولها آيات السورة.

ولمَّا كان بين التناسق والتناسب من المشابهة كان من المناسب أن أذكر معنى التناسب في اصطلاح المفسرين المتأخرين، فالتناسب في اصطلاح المفسرين المتأخرين: هو "أوجهُ الاتصال بين سور القرآن وآياته وكلماته"^(٣).

يفهم من هذا أنَّ التناسق أعمُّ من التَّناسب؛ لأنَّ التناسق يزيدُ على التناسب بالترابط بين موضوعات الآيات، وبين آيات السورة بموضوعاتها المتناسقة لإبراز المحور العام الذي تدور عليه آيات السورة، وبما يدلُّ عليه هذا الترابط من ظهور الجوانب البلاغية البديعة في السورة القرآنية.

(١) - انظر: الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ، ص: (٤١٠).

(٢) - انظر: أسرار إعجاز القرآن، أ.د. جمال مصطفى النجار، مكتبة الحسين الإسلامية - القاهرة، ١٤١٧هـ، ص: (١٣٥).

(٣) - الوحدة القرآنية، محمد محمود خوجة، دار كنوز إشبيلية - الرياض، ١٤٣١هـ، ص: (٢٩).

ثانياً: معنى الموضوعي لغةً واصطلاحاً

❖ معنى الموضوعي لغةً:

الموضوعي نسبة إلى الموضوع، وهو اسمٌ مفعول، ولمعرفة معنى هذه الكلمة في اللغة لابد من الرجوع إلى الفعل الثلاثي لهذه الكلمة، وعند الرجوع إلى الفعل الثلاثي لهذه الكلمة نجد أنّها من "وَضَعَّ"، يقال: وَضَعْتُ الشيءَ أَضَعُّهُ وَضَعًا، وهو ضِدُّ رَفَعْتَهُ^(١)، قال ابن فارس: "الواو والضاد والعين: أصل واحد يدلُّ على الخفض للشيء وحطُّه"^(٢)، وتأتي بمعنى تثبيت الشيء في المكان يقال: وَضَعْتُ الشيءَ في المكان: أَثَبَّتَهُ به^(٣)، والجمع بين هذين المعنيين أن يقال: إنَّ وضع الشيء في مكان ما يقتضي إنزاله وإسقاطه وتثبيته فيه، والإنزال والإسقاط فيه معنى الحطِّ والخفض.

ومصدر وَضَعَّ وَضَعًا ومَوْضِعًا، والمَوْضِعُ يطلق كذلك على المكان^(٤)، وبناءً على ما ذكر فيكون تعريف الموضوع لغةً: "جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحطِّ والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان"^(٥).

❖ معنى الموضوعي اصطلاحاً:

ذكرت فيما سبق أنّ الموضوعي نسبة إلى الموضوع، والموضوع في الاصطلاح المشهور عند الناس هو: "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"^(٦)، أو "هو المادة التي يؤخذ أو يتركب أو يبني منها جزئيات البحث ويضم بعضها إلى بعض"^(٧).

(١) - تهذيب اللغة، للأزهري: (٧٣/٣).

(٢) - معجم مقاييس اللغة: (١١٧/٦).

(٣) - انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (٢٩٦/٢).

(٤) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٢٩٩/٣).

(٥) - مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ١٤٣٠هـ، ص: (١٥).

(٦) - المعجم الوسيط، لمجموعة من اللغويين المعاصرين: (١٠٤٠/٢).

(٧) - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، لأحمد عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤١٠هـ،

ص: (١٢).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أن يقال: إنَّ الكاتب والمتكلم ينزل ويسقط كلامه ويثبته في المادة التي يبني عليها، ويحضر من أجلها.

أما الموضوعي في اصطلاح المفسرين المتأخرين فالمراد به: وصف يتعلق بموضوعات القرآن الكريم، والموضوع القرآني: هو "قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم"^(١).
والمقصود بالموضوعي في بحثنا هذا هو: وصف يتعلق بموضوعات آيات السورة الواحدة.

ثالثاً: معنى السورة لغةً واصطلاحاً

❖ معنى السورة لغةً:

السورة عند أهل اللغة محصورة في لغتين:

اللغة الأولى: لغة قوم يهزون السورة فيقولون سُورَة، واللغة الثانية: لغة قوم لا يهزونها^(٢)، من همزها جعلها مأخوذة من السُّور: وهو ما بقي في الإناء من الشراب، وتكون بهذا الاعتبار قد سميت السورة بهذا الاسم؛ لأنَّها قطعة من القرآن^(٣)، ومن لم يهزها فإمّا أن يقول إنَّها مأخوذة من السُّور وهو حائط المدينة الذي يحيط بالبيوت، وتكون بهذا المعنى قد سميت السورة سورة؛ لإحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور^(٤)، وإمّا أن يقول إنَّها مأخوذة من سُورَة البناء وهو ما حَسُن وطال منه أو كلُّ

(١) - مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، ص: (١٦).

(٢) - انظر: غريب القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٨هـ، ص: (٣٤).

(٣) - انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سركين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٣٨١هـ: (٣/١، ٤، ٥)، غريب القرآن، لابن قتيبة، ص: (٣٤)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (٤٧/١٣، ٤٨)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لأبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ١٤١٦هـ: (٨٥/١).

(٤) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهرية: (٦٩٠/٢)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: (٨٤/١، ٨٥).

منزلة من البناء أو المنزلة الرفيعة كما قال النابغة الذبياني^(١):

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٢)

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك^(٣)، وتكون بذلك قد سميت السورة سورة؛ لارتفاع قدرها؛ لأنّها كلام الله تعالى، أو لأنّها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى^(٤)، وإمّا أن يقال إنّها مشتقة من سورة الأسد وسورة الشراب بمعنى القوة، وتكون قد سميت السورة بهذا الاسم؛ لأنّ قوة السورة أكثر من قوة الآية، وإمّا أن تكون مأخوذة من السور بمعنى الجماعة، يقال: لفلان سور من الإبل أي جماعة من الإبل؛ وتكون قد سميت السورة بهذا الاسم؛ لأنّ السورة مشتملة على جماعة الآيات^(٥)، وإمّا أن يقال إنّها مشتقة من التسور بمعنى التصاعد والتركيب، فتكون السورة من القرآن قد سميت بهذا الاسم؛ لتركيب بعضها على بعض^(٦)، وقيل إنّ السورة بمعنى العلامة^(٧)، وتكون قد سميت السورة بهذا الاسم؛ لأنّها علامة على ما اشتملت عليها من الآيات التي تضم الألفاظ والجمل البلاغية المعجزة.

(١) - هو الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني الغطفاني، كنيته أبو أمامة، سمي النابغة بقوله: فقد نبغت لنا منهم شؤون، وكان شريفًا فغضّ منه الشعر، وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدته، وكانوا له مكرمين. توفي نحو سنة ١٨ ق.هـ، انظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، ١٩٩٤م، ص: (٥٦)، والشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص: (١٦٢)، والأعلام، للزركلي: (٥٤/٣).

(٢) - ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر- بيروت، ١٣٨٣هـ، ص: (١٧).

(٣) - مجاز القرآن، لأبي عبيدة: (٤/١).

(٤) - انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة: (٤/١)، والمفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص: (٤٣٤)، والصحاح تاج اللغة وحصاح العربية، للجوهري: (٦٩٠/٢)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: (٨٥/١).

(٥) - انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: (٨٤/١، ٨٥).

(٦) - انظر: الإتيان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٣٩٤هـ (١٨٦/١).

(٧) - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي: (١٠٢/١٢).

إذا السورة إمّا أن تكون مهموزة فتكون مأخوذة من السُّور بمعنى القطعة من الشيء والبقية منه، وإمّا أن تكون غير مهموزة، وإذا كانت كذلك فإمّا أن تكون مشتقة من السُّور وهو حائط المدينة، أو مشتقة من سُور الإبل وهو الجماعة منه، وإمّا أن تكون مشتقة من سُورَة البناء وهو ما حسن وارتفع منه، وإمّا أن تكون مشتقة من سُورَة الأسد وسُورَة الشراب، بمعنى القوة، وإمّا أن تكون مشتقة من التسُّور بمعنى التصاعد والتركيب.

❖ معنى السورة اصطلاحًا:

السورة في الاصطلاح: هي: "قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات"^(١)، وقيل في حدّها أيضًا: إنّها "الطائفة المترجمة توقيفًا"^(٢)، وقيل في تعريفها كذلك: "طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع"^(٣).

رابعًا: معنى التناسق الموضوعي في السورة

بعد بيان هذه المصطلحات المفردة لكل من التناسق، والموضوع، والسورة في اللغة والاصطلاح، يحسن بي أن أبيّن المقصود من الجملة المركبة وهي التناسق الموضوعي في السورة، فأقول قبل بيان التعريف لما كان هذا المصطلح جديدًا في بابه، ولم أجد من العلماء من قام بتعريفه، إلا أنني من خلال قراءتي للخطة في هذا الموضوع، وبعد توضيح التعريف من قبل بعض أساتذتي في قسم التفسير تبين لي أنّ المقصود من التناسق الموضوعي في السورة: هو تسلسل المواضيع الواردة في السورة الواحدة، وانتظامها في نسق واحد، وذلك بترابط ألفاظ الآية، وتناسب معانيها، بحيث تكون كل جملة وآية آخذة بعنق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعض، فلا يكون شيء منها خارج السياق لينتج عن ذلك موضوعٌ رئيسٌ أو موضوعاتٌ رئيسة تدور حولها السورة.

(١) - البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ: (١/٢٦٤)، وهذا التعريف للجعبري.

(٢) - الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/١٨٦).

(٣) - مناهل العرفان في علوم القرآن، ل محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، الطبعة الثالثة: (١/٣٥٠).

وقد اتضح لي من خلال تعريف هذا المصطلح أنّ التناسب بين ألفاظ وجمل الآية الواحدة وبين الآيات والتناسق بين الموضوعات الفرعية للسورة يوصل إلى معرفة الموضوع الرئيس أو الموضوعات الرئيسة التي تدور حولها السورة، واتضح لي - كذلك - أنّه لا يلزم أن يكون للسورة موضوع واحد رئيس تدور حوله السورة بل قد يكون للسورة الواحدة عدة موضوعات رئيسة تدور حولها السورة، وحصر كل سورة من القرآن في موضوع رئيس واحد فيه تكلف، قال الشاطبي^(١): " ...وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢) نازلة في قضية واحدة، وسورة: ﴿أَقْرَأُ﴾^(٣) نازلة في قضيتين الأولى إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤)، والأخرى ما بقي إلى آخر السورة"^(٥)، ويقول سيد قطب: "يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكل سورة من سوره شخصية مميزة... ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو"^(٦).

(١) - هو الإمام القارئ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه الموافقات في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٠هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (١/٧٥).

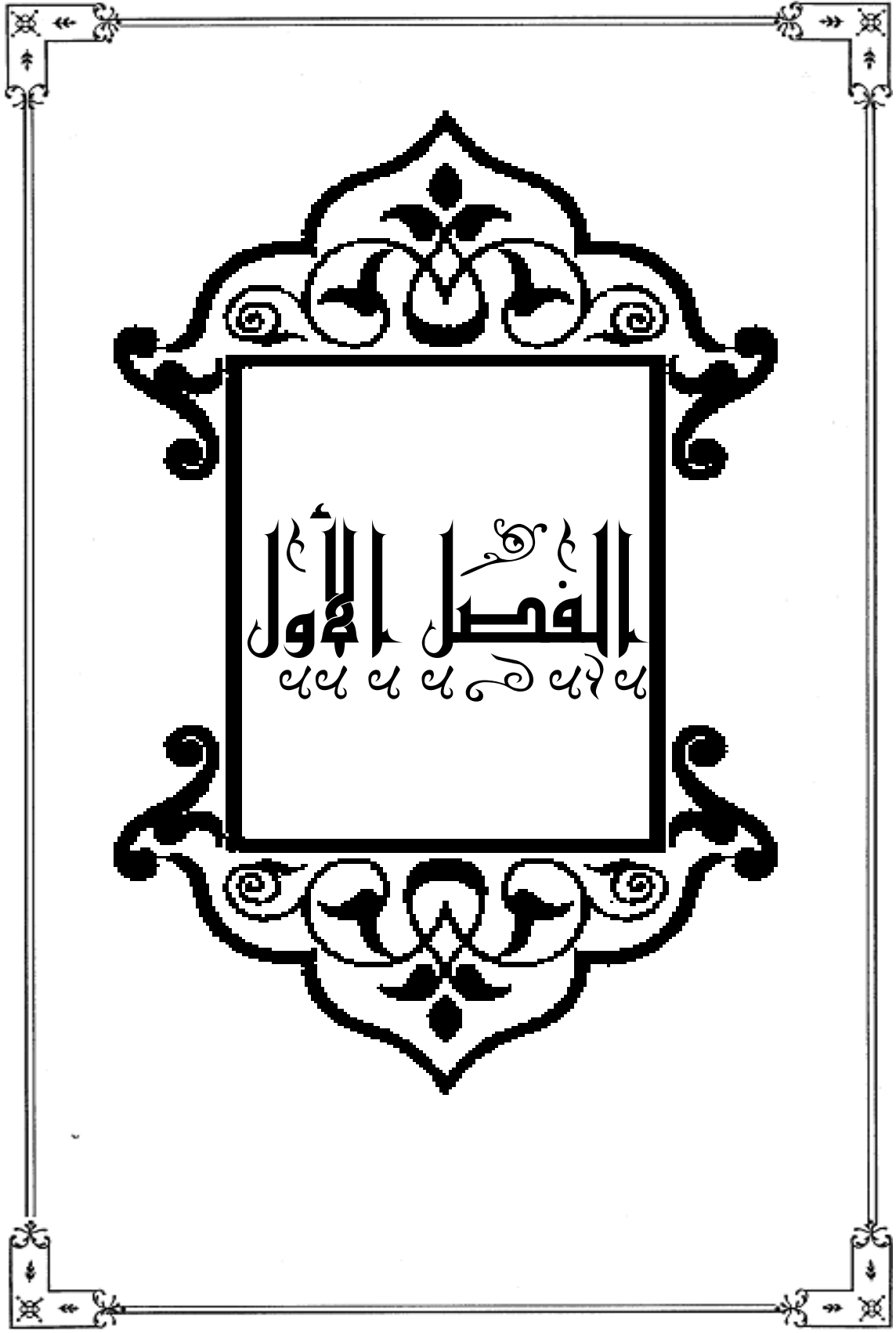
(٢) - سورة الكوثر، رقم الآية: (١).

(٣) - سورة العلق، رقم الآية: (١).

(٤) - سورة العلق، رقم الآية: (٥).

(٥) - الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ: (٤/٢٦٩).

(٦) - في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - بيروت، ١٤١٢هـ: (١/٢٧، ٢٨).



الفصل الأول
العلم

الفصل الأول

اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها

وفيه أربعة مباحث: -

المبحث الأول: اسم السورة الكريمة وما اشتهر من أسمائها.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة من أحاديث وآثار.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة الكريمة.

* * * * *

المبحث الأول

اسم السورة الكريمة وما اشتهر من أسمائها

وفيه مطلبان: -

المطلب الأول: اسم السورة الكريمة.

المطلب الثاني: الأسماء المشتهرة للسورة الكريمة.

* * * * *

المطلب الأول: اسم السورة الكريمة.

يعتبر أشهر اسم لهذه السورة الكريمة هو سورة السجدة، وهذا الاسم يعد أحصر أسماء هذه السورة، وهو المرسوم في المصاحف، والمذكور في كتب التفسير^(١)، وقد بَوَّبَ لهذا الاسم الترمذي^(٢) في جامعه^(٣)، وعنون له الإمام النسائي^(٤) في سننه الكبرى بسورة السجدة كذلك^(٥)، وذكره الحاكم^(٦) في مستدركه على الصحيحين في كتاب التفسير فقال: "تفسير سورة السجدة"^(٧).

وهذا الاسم - أعني سورة السجدة - يعد من الأسماء التوقيفية للسورة الكريمة؛ لأنَّ الصحيح في أسماء سور القرآن أنَّها توقيفية، قال السيوطي: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"^(٨)، ولأنَّ هذا الاسم هو الذي اشتهرت في رسمه المصاحف، ودونته كتب التفسير بهذا الاسم، ووجه تسمية سورة السجدة بهذا الاسم؛ لأنَّ "اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من الإحبات وترك الاستكبار"^(٩).

- (١) - انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م: (٢١/٢٠١).
- (٢) - هو الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، أبو عيسى الترمذي، الحافظ العلم الإمام البارع، صاحب الجامع وكتاب العلل، وغير ذلك، مات سنة ٢٧٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/٢٧٠).
- (٣) - انظر: الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة السجدة: (٥/٣٤٦).
- (٤) - هو الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، صاحب الشُّنن، توفي سنة ٣٠٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٤/١٢٥).
- (٥) - انظر: السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كتاب التفسير، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ: (١٠/٢١٣).
- (٦) - هو الإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، الناقد العلامة صاحب التصانيف من المستدرک على الصحيحين، توفي سنة ٤٠٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٧/١٦٢).
- (٧) - المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ: (٢/٤٤٦).
- (٨) - الإِتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/١٨٦).
- (٩) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، بدون تاريخ: (١٥/٢٢٢).

المطلب الثاني: الأسماء المشتهرة للسورة الكريمة

اشتهرت أسماء أخرى للسورة الكريمة غير "السجدة"، وهذه الأسماء المشتهرة مثبتة بالأدلة. فمن الأسماء المشتهرة لهذه السورة "ألم تنزيل"، وهذا الاسم يعد أيضاً من الأسماء التوقيفية للسورة؛ لأنه قد ثبت في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة^(١) رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في الصباح يوم الجمعة بألم تنزيل في الركعة الأولى وفي الثانية هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً"^(٢)، وبما أخرج الترمذي من حديث جابر^(٣) رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك"^(٤)، فكون أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسميانهما بهذا الاسم يدل على أن هذه السورة مما اشتهر تسميتها بهذا الاسم، ويدل كذلك على أن هذا الاسم من الأسماء التوقيفية للسورة؛ لأن الأصل في الإخبار باسم السورة لا يكون إلا عن طريق الوحي، ففي غالب الظن لا يخبران عن اسم لأي سورة إلا وهو ثابت عن رسول الله ﷺ والله أعلم، أمّا وجه تسميتها بهذا الاسم فلائها ثبتت بالاسم المذكور من حديث أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

ومن الأسماء التي اشتهرت بها هذه السورة الكريمة "ألم تنزيل السجدة"، وهذا الاسم أيضاً يعتبر من الأسماء التوقيفية لهذه السورة؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزيل السجدة وهل أتى على

(١) - هو الصحابي الجليل أبو هريرة الدوسي، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه، وكان من أصحاب الصفة، أسلم عام خيبر، لزم رسول الله ﷺ وواظب عليه رغبة في العلم، توفي بالمدينة سنة ٥٧هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (٦/٣١٣)، رقم: (٦٣٢٦).

(٢) - سبق تخريجه ص (١١)

(٣) - هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، شهد بيعة العقبة الثانية، غزا تسع عشرة غزوة، من أكثر الصحابة رواية للحديث، توفي سنة ٧٧هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (١/٤٩٢)، رقم: (٦٤٧).

(٤) - سبق تخريجه ص (١١).

الإنسان" (١)، ولما ثبت كذلك من حديث أبي سعيد الخدري (٢) رضي الله عنه قال: "كُنَّا نَحْزُرُ (٣) قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر فحزرنّا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة ألم تنزيل السجدة" (٤)، وقد صدرّ بعض المفسرين سورة السجدة بهذا الاسم منهم الإمامان مجاهد بن جبر (٥)، ويحيى بن سلام (٦) في تفسيرهما (٧)، فكون أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قد ذكراها بهذا الاسم يدلّ على أنّ هذا الاسم من الأسماء المشتهرة للسورة، ومن الأسماء التوقيفية لها؛ لأنّهما في أغلب الظن لا يخبران عن اسم لأي سورة إلا وهو ثابت عن رسول الله ﷺ، ووجه تسمية السورة ب"ألم تنزيل السجدة"؛ لأنّها ثبتت بهذا الاسم في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

ومن الأسماء التوقيفية التي اشتهرت بها هذه السورة "تنزيل السجدة" فقد ثبت هذا الاسم من حديث ابن عباس (٨) رضي الله عنهما: "أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة:

(١) - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: (٥/٢)، رقم: (٨٩١).

(٢) - هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، من المكثرين رواية للحديث، خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، توفي سنة ٧٤هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (١٣٨/٦)، رقم: (٥٩٦١).

(٣) - الحزُرُ: التقدير والحرص، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (٦٢٩/٢).

(٤) - صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر: (٣٣٣/١)، رقم: (٤٥٢).

(٥) - هو التابعي الجليل مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك، وله ثلاث وثمانون سنة، روى له الجماعة، انظر: تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص: (٥٢٠)، رقم: (٦٤٨١).

(٦) - هو الإمام المفسر يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة الإمام العلامة أبو زكريا البصري، صاحب التفسير، له اختيار في القراءة من طريق الآثار، سكن إفريقية دهراً، مات بمصر سنة ٢٠٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٩٦/٩).

(٧) - انظر: تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - القاهرة، ١٤١٠هـ، ص: (٥٤٤)، وتفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن أبي ثعلبة البصري، تحقيق: هند شليبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ: (٦٨٤/٢).

(٨) - هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ

تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر"^(١)، وعنون البخاري^(٢) في صحيحه لهذا الاسم فقال: "باب سجدة تنزيل السجدة"^(٣)، وبوّب الدارمي^(٤) في سننه بباب: "في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك"^(٥)، ووجه تسميتها بهذا الاسم؛ لأنها ثبتت بالاسم المذكور من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن الأسماء الأخرى التي اشتهرت بها السورة الكريمة "ألم السجدة" فقد ثبت تسمية السورة بهذا الاسم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ألم السجدة، وهل أتى على الإنسان"^(٦)، وقد صدر بعض

☞ =

صلى الله عليه وسلم وكان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٢٩١/٣)، رقم: (٣٠٣٧).

(١) - سنن أبي داود، كتاب الصلاة، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، بدون تاريخ، باب ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: (٢٨٢/١)، رقم: (١٠٧٤)، وسنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء فيما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: (٣٩٨/٢)، رقم: (٥٢٠)، والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس - الكويت، ١٤٢٣هـ: (٢٤١/٤)، رقم: (٩٨٥).

(٢) - هو إمام الدنيا وحافظ الزمان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أمير المؤمنين في الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ وغيرهما، توفي سنة ٢٥٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٩١/١٢).

(٣) - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سجدة تنزيل السجدة: (٤٠/٢).

(٤) - هو الحافظ الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، صاحب السنن، كان ورعًا وتقياً وعابداً ومفسراً وفقهياً، طوّف الأقاليم وصنّف التصانيف، توفي سنة ٢٥٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٢٤/١٢).

(٥) - سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم الدارمي، دار المغني - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ومن كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك: (٢١٤٤/٤).

(٦) - المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، باب الميم، من اسمه معاذ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، بدون تاريخ: (٢٤٠/٨)، رقم: (٨٥١٤)، والحديث أصله في الصحيحين كما سبق ذكره في مقدمة المطلب الثاني، وعند النظر في إسناد هذا الحديث وجدت أن إسناده صحيح، والله أعلم.

المفسرين كتبهم عند سورة السجدة بالاسم المذكور^(١)، وعنون البقاعي لهذا الاسم في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور فقال: سورة "ألم السجدة"^(٢)، ووجه تسمية السورة بهذا الاسم؛ لأنها ثبتت بالاسم المذكور من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وتسمى هذه السورة أيضاً "المضاجع": وهي جمع المضجع، واضطجع: نام وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض، فقول الله عز وجل: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ معناه تتجافى عن مضاجعها التي اضطجعت فيها^(٣)، وقد سمى بعض المفسرين هذه السورة بالمضاجع^(٤)، وذكرها الفيروز آبادي^(٥) كذلك بهذا الاسم في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز^(٦)، وذكرها السيوطي أيضاً بالاسم المذكور في كتابه الإتقان في علوم

(١) - كسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري في تفسيره (تفسير الثوري)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص: (٢٤٠)، وعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني في تفسيره (تفسير عبد الرزاق الصنعاني)، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ: (٢٥/٣)، ومحمد بن عبد الله بن عيسى المري المعروف بابن أبي زمنين، في تفسيره (تفسير القرآن العزيز)، تحقيق: حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة - القاهرة، ١٤٢٣هـ: (٣٨٠/٣)، والحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ: (٤٣٣/٥).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، بدون تاريخ: (٢٢٢/١٥).

(٣) - لسان العرب، لابن منظور: (٢١٩/٨).

(٤) - كأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في تفسيره (زاد المسير في علم التفسير)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: (٤٣٧/٣)، وأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ: (١٣٥/٢٥)، ومحمود بن عبد الله الحسيني الألويسي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ: (١١٣/١١)، ومحمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: (٢٠٣/٢١).

(٥) - هو الإمام الكبير أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي اللغوي الشافعي، الماهر في اللغة وغيرها من الفنون، له مصنفات كثيرة نافعة منها في التفسير بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وفي اللغة القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني: (٢٨٠/٢).

(٦) - انظر: (٣٧٣/١).

القرآن^(١)، ووجه تسمية السورة بهذا الاسم لورود لفظ المضاجع في السورة عند قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، علماً بأنَّ لفظ المضاجع لم يقتصر ذكره على هذه السورة فحسب، بل ذكر هذا اللفظ في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُمْ﴾ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ^(٢)، وذكر هذا اللفظ أيضاً مضافاً إلى ضمير الغائبين في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٣)، وهذا الاسم يُعدُّ من الأسماء الاجتهادية للسورة الكريمة لعدم ثبوت هذا الاسم عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا الوحي^(٤).

ومن أسماء هذه السورة أيضاً: "سجدة لقمان"، وممن ذكر هذا الاسم الطبرسي^(٥) في مجمع البيان^(٦)، ونقله عنه الألوسي^(٧) في تفسيره^(٨)، وابن عاشور^(٩) في كتابه التحرير والتنوير^(١٠)، وقد ذكر هذا الاسم أيضاً الفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز^(١١)،

(١) - انظر: (١٩٤/١).

(٢) - رقم الآية: (٣٤).

(٣) - رقم الآية: (١٥٤).

(٤) - انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي - الدمام، ١٤٢٦هـ، ص: (٣١٢).

(٥) - هو المفسر المحقق اللغوي أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، من علماء الإمامية، نسبتته إلى طبرستان، له مجمع البيان في تفسير القرآن، توفي سنة ٥٤٨هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (١٤٨/٥).

(٦) - انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء المتخصصين، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٥هـ: (٧١/٥).

(٧) - هو المفسر المحدث الأديب أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، من المحددين، من أهل بغداد، له مصنفات كثيرة أشهرها روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (١٧٦/٧).

(٨) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١١٣/١١).

(٩) - هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية والتحرير والتنوير، توفي سنة ١٣٩٣هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (١٧٤/٦).

(١٠) - انظر: (٢٠٣/٢١).

(١١) - انظر: (٣٧٣/١).

وهذا الاسم يعتبر أيضاً من الأسماء الاجتهادية للسورة لعدم ثبوته عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا الوحي^(١)، أما عن سبب تسمية السورة بهذا الاسم فلوقوعها بعد سورة لقمان، ولئلا تلتبس بحم السجدة (سورة فصلت)^(٢).

ومن الأسماء التي سميت بها السورة الكريمة "المنجّية" فقد ثبت عند الدارمي عن خالد بن معدان^(٣) قال: "اقرأوا المنجّية، وهي ألم تنزيل فإنّه بلغني أنّ رجلاً كان يقرؤها ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له، فإنّه كان يكثر قراءتي، فشققها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة"^(٤)، وهذا الأثر إسناده ضعيف، وإذا كان كذلك فلا يصح أن يكون الاسم الوارد في الأثر حجة في تسمية السورة بهذا الاسم، والله أعلم، أمّا عن وجه تسمية السورة بهذا الاسم فلأنّه ثبت في الأثر الذي أخرجه الدارمي من رواية خالد بن معدان.

(١) - انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة بنت ناصر الدوسري، ص: (٣١٢، ٣١٣).

(٢) - انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: (٧١/٥).

(٣) - هو التابعي خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله، ثقة عابد يرسل كثيراً، من الطبقة الثالثة، مات سنة ١٠٣هـ، وقيل بعد ذلك، روى له الجماعة، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (١٩٠)، رقم: (١٦٧٨).

(٤) - سنن الدارمي، ومن كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك: (٤/٢١٤٤)، رقم: (٣٤٥١)، وهذا الأثر إسناده ضعيف؛ لأنّه أولاً: يتحدث عن أمور غيبية لا مجال فيه للرأي والاجتهاد ولا يمكن أن يصدر إلا من النبي ﷺ ومن المعلوم أنّ خالد بن معدان لم يسمع من رسول الله ﷺ؛ لذا فإنّه مرسل، قال ابن حجر - عن خالد بن معدان -: "يرسل كثيراً"، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (١٩٠)، رقم: (١٦٧٨)، ثانياً: لأنّ فيه عبدة بنت خالد أحاديثها منكورة وفيها جهالة، قال الجوزجاني عنها: "أحاديثها منكورة جداً"، وقال عنها الهيثمي: "لم أعرفها"، وحكم الألباني عليها بالجهالة، انظر: أحوال الرجال، لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، دار حديث أكاديمي - فيصل آباد باكستان، بدون تاريخ، ص: (٢٨٩)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، ١٤١٤هـ: (٣٥/٥)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: (١٠٨٩/١٤).

ومن الأسماء التي سميت بها هذه السورة "المنقسمة"^(١) فعن عطاء بن أبي رباح^(٢) قال: "أنَّ رجلين فيما مضى كان يلزم أحدهما تبارك، فجادلت عنه حتى نجأ، وأما صاحب السجدة الصغرى فتنقسم في قبره قسمين قسم عند رأسه، وقسم عند رجله حتى نجأ فسميت المنقسمة"^(٣)، وهذا الأثر أيضا إسناده ضعيف، وإذا كان كذلك فلا يصح تسمية السورة أيضًا بالاسم المذكور في الأثر، والله أعلم، أمَّا السبب الذي من أجله سميت السورة بهذا الاسم؛ فلورودها بهذا الاسم في الأثر المذكور عن عطاء.

وخلاصة القول في أسماء سورة السجدة أن يقال: إنَّ عدد أسماء هذه السورة سبعة أسماء، التوقيفي منها خمسة: السجدة، وألم تنزِيل، وتنزِيل السجدة، وألم تنزِيل السجدة، والأسماء الاجتهادية اسمان: المضاجع، وسجدة لقمان، أمَّا المنجّية والمنقسمة فلا يصح أن يكونا اسمين لهذه السورة؛ لأنَّ الأثرين الواردين فيهما ضعيفان، والله أعلم.



- (١) - انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ: (٣٦٨/٢).
- (٢) - هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولا هم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنّه كثير الإرسال، من الثالثة، مات ١١٤هـ على المشهور، وقيل: إنّه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٣٩١)، رقم: (٤٥٩١).
- (٣) - مصنف عبد الرزاق الصنعائي، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ: (٣٨٠/٣)، رقم: (٦٠٢٩)، والأثر إسناده ضعيف؛ لأنّه يتحدث عن أمور غيبية لا مجال فيه للرأي والاجتهاد ولا يمكن أن يصدر إلا من النبي ﷺ ومن المعلوم أنّ عطاء لم يسمع من رسول الله ﷺ؛ لذا فهو مرسل، قال عنه ابن حجر: "كثير الإرسال"، إضافة إلى ذلك يعد هذا الأثر من مراسيل عطاء، ومراسيل عطاء ضعيفة، قال الإمام أحمد بن حنبل: "وليس في المرسلات شيء أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح؛ فإنهما كانا يأخذان عن كل أحد"، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٣٩١)، رقم: (٤٥٩١)، والمعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ: (٢٣٩/٣).

المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة من أحاديث وآثار

* * * * *

ما ورد في فضل السورة من أحاديث وآثار

ثبتت أحاديث وآثار في فضل سورة السجدة منها الصحيح ومنها الضعيف، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على شرف هذه السورة الكريمة وعلو مكانتها، وقد أوردت جميع هذه الأحاديث والآثار استيعاباً للموضوع من جميع جوانبه مع تمييز الصحيح من السقيم. فمن الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل هذه السورة ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزّل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر"^(١)، فحرصه صلى الله عليه وسلم على قراءتها في الركعة الأولى في صلاة الفجر من يوم الجمعة يدل على عظم وفضل هذه السورة؛ لما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من إثبات الركائز الرئيسة للدين كإثبات صدق القرآن والرسالة، والإقرار بالتوحيد، والجزم بحقيقة البعث والنشور والحساب والجنة والنار.

ومن الأحاديث التي تدل على فضل هذه السورة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزّل وتبارك الذي بيده الملك"^(٢)، فقد دلَّ هذا الحديث على فضل سورة السجدة والملك وعلو مكانتهما؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم كان يحرص على قراءة هاتين السورتين قبل نومه؛ لما اشتملت عليه هاتان السورتين من معان عظيمة في إثبات التوحيد من خلال بيان قدرة الله تعالى في خلق الكون والإنسان وفي الجزم بحقيقة الجنة والنار والبعث والحساب وفي الإقرار بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وغيرها من المعاني العظيمة التي تحرك القلب والوجدان وتقود العبد إلى التذلل لله والخضوع له وإفراده بالعبادة.

ومما يدل على فضل هذه السورة أيضاً أن الصحابة رضي الله عنهم قدَّروا قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(١) - سبق تخريجه ص (٣٨)

(٢) - سبق تخريجه ص (١١)

الركعتين الأوليين من صلاة الظهر فقدروا قراءته فوجدوها قدر قراءة ألم تنزيل السجدة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كُنَّا نخرز قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر فحزرتنا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة ألم تنزيل السجدة"^(١)، فكون الصحابة رضي الله عنهم قدروا قراءته في الركعتين الأوليين من الظهر بسورة السجدة دون غيرها من السور في المقدار هو دليل على عظم مكانة هذه السورة في قلوبهم وعلو منزلتها وارتفاع قدرها في نفوسهم؛ لما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من أساسيات الدين وأركانه كالإيمان بأن القرآن كلام الله، والتصديق برسالة محمد ﷺ، واستحقاق العبودية لله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار.

وقد وردت أحاديث أخرى في فضل هذه السورة لكن لم يثبت منها شيء على وجه الصحة - لكثرت ساذكرها من باب استيعاب الموضوع من جميع الجوانب - كحديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ قال: "من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقرأ في الركعتين الأخريتين تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك كتبت له كأربع ركعات من ليلة القدر"^(٢)، ومنها كذلك حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة^(٣) يرفعه قال: "من قرأ ألم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك في يوم وليلة فكأنما وافق ليلة القدر"^(٤)،

(١) - سبق تخريجه ص (٣٩)

(٢) - قيام الليل، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: حديث أكاديمي - فيصل آباد باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، باب الأربع ركعات بعد العشاء الآخرة، ص: (٩٢)، والمعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، باب العين، سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، بدون تاريخ: (٤٣٧/١١)، رقم: (١٢٢٤٠)، وقد ضَعَّف الحديث الألباني؛ لأن فيه أبا فروة وهو ضعيف، كذا قال عنه ابن حجر، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٦٠٢)، رقم: (٧٧٢٧)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني: (١٠٢/١١، ١٠٣).

(٣) - هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولاهم المدني، متروك من الرابعة، مات سنة ١٤٤هـ، انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص: (١٠٢)، رقم: (٣٦٨).

(٤) - فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى الرازي، المعروف بابن الضريس، باب في فضل ألم تنزيل السجدة، تحقيق: غزوة بدر، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص: (١٠٠)، رقم (٢١٤)، وهذا الحديث ضعيف؛ لأنه مرسل، فإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة لم يسمع من النبي ﷺ، ← =

ومنها أيضاً حديث المسيّب بن رافع^(١) أن النبي ﷺ قال: "ألم تنزل تجيء لها جناحان يوم القيامة تظل صاحبها وتقول لا سبيل عليه لا سبيل عليه"^(٢).

فهذه الأحاديث الضعيفة لا تصح أن تكون حجة في الاستدلال على فضل السورة، ففي ما ذكرناه من الأحاديث الصحيحة في فضل السورة كفاية، لكنّي ذكرت هذه الأحاديث الضعيفة لاستيعاب الموضوع من جميع جوانبه، وليبان الضعيف من الأحاديث وسبب الضعف. أمّا الأثر الصحيح الوحيد الذي يدل على فضل هذه السورة فهو الأثر الوارد عن علي بن أبي طالب^(٣) قال: "عزائم السجود في القرآن أربع: ألم تنزل وحم تنزل والنجم واقرأ باسم ربك الذي خلق"^(٤)، وهذا يدل على فضل سورة السجدة إذ جعلت آية السجدة منها من المواضع التي يتأكد السجود - الذي هو علامة على التذلل والخضوع بين يدي الجبار سبحانه وتعالى - عند قراءتها؛ لما اشتملت عليه آية السجدة في هذه السورة من صفات أهل الإيمان الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم خرّوا سجداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون. وقد وردت آثار أخرى في فضل هذه السورة لكنّها ضعيفة منها ما روي عن كعب

✍ =

إضافة إلى ذلك فإنّ إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ضعيف، فقد قال عنه ابن حجر: "متروك"، تقريب التهذيب لابن حجر، ص: (١٠٢)، رقم: (٣٦٨).

(١) - هو التابعي الجليل أبو العلاء المسيّب بن رافع الأسدي الكاهلي الكوفي الأعمى، ثقة من الرابعة، مات سنة ١٠٥هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٥٣٢)، رقم: (٦٦٦٦).

(٢) - فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، تحقيق: مروان عطية ومحسن خراية ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، باب فضل تنزيل السجدة ويس، ص: (٢٥١)، وفضائل القرآن، لابن الضريس، باب في فضل ألم تنزيل السجدة، ص: (١٠٠)، رقم: (٢١٥)، وهذا الحديث إسناده ضعيف؛ لأنّه مرسل فالمسيّب بن رافع لم يسمع من النبي ﷺ.

(٣) - هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، أبو الحسن، أول الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء، رابع الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قتل في رمضان سنة ٤٠هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٨٧/٤)، رقم: (٣٧٨٩).

(٤) - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي المعروف بابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، كتاب الصلاة، جميع سجود القرآن واختلافهم في ذلك: (٣٧٧/١)، رقم: (٤٣٤٩)، والمستدرک على الصحيحين، للحاكم، وقال الذهبي: صحيح: (٥٧٧/٢)، رقم: (٣٩٥٧)، إذّا هذا الأثر إسناده صحيح موقوف.

الأخبار^(١) حيث قال: "من قرأ تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير كتب له سبعون حسنة وحُطَّ عنه بها سبعون سيئة ورفع له بها سبعون درجة"^(٢)، ومنها كذلك ما روي عن خالد بن معدان قال: "اقرؤوا المنجّية وهي ألم تنزيل فإنه بلغني أنّ رجلاً كان يقرؤها وما هوى شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثّر قراءتي فشفعها الرب فيه، وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة"^(٣)، ومنها كذلك ما روي عن خالد بن معدان أيضاً قال: "إِنَّ ﴿الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تجادل عن صاحبها في القبر تقول: اللهم إن كنت من كتابك، فشفعني فيه، وإن لم أكن من كتابك، فامحني عنه، وإثماً تكون كالطير تجعل جناحها عليه، فيشفع له فتمنعه من عذاب القبر، وفي ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مثله"، فكان خالد لا يبيت حتى يقرأ بهما^(٤).

(١) - هو التابعي الجليل أبو إسحاق كعب بن ماعة الحميري المعروف بكعب الأخبار، ثقة من الثانية مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة، انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص: (٤٦١)، رقم: (٥٦٤٨).

(٢) - سنن الدارمي، ومن كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك: (٤/٢١٤٤)، رقم (٣٤٥٢)، وفضائل القرآن، لابن الضريس، باب في فضل ألم تنزيل السجدة، ص: (٩٩)، رقم: (٢١٣)، قال المحقق حسين سليم أسد الداراني على كتاب سنن الدارمي: "هذا الأثر إسناده صحيح إلى كعب"، (٤/٢١٤٤)، رقم: (٣٤٥٢)، لكن هذا الخبر الذي أخبر به كعب مما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ولا يمكن أن يصدر إلا من النبي ﷺ ومن المعلوم أنّ كعب الأخبار لم يسمع النبي ﷺ لذا الخبر ضعيف؛ لأنه مرسل.

(٣) - سبق تخريجه ص (٤٣)

(٤) - سنن الدارمي، ومن كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك: (٤/٢١٤٤)، رقم: (٣٤٥٣)، قال المحقق حسين سليم أسد الداراني على كتاب سنن الدارمي: "إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح"، (٤/٢١٤٤)، رقم: (٣٤٥٣)، وقال ابن حجر - عن عبد الله بن صالح - "صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة"، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٣٠٨)، رقم: (٣٣٨٨)، وحكم الألباني على الأثر بالضعف فقال: "عبد الله بن صالح فيه ضعف"، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ: (٦٠/٥)، رقم: (١٢٢٦)، والأثر أيضاً مرسل؛ لأنه يتحدث عن أمور غيبية لا مجال فيها للرأي والاجتهاد ولا يمكن أن يصدر إلا من النبي ﷺ، ومن المعلوم أنّ خالد بن معدان لم يسمع من رسول الله ﷺ، قال ابن حجر - عن خالد بن معدان - "يرسل كثيراً"، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (١٩٠)، رقم: (١٦٧٨).

ومن الآثار الضعيفة التي وردت في فضل سورة السجدة والملك ما روي عن طاوس^(١) قال:
"تفضلان على كل سورة من القرآن بسبعين حسنة"^(٢).

ومما ورد كذلك من الآثار الضعيفة في فضل السورتين ما روي عن طاوس أيضًا قال: "ما
على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك في ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة
القدر"^(٣).

ومن الآثار الضعيفة كذلك ما روي عن عطاء بن أبي رباح قال: "أنَّ رجلين فيما مضى
كان يلزم أحدهما تبارك فجادلت عنه حتى نجا، وأمَّا صاحب السجدة الصغرى فتنقسم في قبره
قسمين، قسم عند رأسه وقسم عند رجله حتى نجا فسميت المنقسمة"^(٤).

إذًا لم يصح من الآثار الواردة في فضل هذه السورة إلا الأثر الذي روي عن علي بن أبي
طالب عليه السلام، والله أعلم.

(١) - هو التابعي الجليل أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان اليماني الحميري مولاهم الفارسي، يقال اسمه ذكوان وطاوس لقب، ثقة فقيه فاضل، من الثالثة، مات سنة ١٠٦ هـ وقيل بعد ذلك، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٢٨١)، رقم: (٣٠٠٩).

(٢) - سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل سورة الملك، (١٦٥/٥)، رقم: (٢٨٩٢)، قال الألباني عن هذا الأثر: "ضعيف مقطوع"، صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٢٠ هـ ص: (٣٠٠)، رقم: (٣٨٩٢)، والظاهر أن سبب ضعفه هو أحد رواة السند وهو ليث بن أبي سليم فقد اختلط جدًا ولم يتميز فترك حديثه، كذا قال عنه ابن حجر، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٦٤)، رقم: (٥٦٨٥).

(٣) - مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي، تحقيق: أيمن عبد الجبار البحيري، دار الآفاق العربية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، باب ما يستحب للمرء أن يقوله إذا أوى إلى فراشه، ص: (٣١٥)، رقم: (٩٧٠)، وهذا الأثر إسناده ضعيف لجهالة محمد المذكور في السند، ولأنه يتحدث عن أمر غيبي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد ولا يمكن أن يصدر إلا من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن طاوس لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا فهو ضعيف كذلك؛ لأنه مرسل، والله أعلم.

(٤) - سبق تخريجه ص(٤٤).

المبحث الثالث

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

* * * * *

عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

اهتم جمع من العلماء بعدد آيات السور القرآنية وخاصة علماء القراءات، بل بعضهم صنّف كتبًا في عدد آي السور ككتاب العدد لعطاء بن يسار^(١)، وكتاب سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله لأبي العباس الفضل بن شاذان الرازي^(٢)، وكتاب البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو الداني^(٣)، وكتاب تنزيل القرآن، لابن زنجلة^(٤)، وكتاب جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي^(٥)، وكتاب زهر الغرر في عدد آيات السور لأحمد السلمي الأندلسي^(٦)، ومن المنظومات الحديثة في هذا الباب منظومة الفرائد الحسان في عدّ آي القرآن للشيخ عبد

(١) - هو التابعي الجليل أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية مات سنة أربع وتسعين وقيل بعد ذلك، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٣٩٢)، رقم: (٤٦٠٥).

(٢) - هو الإمام المقرئ أبو العباس الفضل بن شاذان بن عيسى الرازي، أحد الأعلام وشيخ الإقراء بالري الإمام الكبير، ثقة عالم، قال أبو عمرو الداني: "لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه، وعدالته وحسن اطلاعه"، مات في حدود ٢٩٠ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (١٣٦)، الطبقة السابعة، رقم: (٨)، وغاية النهاية في طبقات القراء لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ١٣٥١ هـ: (١٠/٢)، رقم: (٢٥٦٢).

(٣) - هو الإمام القارئ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني القرطبي، رحل في طلب العلم للمشرق والقيروان والأندلس ثم استوطن دانية وإليها نسبته، أحد الأئمة في علم القرآن، من أهل الحفظ والذكاء والتفطن، دنيًا فاضلاً ورعًا سيئًا، توفي سنة ٤٤٤ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (٢٢٦)، الطبقة العاشرة، رقم: (٣٤).

(٤) - هو الإمام القارئ أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، عالم بالقراءات كان قاضيًا مالكيًا، وصنّف كتبًا منها حجة القراءات توفي حوالي سنة ٤٠٣ هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، ص: (٣٢٥/٣).

(٥) - هو الإمام المقرئ المفسر النحوي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه، متقنًا للغة بارعًا في التفسير، متصفيًا بالدين والمروءة والتواضع وحسن الأخلاق، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٦٤٣ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (٣٤٠)، الطبقة الخامسة عشرة، رقم: (١).

(٦) - هو الإمام المقرئ أبو جعفر أحمد بن أحمد بن أحمد بن عامر السلمي الأندلسي، أديب نظم أرجوزة سماها زهر الغرر في عدد آيات السور، مات في حدود سنة ٧٤٧ هـ، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، ص: (٣٧/١).

الفتاح القاضي^(١)، وقد شرحها الشيخ عبد الفتاح في كتابه نفائس البيان شرح الفرائد الحسان.

وقبل الشروع في معرفة عدد آيات سورة السجدة حرّيُّ بي أن ألفت الانتباه إلى أنه لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع؛ لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها إِمَّا هو محض تعليم وإرشاد^(٢).

أمَّا ما يتعلق بعدد آيات سورة السجدة فالمشهور من أقوال أكثر المفسرين أنَّ عدد آياتها ثلاثون آية، وقال بعضهم إنَّ عدد آيات هذه السورة تسع وعشرون آية، وهذا الخلاف بين المفسرين مبنيٌّ على الخلاف في المصاحف ففي المصحف البصري تسع وعشرون آية، وفي بقية المصاحف الكوفية والشامية والحجازية ثلاثون آية، قال أبو عمرو الداني - في سورة السجدة -: "وهي عشرون وتسع آيات في البصري، وثلاثون آية في عدد الباقيين"^(٣)، وقال أبو الحسن علي بن محمد السخاوي: "في سورة السجدة ثلاثون آية في جميع العدد إلا البصري فإنَّها فيه تسع وعشرون"^(٤)، وقال الفيروز آبادي: "عدد آياتها تسع وعشرون عند البصريين وثلاثون عند الباقيين"^(٥)، وقال البقاعي: "عدد آياتها عشرون وتسع في البصري، وثلاثون في عدد الباقيين"^(٦)، وقال الألويسي: "وهي تسع وعشرون آية

(١) - هو الشيخ القارئ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، عالم مبرِّز في القراءات وعلومها وفي العلوم الشرعية والعربية من أفاضل علماء الأزهر، من مؤلفاته: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، والفرائد الحسان في عد آي القرآن، توفي بالقاهرة عام ١٩٨٢م، انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري، مكتبة طيبة - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية: (٦٥٩/٢).

(٢) - انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢٦٧/١)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٢٣٠/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني: (٣٤٠/١).

(٣) - البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ص: (٢٠٧).

(٤) - جمال القراء وكمال الإقراء، لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص: (٣٠٠، ٣٠١).

(٥) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (٣٧٣/١).

(٦) - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: (٣٦٠/٢، ٣٦١).

في البصري، وثلاثون في الباقية"^(١)، وقال ابن عاشور: "وَعُدَّتْ آيَاتُهَا عِنْدَ جُمْهُورِ الْعَادِّينَ ثَلَاثِينَ، وَعَدَّهَا الْبَصْرِيُّونَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ"^(٢).

فالمصحف البصري لم يعد قول الله تعالى: ﴿الْمَ﴾ و﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ موضع آية، فلذلك صار عدد الآيات في المصحف البصري تسعًا وعشرين آية، أمَّا بالنسبة لبقية المصاحف (الكوفي والحجازي والشامي) فعدد آيات السورة عندهم ثلاثون آية، لكن حصل بينهم اختلاف في الآيتين المذكورتين، فالمصحف الكوفي عدَّ ﴿الْمَ﴾ موضع آية بينما المصحفان الحجازي والشامي لم يجعلها موضع آية، والمصحفان الحجازي والشامي عدَّ قول الله تعالى: ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ موضع آية، بينما لم يعدَّها المصحف الكوفي موضع آية، إذًا عدَّ الكوفي ﴿الْمَ﴾ موضع آية، بينما بقية المصاحف لم تجعلها موضع آية، وعدَّ المصحفان الحجازي والشامي قول الله تعالى: ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ موضع آية، بينما لم يعدَّها البصري والكوفي موضع آية، وهذا ما نبَّه عليه الأئمة الأعلام، فقد قال أبو عمرو الداني: -في سورة السجدة- "اختلافها آيتان: ﴿الْمَ﴾ عدَّها الكوفي، ولم يعدَّها الباقون، ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لم يعدَّها الكوفي والبصري، وعدَّها الباقون"^(٣)، وقال أبو الحسن علي بن محمد السخاوي: "اختلافها آيتان: ﴿الْمَ﴾ للكوفي، و﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أسقطها الكوفي والبصري"^(٤)، وقال البقاعي: "اختلافها آيتان: ﴿الْمَ﴾ عدَّها الكوفي وحده، ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لم يعدَّها الكوفي والبصري وعدَّها الباقون"^(٥)، ونظم

(١) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (١١٣/١١).

(٢) - التحرير والتنوير: (٥/٢١).

(٣) - البيان في عدَّ أي القرآن، ص: (٢٠٧).

(٤) - جمال القراءة وكمال الإقراء، ص: (٣٠٠، ٣٠١).

(٥) - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: (٣٦٠/٢، ٣٦١).

الشيخ عبد الفتاح القاضي في سورة السجدة فقال: جديد الحجاز مع شامي^(١)، ومعنى هذا أن قوله تعالى في سورة السجدة ﴿لَنِي خَلَقِ جَدِيدًا﴾ معدود للحجازي والشامي، فيكون متروكًا للبصري والكوفي، وقد دلّ النظم على أن في سورة السجدة موضعًا واحدًا مختلفًا فيه، لكن يزداد في السورة موضع آخر، وهو: ﴿الْمَرَّ﴾ وهو للكوفي فقط، فيكون في السورة موضعان مختلف فيهما^(٢).

(١) - الفرائد الحسان في عد آي القرآن، لعبد الفتاح بن عبد لغني بن محمد القاضي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: (١١).

(٢) - انظر: نفائس البيان شرح الفرائد الحسان، لعبد الفتاح بن عبد لغني بن محمد القاضي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ، ص: (٥٢).

المبحث الرابع

تاريخ نزول السورة

* * * * *

تاريخ نزول السورة

سورة السجدة من السور التي نزلت بمكة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وسورة ألم السجدة نزلت بمكة فهي مكية" ^(١)، ومعنى هذا أنّ السورة نزلت قبل الهجرة وأنّ نزولها كان بمكة، وقد قيل إنّ سورة السجدة من أواخر السور المكية نزولاً؛ أي أنّها نزلت في المرحلة النهائية من العهد المكي ^(٢)، وقيل إنّ نزولها كان بعد الإسراء وقبيل الهجرة ^(٣)، وقد قيل إنّ نزول سورة السجدة كان بعد سورة النحل وقبل سورة نوح ^(٤)، وقيل إنّها بعد سورة "المؤمنون" وقبل سورة الطور ^(٥)، وقيل أيضاً إنّها بعد سورة الشورى وقبل الأنبياء ^(٦).

وكل ما ذكر من الأقوال ليس له مستند صحيح؛ لأنّ ترتيب السور حسب النزول لم يرد فيه حديث صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا أثر صحيح موقوف على أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وقد اعتمد من ذلك من المفسرين على روايات ضعيفة عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن جابر بن زيد ^(٧) ...

(١) - الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النخّاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص: (٦١٩)، قال السيوطي: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين، انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (٤٠/١).

(٢) - انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار تحضة مصر - القاهرة، ١٩٩٧م: (١١/١٣٩)، ومباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م، ص: (١٨٥، ١٨٦) مختصراً.

(٣) - انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ: (٥٥/٧).

(٤) - انظر: البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، ص: (١٣٦).

(٥) - انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/١٩٣).

(٦) - الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/٩٧).

(٧) - هو التابعي الجليل أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري، مشهور بكنيته، ثقة فقيه، من الطبقة الثالثة، مات سنة ٩٣هـ، وقيل ١٠٣هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (١٣٦)، رقم: (٨٦٥).

وعكرمة^(١) والحسن بن أبي الحسن^(٢) من التابعين، يفهم ممَّا ذكر أنَّ نزول سورة السجدة لم يثبت له زمن معين أو حادثة محددة ترشدنا إلى وقت نزولها، إنَّما الذي يفهم أنَّها نزلت بمكة فهي مكية، وسورة السجدة هي السورة الثانية والثلاثون في ترتيب المصحف.

وإذا تقرَّر أنَّ سورة السجدة سورة مكية وأنَّ نزولها كان في مكة فإنَّ السور المكية ومنها سورة السجدة قد أثبتت القواعد الأساسية لهذا الدين كالتصديق برسالة محمد ﷺ، وإثبات البعث والنشور، والجنَّة والنَّار، وتحقيق العبودية المحضة لله تعالى لكنَّ المشركين أنكروا هذه القواعد، وصدَّوا الناس عن الإيمان بها، وأدَّوا من آمن بها، وألقوا الشبه لردِّها، وافتروا على رسول الله ﷺ واتهموه بأنَّه ساحر ومجنون وكاهن وغير ذلك من الأوصاف الدنيئة هذا بعد أن كان صادقًا أمينًا في قومه قبل بعثته ﷺ.

وأنكروا كذلك البعث والنشور والجزاء والحساب، واستحالوا قدرة الله على ذلك بزعمهم أنَّهم بعد أن يضلُّوا في الأرض ويصيروا عظامًا ورفاتًا يستحيل أن يُخلقوا ويعودوا من جديد، ونسوا أو تناسوا أنَّ الله أوجدهم من عدم، وغفلوا عن أمر بدهي وهو أنَّ القادر على الابتداء قادر على الإعادة، وأنَّ القادر على خلق هذا العالم العظيم الفسيح - من سماوات وأرض وشمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب وغير ذلك - قادر لا محالة على إعادة خلق الإنسان الضعيف بعد موته.

وأعظم ما أنكره المشركون في العهد المكي توحيد الألوهية وهو الغاية من خلق العباد، وعلى هذا الأصل العظيم كان مدار دعوته ﷺ في العهد المكي، فجاءت السور المكية ومنها سورة السجدة لتؤكد هذا الأساس العظيم وتبرهن عليه بالأدلة كتذكير كفار قريش بالنعم التي امتنَّ الله بها عليهم من ابتداء خلقهم من سلالة من طين، ثم حفظ النطفة في مستودع وقرار مكين، ثم أطوار الخلق علقه ثم مضغة ثم عظام ثم كسوة العظام لحمًا، وكل هذه الأطوار التي يمر بها الجنين كلها في حفظ الله لمن أراد الله له الحياة، وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار، فالذي حفظ هذا الإنسان الضعيف في مراحل الأولى في

(١) - هو التابعي الجليل أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، من الثالثة مات سنة ١٠٤ هـ، وقيل بعد ذلك، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٣٩٧)، رقم: (٤٦٧٣).

(٢) - هو التابعي الجليل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠ هـ، وقد قارب التسعين، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (١٦٠)، رقم: (١٢٢٧).

حياته وهو معرّضٌ لكثير من الأخطار، أفلا يستحق أن نفرده بالعبادة وأن نمثّل أوامره ونجتنب نواهيه؟

ومن نعم الله كذلك إنزال القطر من السماء والنفع الحاصل للإنسان أولاً وللبهائم والنباتات ثانياً والتي هي مخلوقة لهذا الآدمي لينتفع بها من مأكّل ومشرب ومركب وملبس وغير ذلك، قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾^(١).

ومن منن الله كذلك خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار ليتأمل العباد قدرة الله في هذا الكون الرحب، وليعلموا أنّ هذا العالم يسير بانتظام وإحكام لا يطرأ عليه تخبط ولا عشوائية؛ لأنّه من صنع رب العالمين الذي أحسن كل شيء خلقه، وليشكروا الله على هذه المنن المتتابعة، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾^(٢).

وفي تفضل الله على عباده بهذه الآلاء لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهي أدلة ساطعة على أنّ المتفضل بهذه النعم هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، والغرض من سوق هذه الآلاء حتى يرجع المستكبر عن كبريائه، والمعرض عن إعراضه، ولكن لا فائدة مع من أعمى الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة، فانقلبت هذه النعم في حقهم

نقمًا، وصارت وبلاً عليهم وشقاءً في دنياهم وأخرهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾^(٣)، فهم كما قال الله فيهم: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾^(٤)؛ لأنّ لهم عقولا لكنهم عطّلوها فلم يستفيدوا منها

ويسخروها فيما ينفعهم في دنياهم وأخرهم، وهم أيضًا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنْ شَرَّ

الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ

(١) - سورة البقرة، رقم الآية: (٢٩).

(٢) - سورة إبراهيم، رقم الآية: (٣٤)، وسورة النحل، رقم الآية: (١٨).

(٣) - سورة إبراهيم، رقم الآية: (٢٨).

(٤) - سورة الفرقان، رقم الآية: (٤٤).

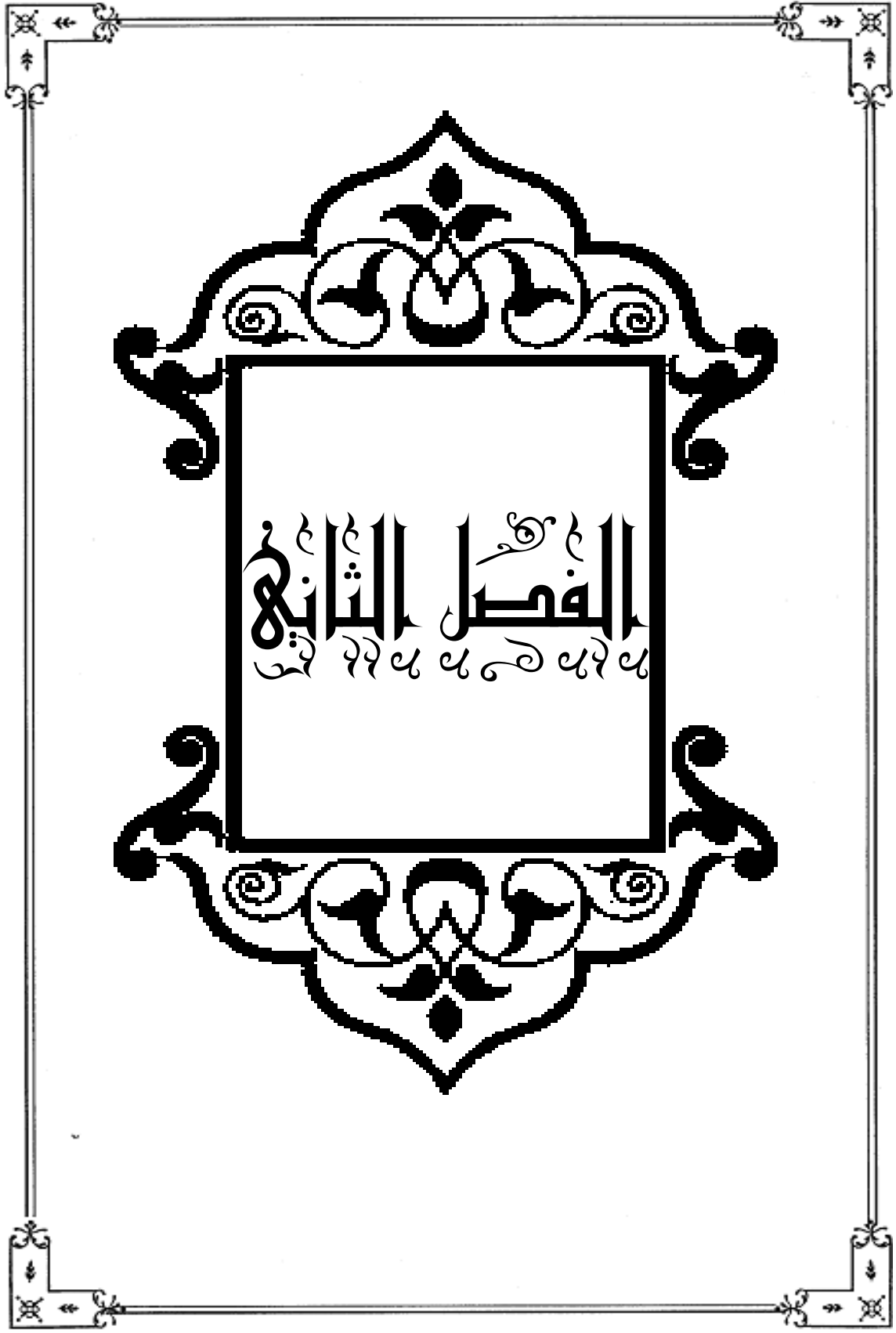
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾، فلو أعملوا قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم لعرفوا أن الحق فيما جاء به محمد ﷺ لكنَّ الحسد والكبر وتشبثهم بعبادات آبائهم منعهم من اتباع الحق والخضوع له، ومن الأدلة الدالة على إثبات توحيد الألوهية الاستدلال بتوحيد الربوبية عليه كقوله تعالى: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿٢﴾، وقوله: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٣﴾، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض والمدير لهذا الكون الفسيح وهو الذي سخر الشمس والقمر لمنافع العباد فجعل الشمس ضياءً والقمر نورًا، وجعل النهار معاشًا والليل لباسًا، فإذا كان هذا كله تحت تصرفه وتديره وأنتم تقرون بهذه الحقيقة، فكما أقرتم بذلك واعترفتم به فيلزمكم كذلك أن تقرُّوا بالعبودية له وحده لا شريك له وأن تجتنبوا عبادة الأصنام؛ لأنَّه ليس لها أي تصرف أو تدبير في هذا الكون فهي لن تنفعكم ولن تضركم؛ لأنَّها لا تستطيع أن تجلب النفع لنفسها أو تدفع الضر عنها كذلك ففاقد الشيء لا يعطيه.

ومع كل الأدلة لهذه الأصول الثلاثة التي أثبتتها السورة المكية وأكَّدتها في سورة كثيرة وآيات عديدة ومنها سورة السجدة إلا أنَّها قوبلت من كفار قريش بالإنكار والجحود وزادوا على ذلك أن صدُّوا الناس عن الإيمان بهذه الأصول، ونكَّلوا من آمن بها فساموهم سوء العذاب، وقتلوا من قتلوا، وأجبروا كل من لم يكن له ناصر ينصره على الهجرة إلى الحبشة مرتين، كذلك عزمهم واتفاقهم على قتل رسول الله ﷺ حصل لهم كل ذلك لأنَّهم آمنوا بهذه الأصول الثلاثة التي أثبتتها السور المكيَّة ومنها سورة السجدة.

(١) - سورة الأنفال، رقم الآية: (٢٢، ٢٣).

(٢) - سورة العنكبوت، رقم الآية: (٦١).

(٣) - سورة المؤمنون، رقم الآية: (٨٤، ٨٥).



الفصل الثاني
في معرفة الهمزة

الفصل الثاني

مكي السورة ومدنيها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها
واختصاصها بما اختصت به

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: المكي والمدني في السورة. 

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها. 

المبحث الثالث: اختصاص السورة بما اختصت به. 

* * * * *

المبحث الأول

المكي والمدني في السورة

* * * * *

المكي والمدني في السورة

تقرّر فيما سبق أنّ سورة السجدة سورة مكية لكنّ الخلاف بين المفسرين هل السورة كلّها مكية بلا استثناء، أم أنّ غالبها مكية وفيها بعض الآيات المدنية؟
القول الأول: يرى أنّ السورة كلّها مكية بلا استثناء، وقد أيد هذا القول عدد من المفسرين أمثال يحيى بن سلام^(١) وابن أبي زمنين^(٢) وابن الجوزي^(٣) وابن عاشور^(٤) ومحمد عزة دروزة^(٥).
القول الثاني: يرى أنّ السورة غالبها مكية، وفيها بعض الآيات المدنية، وسار على هذا القول كثير من المفسرين^(٦)، ثم اختلف أصحاب هذا القول في عدد الآيات المدنية في السورة، فقد روي عن مقاتل بن سليمان^(٧) أنّه يرى أنّ آية واحدة نزلت بالمدينة في الأنصار وهي قوله تعالى: ﴿نَتَجَافَى

(١) - انظر: تفسير يحيى بن سلام: (٦٨٤/٢).

(٢) - تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: (٣٨٠/٣)، وابن أبي زمنين هو: لإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة، تفنن واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق، وكان صاحب جد وإخلاص، له مصنفات من أشهرها تفسير القرآن العزيز وأصول السنة، توفي سنة ٣٩٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٨٨/١٧).

(٣) - زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: (٤٣٧/٣)، وابن الجوزي هو: الإمام العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري القرشي الحنبلي، صاحب التصانيف علامة السير والتاريخ وبحر التفسير، توفي سنة ٥٩٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٦٥/٢١).

(٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٤/٢١).

(٥) - التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣هـ: (٣٤٠/٥)، ومحمد عزة بن عبد الهادي دروزة مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي فلسطيني، كان أديبًا ومؤرخًا وصحفيًا مترجمًا ومفسرًا للقرآن، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: التفسير الحديث وسيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن، توفي بدمشق سنة ١٤٠٤هـ، انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الشبكة العنكبوتية.

(٦) - وصلت إلى هذه النتيجة من خلال استقراءي وتتبعي لأكثر التفاسير.

(٧) - هو المفسر أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني البلخي نزيل مرو، كذبوه وهجروه ورمي بالتحسيم، من الطبقة السابعة، مات سنة ١٥٠هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٥٤٥)، رقم: (٦٨٦٨).

﴿... جُنُوبِهِمْ...﴾^(١)، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وعطاء والكلبي^(٢) أن الآيات المدنية في السورة ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾^(٣)، وعلى هذا أغلب المفسرين، وقيل إن الآيات المدنية في السورة خمس آيات من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾^(٤).

وقد اعتمد أصحاب القول الأول على أن الأصل إذا كانت السورة مكية فإنه يطلق على جميع آياتها لا غالبها، أما ما ورد وقيل إن آية أو ثلاث آيات أو خمس آيات نزلت بالمدينة فيما أن يكون من قبيل التفسير أو أن الرواية ضعيفة إضافة إلى ذلك أن الآيات التي قيل إنها نزلت بالمدينة متناسقة ومنسجمة مع ما قبلها وما بعدها من الآيات المكية^(٥).

أما أصحاب القول الثاني فمن يرى أن المدني في السورة آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ فقد اعتمد على الرواية التي قيلت إنها سبب في نزول هذه الآية وهي ما روي عن أنس بن مالك^(٦) رضي الله عنه قال: نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا

(١) - تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٣هـ: (٤٤٧/٣).

(٢) - هو النسابة المفسر أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، متهم بالكذب ورمي بالرفض، من الطبقة السادسة، مات سنة ١٤٦هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٧٩)، رقم: (٥٩٠١).

(٣) - انظر: الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، ص: (٦١٩)، والبيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، ص: (٢٠٧)، والنكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ: (٣٥٢/٤).

(٤) - انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣٥٢/٤).

(٥) - انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣١/١)، والإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (١١٧/١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٤/٢١)، والتفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٤٠/٥).

(٦) - هو الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، توفي سنة إحدى وتسعين وقيل غير ذلك، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٢٩٤/١)، رقم: (٢٥٨).

نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ فنزلت فينا ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾^(١).

أما من يرى أنَّ المدني ثلاث آيات في السورة من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴾ فقد اعتمد على الرواية التي قيلت إنها سبب في نزول هذه الآيات فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزل: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(٣)، على أنَّ هذا الحدث - كما قالوا - كان بعد الهجرة وقبل إسلام الوليد بن عقبة رضي الله عنه فتكون هذه الآيات مدنية بهذا الاعتبار.

(١) - تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ: (٣٣١/٧)، وهذا الأثر إسناده ضعيف؛ لأنَّ فيه المسيب بن شريك وهو ضعيف، قال ابن سعد: "وكان ضعيفا في الحديث لا يحتج به" الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠ هـ: (٢٣٩/٧)، وقال الإمام مسلم: "متروك الحديث"، الكنى والأسماء، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ: (٣٦٣/١).

(٢) - هو الصحابي الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح فتح مكة، ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة، وكان من رجال قريش ظرفاً وحلماً، وشجاعةً وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين، الصحيح عند أهل الحديث أنَّه شرب الخمر، وتقيأها، عُزِلَ عن الكوفة، أقام بالرَّقَّةِ إلى أن توفي بها، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٤٢٠/٥)، رقم: (٥٤٧٥).

(٣) - فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، فضائل علي رضي الله عنه، (٦١٠/٢) رقم: (١٠٤٣)، وفيه الكلبي وهو ضعيف، قال ابن حجر: "متهم بالكذب ورمي بالرفض"، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٧٩)، رقم: (٥٩٠١)، والأعاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية: (١٥٣/٥)، وفيه ابن أبي ليلى وهو متهم بأنَّه سيئ الحفظ جداً، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٩٣)، رقم: (٦٠٨٠)، وأسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، عالم الكتب - بيروت، بدون تاريخ، ص: (٢٦٣)، وفيه كذلك ابن أبي ليلى.

أما من يرى أنَّ المدني خمس آيات في السورة من قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ ﴾ فقد استند أيضا على الروایتين التي ذكرتهما وهما ما روي عن أنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهما، وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فقد حكموا عليها أيضا بأنها مدنية؛ لأنَّ لها اتصال بما قبلها في المعنى فتكون بهذا الاعتبار أيضا مدنية.

وعند النظر في هاتين الروایتين وجدت أنَّهما ليستا سببًا في نزول بعض آيات السورة وبالتالي لا يحكم على الآيات التي استثنت من السورة أنَّها مدنية؛ لأنَّ الرواية الأولى عن أنس بن مالك رضي الله عنه من قبيل التفسير، والرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما عارية عن الصحة، وإليك تفصيل ذلك في مسألتين:

المسألة الأولى: ذكرت أقوال قيل إنَّها سبب في نزول قول الله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... ﴾.

القول الأول: قيل إنَّها نزلت في انتظار صلاة العشاء^(١)، ودليلهم ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إنَّ هذه الآية ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة"^(٢)، وما روي عنه أيضًا قال: "نزلت فينا معاشر الأنصار كُنَّا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فينا ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾"^(٣).

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٨/٢٠).

(٢) - سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة السجدة: (٣٤٦/٥)، رقم: (٣١٩٦)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحكم الألباني عليه بأنه صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، للألباني: (١٩٦/٧)، رقم: (٣١٩٦).

(٣) - سبق تخريجه ص (٦٦).

القول الثاني: قيل إنها نزلت في صلاة العشاء^(١) ودليلهم ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال: "نزلت ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ في صلاة العشاء"^(٢).

القول الثالث: قيل إنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء^(٣)، ودليلهم على ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إنَّ هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء"^(٤)، القول الرابع: قيل إنها نزلت في قيام الليل، وهو قول الحسن البصري ومجاهد^(٥)، ودليلهم على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾"^(٦).

من الملاحظ في الأقوال الواردة في الآية أنها قد اجتمعت على صيغة واحدة وهي نزلت في كذا وإن اختلفت الأقوال، والقاعدة عند المفسرين أنَّ الصحابي أو التابعي إذا قال نزلت الآية في كذا فإنَّ هذه صيغة محتملة للسببية فقد تكون من قبيل التفسير وقد تكون سببًا في نزول الآية، قال ابن تيمية^(٧): "قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أنَّ

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٩/٢٠).

(٢) - التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، بدون تاريخ: (٣٤٤/٢)، رقم: (٢٦٩٠)، والأثر إسناده ضعيف؛ لأنَّ في سنده من هو مجهول.

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٩/٢٠).

(٤) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٩/٢٠)، والأثر إسناده ضعيف؛ لأنَّ فيه الحارث بن وحيه الراسبي وهو ضعيف، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (١٤٨)، رقم: (١٠٥٦).

(٥) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٠/٢٠)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (٤٥٢/٣).

(٦) - مسند الإمام أحمد، مسند معاذ بن جبل: (٣٤٤/٣٦)، رقم: (٢٢٠١٦)، وسنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة: (١٢/٥)، رقم: (٢٦١٦)، والحديث صحَّحه الألباني، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، للألباني: (١٩٦/٧)، رقم: (٣١٩٦).

(٧) - هو الإمام العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السلام الحراني، المشهور بابن تيمية، صنَّف في فنون العلم في الأصول والفروع، توفي مسجونًا في قلعة في دمشق سنة ٧٢٨هـ، انظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ: (١١/٧).

ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: "نزلت هذه الآية في كذا"، هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند وغيره لا يدخله فيه وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد^(١) وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند^(٢)، قال الزركشي^(٣): "قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع"^(٤)، فاختلاف الأقوال الواردة في سبب نزول الآية، والتعبير في هذه الأقوال بصيغة واحدة وهي أنها "نزلت في كذا وكذا" يدل على أن هذه الأقوال هي تفسير للآية لا ذكر لسبب نزولها، وقال السيوطي: "كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة فإن عبّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا والآخر: نزلت في كذا، وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول"^(٥)، فمن حكم على الآيتين وهما قول الله تعالى: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أنهما مدنيتان بناء على ما قيل إنها أسباب في نزول هاتين الآيتين فقد جانب الصواب، بل الصحيح أن هاتين الآيتين مكيتان.

(١) - هو إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي، نزيل بغداد، ثقة حافظ فقيه حجة، وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة ٢٤١هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٨٤)، رقم: (٩٦).

(٢) - مقدمة في أصول التفسير، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٤٠٠هـ، ص: (١٦).

(٣) - هو العالم العلامة المصنف المحرر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي، كان فقيهاً أصولياً أديباً فاضلاً، دُرّس وأُفتي، توفي سنة ٧٩٤هـ، انظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الشهبي المعروف بابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ: (١٦٧/٣)، رقم: (٧٠٠).

(٤) - البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣١/١).

(٥) - الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (١١٧/١).

ومما يدل كذلك على أن قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ آيتان مكيتان ملاءمتها وانسجامهما مع ما قبلهما سبغاً وموضوعاً^(١)، فهاتان الآيتان هما امتداد لما قبلهما في ذكر صفات المؤمنين فبعدما ذكر الله تعالى أن أهل الإيمان هم الذين يؤمنون بآيات ربه الكونية والسمعية وأنهم إذا ذكروا بهذه الآيات العظيمة سمعوها فقبلوها وانقادوا لأوامر الله وابتعدوا عن نواهيه ووقعوا ساجدين خاضعين لله خضوع ذكر لله وفرح بمعرفته وتنزيهاً وتقديساً لله عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، ثم بين حالهم أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله مطلقاً بل يأتونها متذللين خاشعين، ثم ذكر بعض صفاتهم أيضاً وهي أنهم يباعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد وأنهم يدعون ربه خوفاً وطمعاً في حال صلاتهم وفي غيرها وهو دعاء تميّز بخوفهم من عذاب ربه وطمعهم في رحمته فهم يسألون ربه النجاة من النار ودخول الجنة، ثم جعل مسك ختام صفاتهم أنهم يتصدقون بفضول أموالهم زيادة على أداء الزكاة كتهددهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس، وأمّا جزاؤهم فلا يعلم أحد ما أخفي لهم من قرة أعين من الخير الكثير والنعيم الغزير والفرح والسرور واللذة والحبور كما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"^(٢)، فكما صلوا في الليل ودعوا وأخفوا العمل جزاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم جزاء بما كانوا يعملون^(٣).

إذاً قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، امتداد لذكر صفات المؤمنين المتقين الواردة في الآية السابقة ووصف لحالهم يوم القيامة من حسن الجزاء ولذة النعيم، فلو كانت هاتان الآيتان مدنيتين فإنه يلزم أن تكون ما

(١) - انظر: التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٥/٣٤٠).

(٢) - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة: (٤/١١٨)، رقم: (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: (٤/٢١٧٤)، رقم: (٢٨٢٤).

(٣) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢٠هـ، ص: (٦٥٥)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ: (٤/٢٣٠).

قبلهما كذلك؛ لأنَّ سياق الآيات ومعناها واحد، وهذا غير متحقق في الآية التي قبلهما؛ لأنَّ ما قبلهما مكِّيَّة باتفاق، ومما يؤيِّد كذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿ تَجَافَى جُنُوبَهُمْ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ آيتان مكيتان أنَّ الأقوال التي قيلت إنَّها نزلت في انتظار صلاة العشاء أو في صلاة العشاء لا يناسب سياق الآيتين ومعناها؛ لأنَّ الراجح في هاتين الآيتين أنَّهما تتحدثان عن صلاة النوافل بالليل كما قال الجمهور من المفسرين^(١)، وهو الظاهر من معنى الآية وسياقها، قال ابن جرير: - بعد سرد الأقوال في معنى هذه الآية - "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنَّ الله وصف هؤلاء القوم بأنَّ جنوبهم تنبو^(٢) عن مضاجعهم، شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وذلك نبؤ جنوبهم عن المضاجع ليلاً؛ لأنَّ المعروف من وصف الواصف رجلاً بأنَّ جنبه نبا عن مضجعه، إنَّما هو وصف منه له بأنَّه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار - ثم قال بعد ذلك - فإنَّ توجيه الكلام إلى أنَّه معنيٌّ به قيام الليل أعجب إلي؛ لأنَّ ذلك أظهر معانيه والأغلب على ظاهر الكلام وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ^(٣)، إشارة منه إلى حديث معاذ بن جبل^(٤) رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال له: "ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿ تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾"^(٥)، فإذا كان الراجح أنَّ المراد بتجافي الجنوب عن المضاجع في الآية قيام الليل

(١) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المعروف بابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: (٤/٣٦٢).

(٢) - أي تبتعد، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (٦/٢٥٠٠).

(٣) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (٢٠/١٨٠، ١٨١).

(٤) - هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي الأنصاري أبو عبد الرحمن، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، أعلم الناس بالحلال والحرام، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٥/١٨٧)، رقم: (٤٩٦٠).

(٥) - مسند الإمام أحمد، مسند معاذ بن جبل رضي الله عنه، (٣٦/٣٤٤)، رقم: (٢٢٠١٦)، وسنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة: (٥/١٢)، رقم (٢٦١٦)، والحديث صحَّحه الألباني

فإنَّ قيام الليل لم يكن مما قد شرع ابتداءً في المدينة، بل أول ما شرع كان في مكة، لأنَّ الآيات في سورة المزمل وهي قوله تعالى: ﴿ قِرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ ﴿٢﴾ نِصْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۚ ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۚ ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۚ ﴿٦﴾ مكية بالإجماع^(١).

إذَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ ... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ آيتان مكيتان للأدلة التي ذكرتها، والله أعلم.

المسألة الثانية: قد وردت رواية قيل إنها سبب في نزول قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾، وهذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾"^(٢) على أنَّ هذا الحدث - كما قيل - كان بعد الهجرة فتكون هذه الآيات مدنية بهذا الاعتبار.

وعند النظر في هذه الرواية بطرقها وإلقاء الضوء عليها وجدت أنها ضعيفة؛ لأنَّ مدارها على محمد بن السائب الكلبي أو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد تُكَلِّم فيهما فمحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض^(٣)، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٤) حفظه سيء جداً، إذاً من اعتمد على هذه الرواية فحكم على الآيات من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ

فقَالَ: "صحيح لغيره"، صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الخامسة: (٥٧/٣)، رقم: (٢٨٦٦).

(١) - انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (٦٦/١).

(٢) - سبق تخريجه ص (٦٦).

(٣) - انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٧٩)، رقم: (٥٩٠١).

(٤) - هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي صدوق سيء الحفظ جداً، من السابعة، مات سنة ٤٨ هـ، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٤٩٣)، رقم: (٦٠٨٠).

فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴿ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ

تُكذِّبُونَ ﴾ أنَّها مدنية فقد أخطأ؛ لأنَّ هذه الرواية ضعيفة.

والصحيح أنَّ هذه الآيات عامة في كل مؤمن وفاسق - والمراد بالفاسق الكافر لا المؤمن العاصي - أمَّا ما ورد من كون الآيات نازلة في علي والوليد بن عقبة رضي الله عنهما فإنه لا يصح وهو من بدع التأويل كونها خاصة في علي والوليد؛ لأنَّ السبب الذي ورد في نزولها ضعيف^(١)، وإذا كانت هذه الآيات عامة في كل مؤمن وفاسق فلا يصح أن نقول إنَّها مدنية بل هي على الأصل وعلى نحو ما سارت عليه جميع آيات السورة من كونها مكية، والله أعلم.

إذا فالراجع في هذا الموضوع أنَّ السورة كلُّها مكية بلا استثناء؛ لما ثبت بالأدلة التي ذكرتها، والله

أعلم.




(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٤/٢١)، وحاشية زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرزاق المهدي:

(٣/٤٤١).

المبحث الثاني

مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

وفيه ستة مطالب: -

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها. 

المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها. 

المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها. 

المطلب الرابع: المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها. 

المطلب الخامس: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما بعدها. 

المطلب السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها. 

* * * * *

المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها

لمَّا ذكر سبحانه فيما قبل سورة السجدة دلائل التوحيد وهو الأصل الأول، ثم ذكر جلَّ وعلا المعاد وهو الأصل الثاني وختم جلَّ شأنه به سورة لقمان ناسب أن يذكر تعالى في بدء هذه السورة الأصل الثالث وهو تبين الرسالة فقال: ﴿الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (٢) **أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝** (٣) (١).

فهذه الأصول الثلاثة من أصول الاعتقاد يكثر ذكرها في السور المكية وغالبًا ما تكون مجتمعة، فإذا ذكر أحد هذه الأصول ناسب أن يذكر الأصولين الباقيين كما هو متحقق في سورة لقمان والسجدة فقد ذُكرت دلائل التوحيد في مطلع سورة لقمان واستمر التنصيص على هذه الأدلة حتى خاتمة السورة، وفي خاتمة السورة جاء ذكر الأصل الثاني وهو المعاد، ثم جاءت فاتحة سورة السجدة لتُثبِت الأصل الثالث من أصول الاعتقاد وهو صدق رسالة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها

لمَّا كانت فاتحة سورة لقمان محتويةً من التنبيه والتحريك على أن مجموع دلائل توحيد الألوهية هي من آيات الكتاب وشواهد ودلائله، ومعلّمةً بانفراده سبحانه بخلق الكل وملكهم أتبعها تعالى بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب وأنه من عنده وأن ما انطوى عليه من الدلائل والبراهين يرفع كل ريب ويزيل كل شك فقال: ﴿الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (٢) **أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۝** (٣) (٢).

ففاتحة سورة لقمان ذكرت أن كتاب الله قد اشتمل على دلائل توحيد الألوهية، وجاءت فاتحة سورة السجدة لتثبت أن هذا الكتاب - الذي اشتمل على هذه الدلائل - هو تنزيل من

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٣٥/٢٥)، والبحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ: (٤٢٨/٨).

(٢) - انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٤١٠هـ، ص: (٢٧٧، ٢٧٨) بتصرف يسير.

رب العالمين، فهو كتاب حقّ وصدق، كذلك افتتاح كلتا السورتين بنفس الحروف المقطعة بقوله تعالى: ﴿الْم﴾، والإشادة كذلك بكتاب الله، ففي سورة لقمان: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾، وفي سورة السجدة: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ فآيات القرآن الكريم موصوفة بالحكمة والهداية والرحمة؛ لأنّ هذه الآيات هي تنزيلٌ من رب العالمين.

المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها

المناسبة بين مضمون سورة السجدة ومضمون سورة لقمان اشتمال كلٍّ على دلائل الألوهية^(١)، فقد تضمنت سورة لقمان إثبات دلائل التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي إلقاء الرواسي في الأرض حتى لا تضطرب بالبشر وفي إنزال الغيث من السماء وإخراج النبات من الأرض وفي علم ما خفي وغاب عن أعين الناس وفي تسخير النعم ظاهرة وباطنة لبني آدم وفي إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل وفي تسخير الشمس والقمر لمنافع الخلق وفي علم الله تعالى بأعمال العباد وفي جريان السفن في البحر بنعمة الله وهي تحمل السلع والبضائع لينتفع بها الناس وفي إنقاذ من شاء من العباد من الهلاك في لجج البحار وفي علمه ما في الأرحام من الأطوار التي يمر بها الجنين وفي علمه ماذا تكسب كل نفس في مستقبلها وبالأرض التي تموت فيها.

كما تضمنت سورة السجدة دلائل توحيد الألوهية في خلق السماوات والأرض في ستة أيام وفي استوائه على عرشه استواء يليق بجلاله وعظيم سلطانه وفي تدبير أمر المخلوقات وفي علمه كل شيء غائبًا كان أم مشاهدًا وفي إتقانه خلق كل شيء ومن ذلك خلق آدم عليه السلام من طين وخلق ذريته من ماء مهين ومراحل النمو التي مرَّ بها الإنسان وفي قدرته على قبض أرواح العباد وبعثهم من قبورهم للحساب وفي قدرته على إكرام المؤمنين بدخول الجنة وإذلال الكافرين بدخول النَّار وفي قدرته على الفصل بين العباد يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وفي قدرته على إهلاك الكافرين من القرون السابقة وفي قدرته على إنزال المطر من السماء وإنبات الزرع من الأرض اليابسة لينتفع به الإنسان والحيوان.

(١) - انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١١٣/١١) بتصرف يسير.

المطلب الرابع: المناسبة بين خاتمة السورة و فاتحة ما بعدها

لما خُتِمت سورة السجدة بالإعراض عن الكافرين وانتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين افتتحت سورة الأحزاب بالأمر بالتقوى والنهي عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مساترين، والأمر باتباع الوحي الذي أعظمه الكتاب تنبيهاً على أن الإعراض إنما يكون طاعة لله مع مراعاة تقواه فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

وأشبه بهذا الربط بين خاتمة سورة السجدة و فاتحة سورة الأحزاب ما قاله السيوطي حيث قال: "وجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع هذه ومقطع تلك؛ فإنَّ تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، ومطلع هذه الأمر بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فصارت كالتمتة لما ختمت به تلك حتى كأنهما سورة واحدة"^(٢).

المطلب الخامس: المناسبة بين فاتحة السورة و فاتحة ما بعدها

افتتحت سورة السجدة بالتنويه بشأن القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ بأن تنزيهه كان من رب العالمين، والرد على المشركين الذين افتروا على رسول الله ﷺ كذباً وبهتاناً بأنه قد اختلق القرآن من تلقاء نفسه، قال تعالى: ﴿الرَّ ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣).

وجاءت فاتحة سورة الأحزاب لتأمر النبي ﷺ باتباع أوامر هذا الوحي الذي أنزل إليه من ربه واجتناب نواهيه فلا يطع المشركين والمنافقين - الذين كذبوا عليه بافتراء هذا القرآن - المخالفين لما جاء في هذا الوحي المنزل إليه من رب العالمين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾.

(١) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٧٣/١٥، ٢٧٤).

(٢) - أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة - القاهرة، ٢٠٠٢م، ص: (١٢٤).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٤/٢١).

المطلب السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها

المناسبة بين مضمون سورة السجدة ومضمون سورة الأحزاب اشتمال كلتا السورتين على وجوب اتباع ما جاء في القرآن الكريم من عقائد وتشريعات، فقد تضمنت سورة السجدة وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، وإثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى، ووجوب إفراد الله بالعبادة وإخلاص الدين له، وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته، ووجوب الإيمان بحقيقة البعث والنشور والحساب والجنة والنار، وفضيلة التسبيح في الصلاة وهو سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود، وذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله، وفضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد والدعاء خوفاً وطمعاً، وبيان ما تنال به الإمامة في الدين وهو الصبر وصحة اليقين، كما تضمنت سورة الأحزاب الأمر بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، والأمر بالتوكل على الله، وتحريم الظهار، وإبطال التبني، وبطلان التوارث بالمؤاخاة والمهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام، ووجوب توحيد الله تعالى في عبادته ودعوة الناس إلى ذلك، ووجوب الوفاء بالعهد، ووجوب الاقتداء برسول الله ﷺ في كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه، وتحريم الغدر، وحرمة ترفيق المرأة صوتها وتليين عباراتها إذا تكلمت مع أجنبي، ووجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لا بد منها، وحرمة التبرج، وجواز الزواج بعد الطلاق من زوجة الابن المتبنى به، وجواز الطلاق قبل البناء، ووجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال، وحرمة أذية رسول الله ﷺ، وحرمة نكاح أزواج الرسول ﷺ بعد موته، وعظيم الحرمة لمن يؤذي الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، ووجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها، ووجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء، ووجوب رعاية الأمانة وأدائها حق أداء^(١).

(١) - انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (٤/٢٢٣ - ٣٠٠) مختصراً من هداية الآيات.

المبحث الثالث

اختصاص السورة بما اختصت به

* * * * *

اختصاص السورة بما اختصت به

المراد بخصائص السورة هي ما امتازت به هذه السورة من خصائص تختلف بها عن بقية السور بحيث تكسبها خصوصية لا تشاركها غيرها من السور في خصائصها؛ لأنَّ "الخصيصة هي الصفة التي تميز الشيء وتحدده"^(١).

فمما امتازت به هذه السورة عن غيرها من السور:

١- تسميتها بسورة السجدة فلا توجد أي سورة من سور القرآن لها نفس الاسم، ووجه اختصاصها بهذا الاسم؛ لأنَّ "اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من الإحبات وترك الاستكبار"^(٢).

٢- عرضها للمدة التي ينزل فيها الملك بأمر المخلوقات من السماء إلى الأرض ثم يصعد إلى السماء ليعرض على ربه أمر مخلوقاته، وهذه المدة مقدارها يوم من أيام الله، ومقدار ذلك اليوم في عدد أيام الدنيا عند النَّاس ألف سنة^(٣)، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، ووجه اختصاص السورة بهذه الخصيصة هو إثبات عظمة الله تعالى، وحكمته في تدبير شؤون خلقه حتى يسلم المعاند بتوحيد الألوهية فيقرَّ بأنَّ الله تعالى هو المعبود الحق دون سواه، وبالتالي يؤمن بالقرآن الكريم وأنه كلام الله، وأنَّ رسول الله ﷺ حق من عند الله، وأنَّ البعث والنشور والجنة والنار حق لا شك فيه.

٣- تصريحها بذكر ملك الموت الذي يقبض الأرواح، وقد جاء ذكره صراحة في الآية التي

(١) - المعجم الوسيط، مجموعة من اللغويين المعاصرين: (٢٣٨/١).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٢/١٥).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٧/٢٠، ١٦٨)، وهذا القول منسوب إلى ابن

عباس **رضي الله عنه**، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

رَدَّتْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِحَقِيْقَةِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ بِتَهْدِيدِهِمْ وَتَخْوِيفِهِمْ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ مِنْ قَبْلِ مَلِكِ الْمَوْتِ وَرَجُوعِهِمْ إِلَى اللَّهِ لِمَجَازَاتِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ لِلْبَعْثِ وَالنَّشُورِ^(١)، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَنْوَفِّقُكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وَوَجْهَ اخْتِصَاصِ السُّورَةِ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّهْدِيدِ^(٢)؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ بَلَّغُوا فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ مَبْلَغًا عَظِيمًا مِنَ الْكُذْبِ وَالْجُحُودِ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الظَّاهِرَةِ فَنَاسِبٌ أَنْ يَهْدِدَهُمْ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّهْدِيدِ فِي مَقَابِلِ إِنْكَارِهِمْ وَجُحُودِهِمْ.

٤- ذَكَرَهَا لِحَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ وَالنَّشُورِ عِنْدَ وَقُوفِهِمْ أَمَامَ رَبِّهِمْ مَطَّاطِينَ رُؤُوسِهِمْ فِي مَشْهَدٍ مَلِيٍّ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ وَالْمُهَانِ^(٣)، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وَوَجْهَ اخْتِصَاصِ السُّورَةِ بِهَذَا الْمَوْقِفِ الْمُخْزِيِّ لِلْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنََّّهُمْ كَمَا تَكَبَّرُوا وَاسْتَهْزَؤُوا بِحَقِيقَةِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ حَالِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

٥- ذَكَرَهَا لِصِفَةِ عَظِيمَةِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ وَهِيَ مَبَاعِدَةٌ جَنُوبُهُمْ عَنِ الْفَرْشِ اللَّيْنَةِ، وَعَنْ لَذَّةِ النَّوْمِ؛ فِزْعًا إِلَى خَالِقِهِمْ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَلَذُّدًا بِمَنَاجَاتِهِ وَإِنْكَسَارًا لِجَلَالِهِ يَدْعُونَهُ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ^(٤)، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وَوَجْهَ اخْتِصَاصِ السُّورَةِ بِهَذِهِ الْخَصِيسَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَخْرُونَ لِلَّهِ سَجْدًا - تَعْظِيمًا لِخَالِقِهِمْ - نَاسِبٌ أَنْ يَذْكَرَ أَنَّ مِنْ مَوَاضِعِ السُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى السُّجُودَ الَّذِي يَكُونُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَالَّذِي يَنْحَنِي فِيهِ الْعَبْدُ لِخَالِقِهِ، وَيَسْجُدُ لَهُ تَعْظِيمًا لِجَلَالِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١١/٥).

(٢) - انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ١٤١٨ هـ: (١٩٨/٢١).

(٣) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة، بدون تاريخ: (٦١٥/١١).

(٤) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٢/٥).

٦- عرضها للجزاء العظيم الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة والإعزاز الذاتي والإكرام الإلهي، والحفاوة الربانية بهذه النفوس، وتولييه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقرُّ به العيون، وهذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظلُّ عنده خاصة مستورًا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه، وهذا الجزاء الذي أخفاه الله عنهم يدل على عظم النعيم الذي سيلقونه حال القدوم على ربهم^(١)، وهذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ووجه اختصاص السورة بهذه الميزة؛ لأنهم لما جمعوا من الصفات السامية أعلاها - كالتصديق بآيات الله الكونية والسمعية، وتمريغ الوجوه في الأرض خضوعًا لله تعالى، وتنزيه الله عن كل نقص، واستسلامهم لأوامر الله وشرعه، والبعد عن الفرش الوفيرة للوقوف بين يديه سبحانه بكل تضرع وخضوع، وجمعهم في الدعاء بين الطمع في ثواب الله والخوف من رحمته، والإنفاق مما تحبه النفس وتحواه في وجوه الخير - كافأهم ربهم بأعظم الجزاء مما تقرُّ به العيون، ولا يطلع عليه أحد من الناس، وسيظل عنده خاصة مستورًا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه^(٢).

٧- ذكرها لوقوع المصائب في الدنيا - على مشركي مكة - في الأنفس والأموال قبل عذاب النار يوم القيامة إن لم يتوبوا من كفرهم وتكذيبهم بآياته، والحكمة من ذلك حتى يرجعوا عن كفرهم وعنادهم وكبريائهم^(٣)، واختصاص السورة كذلك بذكر ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ دون غيرها من سور القرآن، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وسبب ذكر هذه الميزة في هذه السورة دون ما سواها؛ لأنه لما زاد طغيان كفار قريش وجبروتهم ناسب أن يعاقبهم بمصائب الدنيا في الأنفس والأموال حتى تكون تذكرة لهم وسببًا للتوبة والإقلاع عن الكفر بالله وتكذيب رسوله ﷺ فيما جاء به من عند الله وذلك قبل أن يحلَّ على المعاندين المستكبرين العذاب الأكبر وهو عذاب النار إن هم تماردوا في الباطل واستمروا على كفرهم وعنادهم.

(١) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٥/٢٨١٣).

(٢) - المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٠/١٨٨، ١٨٩)، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس وأبي بن

كعب رضي الله عنه.

الفصل الثالث

أسباب نزول السورة ومقاصدها

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة.

* * * * *

المبحث الأول

أسباب النزول الواردة في السورة

* * * * *

أسباب النزول الواردة في السورة

وردت في السورة الكريمة ثلاث آيات ذكرت فيها أسباب نزول:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾، ذكرت في هذه الآية أربعة أقوال، قيل إنها سبب في نزول هذه الآية.

القول الأول: إنها نزلت في انتظار صلاة العشاء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إن هذه الآية ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة"^(١)، وعنه أيضاً قال: "نزلت فينا معاشر الأنصار كُنَّا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فينا: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾"^(٢)، فهاتان الروايتان لا تعتبران سبباً في نزول هذه الآية؛ لأنَّ الرواية الأولى وإن كانت صحيحة لكنَّها ليست صريحة في السببية، أمَّا الرواية الثانية فضعيفة.

القول الثاني: إنها نزلت في صلاة العشاء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نزلت ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ في صلاة العشاء"^(٣)، وهذه الرواية ضعيفة، وعلى هذا فلا تكون هذه الرواية سبباً في نزول هذه الآية.

القول الثالث: نزلت في التنفل ما بين المغرب والعشاء، قال مالك بن دينار^(٤): "سألت أنس بن مالك عن هذه الآية فيمن نزلت، فقال: كان أناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"^(٥)، وعن بلال رضي الله عنه قال: "كُنَّا نجلس في المجلس، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) - سبق تخريجه ص (٦٧).

(٢) - سبق تخريجه ص (٦٦).

(٣) - سبق تخريجه ص (٦٨).

(٤) - هو التابعي الجليل أبو يحيى مالك بن دينار البصري الزاهد، صدوق عابد، من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٣٠هـ، أو نحوها، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٥١٧)، رقم: (٦٤٣٤).

(٥) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (٣٣٠/٧)، وهذا الأثر إسناده ضعيف؛ لأنَّ فيه الحارث بن وحيه

يصلون المغرب إلى العشاء فنزلت: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾^(١)، وهاتان الروایتان لا ترقیان لأن تكونا سبباً في نزول هذه الآية؛ لأن الروایتين ضعيفتان.

القول الرابع: نزلت في قيام الليل، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾"^(٢)، وقال الواحدي^(٣): قال الحسن ومجاهد: نزلت في المتجهدين الذين يقومون الليل إلى الصلاة^(٤)، وهذا استناداً لما روي عن مجاهد قال: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه فقال: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾"^(٥)، ولما روي عن الحسن في قوله:

☞ =

والحارث بن وحيه ضعيف الحديث، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (١٤٨)، رقم: (١٠٥٦)، وقال صاحب كتاب عون المعبود - عن هذا الأثر - : "في سنده ضعف"، عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي الصديقي العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ: (٤/١٤٢).

(١) - مسند البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبنار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد وصيري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ٢٠٠٩ م: (٤/٢٠٢)، رقم: (١٣٦٤)، وهذا الأثر إسناده ضعيف؛ لأن فيه عبد الله بن شبيب، ضعّفه ابن حبان وابن عدي، انظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ: (٤٧/٢)، رقم: (٥٨١)، والكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ: (٤٣٠/٥)، رقم: (١٠٩٩).

(٢) - سبق تخريجه ص (٧١).

(٣) - هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، وله مصنفات أخرى في اللغة، كان طويل الباع في العربية، مات سنة ٤٦٨ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٣٩/١٨).

(٤) - أسباب النزول، للواحدي: ص: (٢٦٢).

(٥) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ: (١٨٢/٢٠)، وهذا الحديث إسناده ضعيف؛ لأن فيه أبا يحيى القتات وهو لين الحديث، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: (٦٨٤)، رقم: (٨٤٤٣)، والحديث كذلك ضعيف؛ لأنه مرسل فمجاهد لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾، قال: قيام الليل^(١)، فحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه المذكور وإن كان صحيحًا لكنه لا يعدُّ سببًا في نزول هذه الآية؛ لأنه غير صريح في السببية، أمّا ما روي عن مجاهد ضعيف، وأمّا ما روي عن الحسن البصري فصحيح لكنه مختل للشروط.

إذا لم يرد في قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾... الآية سبب نزول صحيح صريح في السببية.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾، فقد قيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه، واستدل من قال بهذا القول بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت، فإمّا أنت فاسق، فنزل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(٢)، وعند النظر في هذه الرواية بطرقها وإلقاء الضوء عليها وجدت أنّها ضعيفة؛ لأنّ مدارها على محمد بن السائب الكلبي و محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي وقد تُكلم فيهما فمحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي حفظه سيءٌ جدًّا، إذا ما قيل إنّ قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ قد نزلت في الوليد بن عقبة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما غير صحيح؛ لأنّ الرواية التي وردت في ذلك ضعيفة، والله أعلم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فعن قتادة^(٣) قال: "قال الصحابة - رضي الله عنهم - إن لنا يومًا يوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٠/٢٠)، وهذا الأثر إسناده صحيح.

(٢) - سبق تحريجه ص (٦٦).

(٣) - هو التابعي الجليل أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٤٥٣)، رقم: (٥٥١٨).

المشركون: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فنزلت^(١)، هذا الأثر وإن كان صحيح الإسناد وصریحًا في السببية وصادراً من إمام أئمة التفسير لكن لا يرقى لأن يكون سبباً في نزول هذه الآية لأنه قد اختل شرط مهم وهو عدم اعتضاد هذا الأثر بمرسَلٍ آخر، فقد ذهب السيوطي إلى أن قول التابعي إذا كان صريحاً في سبب النزول فإنه يقبل ويكون مرسلًا إذا صحَّ المسند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر^(٢)، واعتضد بمرسَلٍ آخر^(٣).

إذا لم يرد في السورة سبب نزول صحيح صريح في السببية مكتمل لجميع الشروط، والله أعلم.

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٨/٢٠)، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣١١١/٩)، رقم: (١٧٨٦٦)، وهذا الأثر إسناده صحيح.

(٢) - هو التابعي الجليل سعيد بن جبیر الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، من الطبقة الثالثة، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ، ولم يكمل خمسين عامًا، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٢٣٤)، رقم: (٢٢٧٦).

(٣) - انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي: (١١٧/١).

المبحث الثاني

مقاصد السورة

* * * * *

مقاصد السورة

من المعلوم أنّ كل سورة لها مقاصد وأهداف تهدف إليها، وسورة السجدة من بين السور التي لها مقاصد شريفة وأهداف نبيلة تهدف إليها. ومقاصد السورة: هي الموضوعات التي تدور عليها آيات السورة، والغرض من ذكر مقاصد السور هو الاهتداء بهدي هذا الكتاب العزيز، وحث الناس على امتثال أوامر ما جاء في هذا الكتاب واجتناب نواهيه.

ومن خلال معرفة مقاصد السورة فإنّه من السهل التوصل إلى الموضوع الكلي للسورة. أمّا مقاصد سورة السجدة فقد تكلم عدد من العلماء في مقاصدها، فقد قال الفيروز آبادي: "مقصود السورة: تنزيل القرآن، وإنذار سيد الرسل، وتخليق السماء والأرض، وخلق الخلائق وتخصيص الإنسان من بينهم، وتسليط ملك الموت على قبض الأرواح، وتصوير العاصين في القيامة، وملء جهنّم من أهل الإنكار والضلالة، وإسقاط خواص العباد في أحواف الليالي للعبادة، وإخبارهم بما أدّخر لهم في العقبي من أنواع الكرامة، والتفريق بين الفاسقين والصادقين في الجزاء والثواب في يوم المآب، وتسليّة النبي ﷺ بتقرير أحوال الأنبياء الماضين، وتقرير حجّة المنكرين للوحدانية، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة أهل الكفر، وأمره بانتظار النصر، بقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾" (١).

وابن عاشور ذكر جملة من مقاصد هذه السورة فقال: "ومن أغراض هذه السورة التنويه بالقرآن أنّه منزل من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادّعائهم أنّه مفترى بأنهم لم يسبق لهم التشرف بنزول كتاب، والاستدلال على إبطال إلهيّة أصنامهم بإثبات انفراد الله بأنّه خالق

(١) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: (٣٧٣/١، ٣٧٤).

السموات والأرض ومدبر أمورهما، وذكر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، وتنظيره بإحياء الأرض، وأدمج في ذلك أن إحياء الأرض نعمة عليهم كفروا بمسديها، والإيناء^(١) على الذين أنكروه ووعيدهم، والشناء على المصدّقين بآيات الله ووعدهم ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثمّ إثبات رسالة رسول عظيم قبل محمد ﷺ هدى به أمّة عظيمة، والتذكير بما حل بالمكذبين السابقين ليكون ذلك عظة للحاضرين وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين، وختم ذلك بانتظار النصر، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عنهم تحقيراً لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم^(٢).

كما ذكر محمد عزة دروزة جملة من أهداف هذه السورة فقال: "في السورة تأكيد بصلة القرآن بالوحي الإلهي، وردّ على الكفار على نسبتهم افتراءه للنبي ﷺ، وتنويه بقدره الله في مشاهد الكون ونواميس الخلق للبرهنة على استحقاؤه وحده للعبادة والخضوع، وحكاية لشكوك الكفار بالبعث والحساب وحملة عليهم، ومقايضة بين مصيرهم ومصير المؤمنين، وإشارة إلى رسالة موسى - ﷺ -، وفضل الله على بني إسرائيل حينما صبروا واتبعوا آيات الله، وتثبيت وتطمين للنبي ﷺ"^(٣).

وعلى ضوء ما ذكر يمكن حصر مقاصد السورة في أربعة مقاصد وأهداف رئيسة، أولها: إثبات تنزيل القرآن وأنه من عند الله، ثانيها: التصديق برسالة محمد ﷺ الموحى إليه بهذا القرآن، ثالثها: ترسيخ معنى التوحيد في النفوس باستحقاق العبادة لله وحده وإبطال عبادة كل ما سواه، رابعها: الاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء.

(١) - أي الميل، انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (٢١/٤).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٤/٢١).

(٣) - التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٤٠/٥).

الباب الثاني

التناسق الموضوعي في سورة السجدة: دراسة تطبيقية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة.

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها.

الفصل الثالث: تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

الفصل الأول

مناسبات السورة الكريمة

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي. 

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها. 

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها. 

* * * * *

المبحث الأول

مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي

* * * * *

مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي

ذكرت فيما سبق أنَّ المناسبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: المناسبة بين السور، والقسم الثاني: المناسبة في السورة الواحدة.

وقد تعرّضت في القسم الأول لذكر مناسبة سورة السجدة لما قبلها ولما بعدها.

أمَّا القسم الثاني وهو المناسبة في السورة الواحدة فله تفرّعات كثيرة كمنااسبة اسم السورة لموضوعها الكلي، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها، ومناسبة موضوعات السورة بعضها لبعض، ومناسبة موضوعات السورة للموضوع الكلي فيها، والمناسبة بين آيات السورة، وهذه التفرّعات لها مباحث تختص بها، نأتي إليها في حينها إن شاء الله تعالى.

أبدأ في هذا المبحث بذكر أحد تفرّعات القسم الثاني وهو مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي، اسم السورة كما هو معلوم "السجدة"، وقد ذكرت فيما سبق أنَّ سورة السجدة سميت بهذا الاسم؛ لأنَّ "اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من الإخبات وترك الاستكبار"^(١)، وبالرجوع إلى أصل هذه الكلمة وهو الفعل الثلاثي نجد أنَّها من (سَجَدَ) وفي المعنى اللغوي لهذه المفردة يقول ابن فارس: "السين والجيم والبدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل"^(٢).

وأما الموضوع الكلي في السورة فبعد التأمل والتدبر في آيات السورة، واستخلاص ما ذكره المفسرون في تفسير هذه السورة تبين لي أنَّ موضوعها الكلي هو: نفي الريب عمَّا ثبت في القرآن الكريم من صدق رسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء.

(١) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٢/١٥).

(٢) - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (١٣٣/٣).

أمَّا العلاقة بين اسم السورة وموضوعها الكلي فأقول وبالله التوفيق: إنَّ العبد إذا انتفى
عنده الريب والشك في كون القرآن الكريم كلام الله، وانتفى كذلك عنده الريب في صدق
رسالة محمد ﷺ، وفي حقيقة التوحيد، وفي عقيدة البعث والجزاء كان هذا إذعانًا وخضوعًا
لأمر الله، وهذا هو المقصد الأسمى من السجود وهو الذل والانكسار بين يدي الله تعالى،
ولنتج عن هذا الخضوع امتثال العبد لأمر الله، ومن أعظم ما أمره الله به أن يجزَّ ساجدًا له
سبحانه.

المبحث الثاني

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

* * * * *

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

من المعلوم أنّ سورة السجدة افتتحت بالتنويه بشأن القرآن؛ لأنّه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها، ولأنّ جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب^(١).

أمّا موضوعات السورة فهي على النحو التالي:

مقدمة السورة: القرآن حقٌّ منزَّلٌ من عند الله.

الموضوع الأول: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء).

الموضوع الثاني: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين.

الموضوع الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-

البعث والجزاء).

أمّا العلاقة بين فاتحة السورة وموضوعاتها فأقول وبالله التوفيق: إنّ فاتحة السورة أتت لتؤكد أنّ القرآن حقٌّ منزَّلٌ من عند الله، فإذا انتفى الريب عند العبد في كون القرآن الكريم وحياً من عند الله فإنّه حتماً سينتفي الريب عنده فيما ثبت في القرآن الكريم، ومن أعظم ما ثبت في القرآن الكريم ما يتعلق بالعقائد، ومن أعظم العقائد التي كُذِّب بها المشركون رسالة محمد ﷺ، والتوحيد، والبعث والجزاء، فقد اشتمل القرآن الكريم على ذكر أنواع الأدلة التي تثبت صدق رسالة محمد ﷺ، وتثبت استحقاق العبادة لله وحده لا شريك له، وتثبت وقوع البعث والجزاء، واشتمل القرآن كذلك على ذكر ثواب من آمن بآيات الكتاب العزيز، وشقاء من كفر بها، واشتمل كذلك على التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، ووجوب إفراد الله بالعبادة، ووجوب الإيمان بوقوع البعث وحصول الجزاء، وبهذا يتبين علاقة فاتحة السورة بموضوعاتها.

(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢٠٥).

المبحث الثالث

مناسبة فاتحة السورة لخاتمها

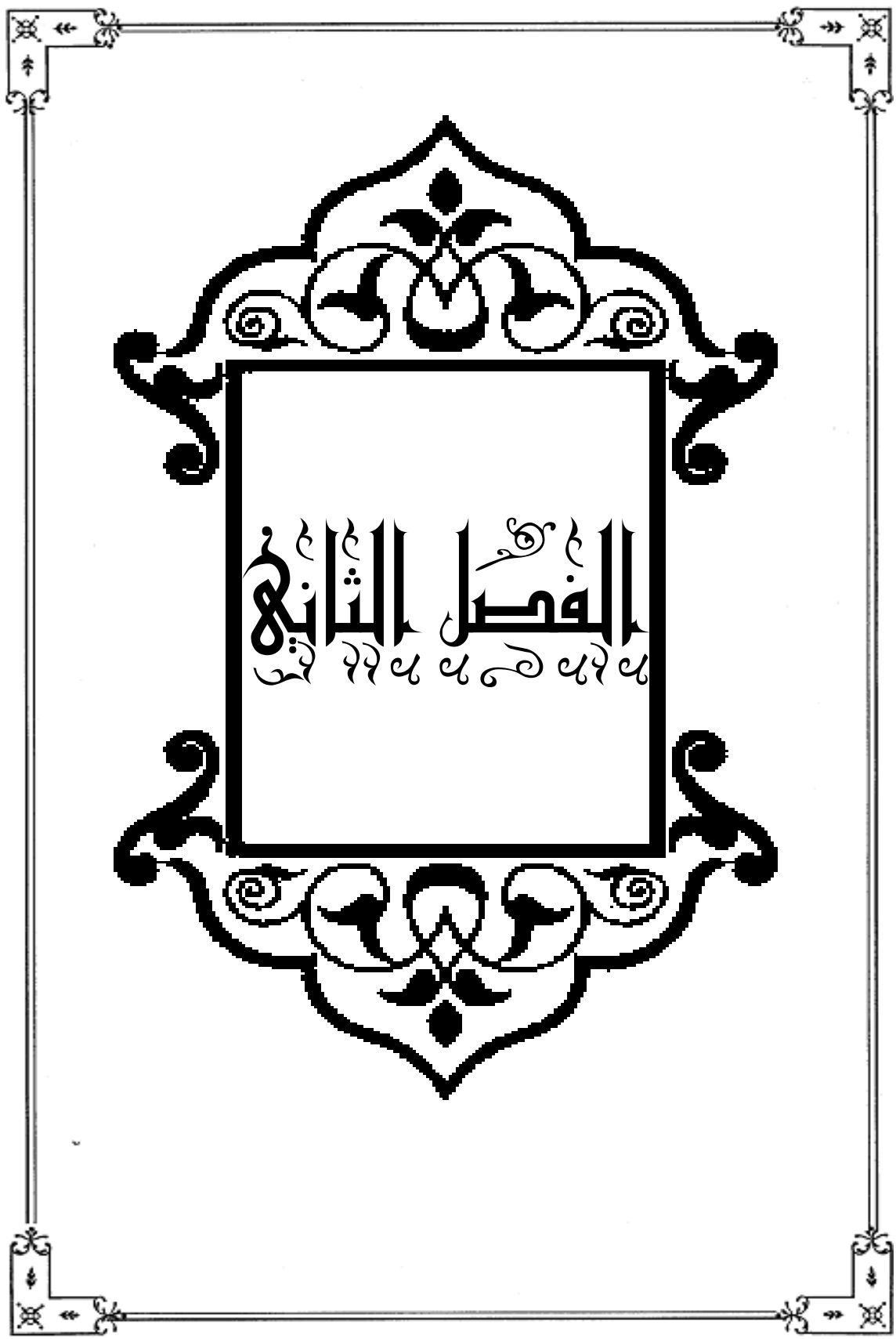
* * * * *

مناسبة فاتحة السورة لخاتمها

لمَّا قرَّر سبحانه وتعالى الأصول الثلاثة (الرسالة، والتوحيد، والبعث والجزاء) وأثبتها في مطلع السورة عاد ليؤكد الإيمان بهذه الأصول الثلاثة في خاتمة السورة.

فالأصل الأول الذي بدأت به السورة وهو رسالة محمد ﷺ جاء في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ عاد ليؤكد في آخر السورة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾، والأصل الثاني وهو: التوحيد أثبته سبحانه وتعالى في مطلع السورة من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، ثم عاد ليؤكد هذا الأصل في آخر السورة عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾، والأصل الثالث وهو: البعث أثبته في مطلع السورة من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ثم عاد ليؤكد هذا الأصل في آخر السورة عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ إلى آخر السورة، وبذلك يكون ترتيب آخر السورة متناسقًا مع ترتيب أولها^(١).

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥) بتصرف يسير.



الفصل الثاني
منه

الفصل الثاني

موضوعات سورة السجدة وتناسخها

وفيه مدخل وأربعة مباحث:-

📖 المبحث الأول: القرآن حق منزل من عند الله، ويشمل الآيتين: (١، ٢).

📖 المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة -

التوحيد - البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٣ - ١١).

📖 المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم

وجزاء الفريقين، ويشمل الآيات: (١٢ - ٢٢).

📖 المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد

(الرسالة - التوحيد - البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٢٣ - ٣٠).

* * * * *

مدخل

من خلال التأمل في السورة وآياتها وقراءة ما ذكره المفسرون في تفسير هذه السورة تبين لي أنّ السورة تنصب في مقدمة وثلاثة موضوعات، وكل هذه الموضوعات بينها تناسق وترباط؛ لأنّ آيات السورة متناسقة ومترابطة، قال محمد عزة دروزة: "آيات السورة متساوقة ومنسجمة مما يسوّغ القول إنّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة"^(١).

وكل آيات السورة وموضوعاتها تدور حول فلك واحد وهو موضوع السورة الكلي وهو: "نفي الريب عمّا ثبت في القرآن الكريم من صدق الرسالة وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء"، ولقد حامّ حول هذا الموضوع صاحب الظلال فقال: "سورة السجدة نموذج متميّز من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الصحيحة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطرة، ويركزها في القلوب عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد خالق الكون والناس ومدبّر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا الله، والتصديق برسالة محمد ﷺ الموحى إليه بهذا القرآن؛ لهداية البشر إلى الله، والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء، هذه هي القضية التي تعالجها السورة"^(٢).

إذاً هذه السورة تهدف إلى تقرير توحيد الله بما تعرض من صفحة الكون وما فيه من عجائب ونشأة الإنسان، وكذلك تقرّر صدق رسالة محمد ﷺ الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر، وكذلك تقرّر البعث والحساب بما يقطع حجة المشركين، ويزيل شكّهم^(٣). وقد تتبعت موضوعات السورة فوجدتها مرتبطة غاية الارتباط بالمحور العام الذي تدور عليه آيات السورة، وقد قسّمت هذه السورة الكريمة على إثر ذلك التأمل والتدبر إلى مقدمة وثلاثة

(١) - التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٤٠/٥).

(٢) - في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨٠٢/٥، ٢٨٠٣).

(٣) - انظر: التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ١٤١٣هـ: (٥٨/٣).

موضوعات، وقد جاءت في أربعة مباحث، وهي على النحو التالي:
المبحث الأول "مقدمة السورة": القرآن حقٌّ منزَّلٌ من عند الله، وجاءت المقدمة في الآيتين

الأوليين، وهما قوله تعالى: ﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ .
المبحث الثاني "الموضوع الأول": إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث

والجزاء)، وجاء هذا الموضوع من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ إلى قوله تعالى:
﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ .

المبحث الثالث "الموضوع الثاني": موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم، وجاء

الفريقين، وجاء هذا الموضوع من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا
خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ إلى قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ .
المبحث الرابع "الموضوع الثالث": التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد

(الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء)، وجاء هذا الموضوع من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ إلى قوله
تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَاَنْظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ .

المبحث الأول

القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله، ويشمل الآيتين: (١، ٢).

* * * * *

القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله

موضوع هذا المبحث هو عنوان مقدمة سورة السجدة، ويشمل الآيتين الأوليين من السورة وهما قول الله تعالى: ﴿الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾. الآيتان الأوليان براءة أو مقدمة استهلالية للآية الثالثة كما هو المتبادر^(١)، فقد تضمنت هاتان الآيتان إعجاز القرآن، وأنه حقٌّ منزلٌ من رب العالمين؛ لأنها افتتحت بالحروف المقطعة التي تظهر إعجاز القرآن، وفي افتتاح السورة بالحروف المقطعة إظهار إعجاز القرآن ولصدق محمد ﷺ؛ لأنه وإن كان محمد - ﷺ وحاشاه - قد اختلق القرآن من تلقاء نفسه فليأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلمَّا عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنه معجزة، وأنَّ رسول الله ﷺ صادق فيما أخبر به عن الله تعالى^(٢)، وفي هذا دلالة على أن هذا الكلام ليس كلام بشر إنما هو تنزيل من رب العالمين، وجاءت الآية الثانية لتذكر أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ لا شكَّ فيه أنه من عند الله وليس بشعر ولا سجع كاهن ولا هو مما تحرَّصه محمد ﷺ^(٣)، وهذا واضح في أن القرآن حقٌّ منزلٌ من رب العالمين، وهذه المقدمة لها علاقة بجميع موضوعات السورة كما ذكرت ذلك في مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

وافتح السورة بهذا المطلع له ارتباط كذلك بالموضوع الكلي للسورة؛ فإثبات حقيقة القرآن وكونه منزلًا من عند الله هو سبب معين وطريق موصل إلى نفي الشك عمَّا ثبت في هذا الكتاب العزيز من أصول الدين وفروعه، ومن جملة أصول الدين التي ثبتت في كتاب الله تعالى صدق رسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد ووقوع البعث وحصول الجزاء.

(١)- انظر: التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٤٠/٥).

(٢)- انظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (١/١٣٧).

(٣)- انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (٢٠/١٦٤).

المبحث الثاني

إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة - التوحيد - البعث
والجزاء)، ويشمل الآيات: (٣ - ١٤).

وفيه مدخل وثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: إثبات صدق رسالة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي
خلق الإنسان.

المطلب الثالث: إثبات عقيدة البعث والجزاء ومصير المنكرين لها.

* * * * *

مدخل

أشعر في هذا المبحث بذكر أول موضوعات السورة وهو: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء)، وجاء هذا المبحث من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

أبدأ أولاً بذكر التناسق بين موضوع هذا المبحث والموضوع الكلي للسورة فأقول وبالله التوفيق: لما كانت رسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء من أصول الدين التي يستحيل أن يطرأ عليها الشك والريب؛ لأنها ثابتة في كتابه العزيز، فقد نفى الله الريب عن كتابه في كونه منزلاً من عنده، وإذا كان كذلك فهو دليل على أنه حق لا مرية فيه، وبالتالي فما ثبت فيه من أصول الدين كرسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء حق أيضاً لا شك فيه.

وقد قسّمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول "المحور الأول": إثبات صدق رسالة محمد ﷺ، وجاء موضوع هذا المطلب في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

المطلب الثاني "المحور الثاني": إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان، وجاء موضوع هذا المطلب من قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ

مِنْ وِلِيِّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ

رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ .

المطلب الثالث "المحور الثالث": إثبات عقيدة البعث والجزاء، ومصير المنكرين لها، وجاء

موضوع هذا المطلب من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَمْ آءَاذَنَا ضَلَّ سَنَآؤُنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّآ لَنَآفِي خَلْقِ

جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ .

المطلب الأول: إثبات صدق رسالة محمد ﷺ

هذا هو أول محور للموضوع الأول في السورة ويشمل الآية رقم (٣)، وهي قوله تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

بيّنت الآية الكريمة صدق رسالة محمد ﷺ؛ لأنَّ محمدًا ﷺ لم يكن ليأتي بهذا القرآن من عند نفسه ولا يستطيع، ولو استطاع لاستطعت مثله، وإِنَّمَا أنزله الله على محمد ﷺ لينذر به قومه والناس من بعدهم حيث لم يأتمن نذير قبله، والغرض والغاية هداية الناس، فمن آمن به كان له حسن الحال والمآل، ومن أعرض عنه وكفر به كانت له النار^(١).
والتناسق بين موضوع المطلب وموضوع المبحث واضحة فقد أثبتت هذه الآية الكريمة صدق رسالة محمد ﷺ، وأنَّه لم يكن ليختلق هذا القرآن من عند نفسه إِنَّمَا هو رسول رب العالمين لينذر قومه والناس من بعدهم بأس الله لعلهم يهتدون.

(١) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، بتصرف: (٦/ ٣٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٣) بتصرف.

المطلب الثاني: إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان

هذا المحور الثاني للموضوع الأول في السورة، ويشمل الآيات التالية قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

تدور هذه الآيات حول إثبات التوحيد، فقد بيّنت الآيات الكريمة أدلة التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان، فذكرت أولاً برهان التوحيد في كمال قدرته في إيجاد السماوات والأرض على غير مثال سابق وفي عظمته في استوائه على العرش استواء يليق بجلاله وعظيم سلطانه وفي حكمته في تدبير أمور خلقه وفي علمه بجميع ما يحدث في هذا الكون سواء كان مشاهداً بالأبصار أم هو غائب عنها، ثم بيّنت الآيات بعد ذلك الدليل الآخر من أدلة التوحيد وهو قدرته سبحانه على خلق آدم من طين وخلق ذريته من ماء مهين وتفضله على بني آدم بنعمة السمع والبصر والعقل، وكل هذه الآيات الغرض من ذكرها أفراد العبد ربّه بالعبادة وإخلاص الدين له حتى يكون التوحيد راسخاً في قلبه، فيصير سلوكه ومنهجه متوافقاً مع الغرض الذي خلق من أجله وهو عبادة الله وحده لا شريك له^(١).

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المطلب السابق أن يقال: "لما ذكر الله

(١) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٣) بتصرف، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (١٨٩/٢١ - ١٩١) بتصرف.

تعالى الرسالة بيّن ما على الرسول من الدعاء إلى التّوحيد وإقامة الدّليل" (١).
أمّا التّناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث فأنّ يقال: إنّ هذه الآيات
أثبتت أصلاً من أصول الاعتقاد وهو التّوحيد فقد برهنت على إثبات التّوحيد في خلق
السموات والأرض وفي خلق الإنسان، وفي تدبير أمور هذا الكون الفسيح، وفي تفضله
تعالى على عباده بالآلاء والنعم.



(١) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٣٦/٢٥).

المطلب الثالث: إثبات عقيدة البعث والجزاء، ومصير المنكرين لها

هذا هو آخر محاور الموضوع الأول في السورة، ويشمل الآيات التالية قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾
 ﴿ قُلْ يَتُوفَّئِكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ
 الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ
 صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ
 يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ۞

الغرض من سوق آيات هذه المطلب هو إثبات عقيدة البعث والجزاء، فقد برهنت الآيات على ذلك بالردّ على شبهة المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: أئذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أنبعث خلقًا جديدًا؟ فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء المشركين بلقاء ربهم كافرون؛ لأنّهم أنكروا قدرة الله على إعادتهم، ثم ردّ الله عليهم مقاتلتهم وشديد استنكارهم بأنّ ملك الموت الذي وُكِّلَ بقبض أرواحكم سيستوفي العدد الذي كتب عليه الموت منكم حين انتهاء أجله، ثم تُردُّون إلى ربكم يوم القيامة أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازى المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، وفي هذا إثبات للبعث مع تهديدهم وتخويفهم، وإشارة إلى أنّ القادر على الإمامة قادر على الإحياء، ثم دلّلت الآيات بعد ذلك لإثبات حقيقة البعث بذكرها لحال المنكرين للبعث يوم القيامة عند معاينة العذاب وقد طوّطت رؤوسهم من الذل والهوان يطلبون الرجعة للدنيا لعمل الصالح من الأعمال فقد شاهدوا البعث وسمعوا قول الرسول ﷺ وصدّقوا به، لكنّ الرجوع إلى الدنيا محال، ولو رُدُّوا لعادوا إلى كفرهم وعنادهم، ثم ذكرت الآيات بعد ذلك جزاء المنكرين للبعث بملء

جهنم من الكفرة، وبالترك والخلود في العذاب الأليم^(١)، وفي هذا دلالة على أنَّ حقيقة البعث حقيقة ثابتة لاشكَّ فيها، إذا ما ذُكر من الردِّ على شبهة المشركين في المعاد وتهديدهم بقبض أرواحهم من قبل ملك الموت وذُكر سوء موقفهم يوم القيامة وشدة ما يلاقونه من العذاب في نار جهنم، كل هذا لإثبات حقيقة البعث وحضِّ الناس على الإيمان بهذه الحقيقة وأخذ العظة والعبرة بمن كذَّب بهذه الحقيقة العظيمة.

أما التناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المطلب السابق فأن يقال: بعد بيان الرسالة وبرهانها في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وبيان الوجدانية ودليلها في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أخبر الله تعالى عن البعث وطريق إثباته للرد على المشركين المنكرين لها، وهذا على عادة القرآن كلما ذكر أصلين من أصول الاعتقاد الثلاثة ذكر الأصل الثالث، وهو هنا الحشر في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَمْ آذَانُ مَا ضَلَّلَنَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

أما التناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث فأن يقال: قد أثبتت هذه الآيات أصلاً من أصول الاعتقاد وهو حقيقة البعث والجزاء، ودللت على ذلك بالردِّ على شبهة المشركين لإنكار البعث، وتهديدهم بقبض أرواحهم من قبل ملك الموت، وبذكر سوء موقفهم يوم القيامة عند ربهم وشدة العذاب الذي ينتظرهم في نار جهنم.

(١) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦/٣٢٢) بتصرف، وتفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة، ١٣٦٥هـ: (١٠٧/٢١-١١٠) بتصرف، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٤) بتصرف.

(٢) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٢/٢٥) بتصرف.

المبحث الثالث

موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم
وجزاء الفريقين، ويشمل الآيات: (١٢ - ٢٢).

وفيه مدخل ومطلبان: -

المطلب الأول: صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم.

المطلب الثاني: المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات
القرآن الكريم ومآل الفريقين.

* * * * *

مدخل

أُشْرِعَ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ بِذِكْرِ ثَانِي مَوْضُوعَاتِ السُّورَةِ وَهُوَ: مَوْقِفَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَجِزَاءِ الْفَرِيقَيْنِ، وَالْآيَاتِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا هَذَا الْمَبْحَثُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١٥ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ ٢٢.

والتناسق بين موضوع هذا المبحث والموضوع الكلي للسورة أن يقال: إن آيات القرآن الكريم قد اختلف الناس فيها بين مصدق ومكذّب، وقد اشتملت آيات القرآن الكريم على أصول الدين وفروعه، ومن جملة أصول الدين التي اشتمل عليها هذا الكتاب العزيز رسالة محمد ﷺ والتوحيد والبعث، فلكي يتبين الحق فيما اختلف الناس فيه من هذه الأصول، نفى الله الريب عن هذه الأصول في هذه السورة، وأكّدها وأثبتها في هذه السورة وفي آيات وسور كثيرة من القرآن الحكيم.

أمّا التناسق بين موضوع هذا المبحث وموضوع المبحث السابق فأن يقال: لما أثبت الله في كتابه العزيز أصول الدين التي من جملتها صدق رسالة محمد ﷺ، والتوحيد، والبعث والجزاء، وكان الناس مختلفين فيها بين مصدق ومكذّب ناسب أن يذكر موقف المؤمنين والكافرين من هذه الآيات وغيرها من آيات القرآن الكريم، وجزاء من آمن بآيات هذا الكتاب، وجزاء من كفر بها.

وقد قسّمت هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول "المحور الأول": صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم، وجاء هذا

المطلب من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا

وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ

نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾.

المطلب الثاني "المحور الثاني": المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن

الكريم ومآل الفريقين، وجاء هذا المطلب من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن

كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ

ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾.

المطلب الأول: صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم

هذا هو المحور الأول للموضوع الثاني في السورة، ويشمل الآيات التالية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

ذكرت هذه الآيات صفات المؤمنين بآيات الكتاب العزيز، وبيّنت أنهم إذا وُعظوا بآيات القرآن الكريم خرّوا لله سجداً تذلُّلاً واستكانة لعظمته وإقراراً بعبوديته، ونزّهوه في سجودهم عما لا يليق به مما يصفه به أهل الكفر من الصاحبة والولد والشريك، يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن طاعته، ومن صفات المؤمنين التي نُبّهت عليها الآيات بعد ذلك تنحيهم عن مضاجعهم التي يضطجعون فيها لمنامهم فلا ينامون داعين ربحاً خوفاً من سخطه وعذابه، وطمعاً في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته، ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر، ويؤدون حقوقه التي أوجبها عليهم فيه، كما ذكرت الآيات بعد ذلك حسن جزاء المؤمنين بآيات القرآن الكريم فلا يعلم أحد عظيم ما أخفى الله لهم من النعيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد جزاء بما كانوا يعملون من صالح الأعمال، أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (١).

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث أن يقال: إن صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم المذكورة في هذه الآيات وحسن ثوابهم هو بيان لموقف المؤمنين من آيات القرآن الكريم وذكر جزائهم.

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٧/٢٠-١٨٢) بتصرف، وتفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: (١١١/٢١-١١٣) بتصرف.

المطلب الثاني: المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم ومآل الفريقين

هذا هو المحور الثاني للموضوع الثاني في السورة، ويشمل الآيات التالية قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ۞

عَقَدَت هذه الآيات مقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم، ففي مطلع هذه الآيات بَيَّنَّت أَنَّهُمْ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ كَذَّبَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَالْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ صَدَّقَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ فَهُوَ مُطِيعٌ لِرَبِّهِ، وَقَدْ قَارَنَتِ الْآيَاتُ كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي ذِكْرِ جَزَائِهِمْ، فَذَكَرَتْ أَنَّ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ مَسَاكِنَ فِيهَا الْبَسَاتِينِ وَالذُّورِ وَالْغُرَفِ الْعَالِيَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى جَلِيلِ أَعْمَالِهِمْ وَطِيبِ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَمَا وَاهُمُ النَّارُ الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا وَيَسْتَقِرُّونَ فِيهَا كُلَّمَا شَارَفُوا الْخُرُوجَ مِنْهَا وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ تيسَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ أُعِيدُوا فِي غَمْرَاتِهَا وَدُفِعُوا إِلَى قَعْرِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْيِيخِ ذُوقُوا عَذَابَهَا الَّذِي كُنتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ النَّارَ لِأَهْلِ الشَّرْكِ بِهِ، كَمَا ذَكَرَتِ الْآيَاتُ بَعْدَ ذَلِكَ جَزَاءَ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّ يَذِيقُهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ الْأَقْرَبِ وَالْأَقْلِ وَهُوَ عَذَابُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْآفَاتِ كَالْجُوعِ وَالْقَتْلِ وَالسِّيِّئِ قَبْلَ مَجِيءِ وَحْدُوثِ الْعَذَابِ الْأَشَدِّ الْأَعْظَمِ وَهُوَ عَذَابُ الْقِيَامَةِ؛ لِيَرْجِعُوا عَنْ ضَلَالِهِمْ إِلَى الْهُدَى وَالرَّشْدِ وَيَتُوبُوا عَنِ الْكُفْرِ وَيُؤْمِنُوا بِرَبِّهِمْ وَيُصَدِّقُوا رَسُولَهُمْ، ثُمَّ خَتَمَتِ الْآيَاتُ بِذِكْرِ خَصْلَةٍ سَيِّئَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَافِرِينَ وَهِيَ الْإِعْرَاضُ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، فَهَؤُلَاءِ الْمَعْرُضُونَ عَنِ هُدَى اللَّهِ وَشَرَعِهِ مِنْ أَكْبَرِ

المجرمين الذين يستحقون شديد العقوبة في الدنيا والآخرة^(١).

إذاً قارنت الآيات بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم، وقارنت بينهما كذلك في ذكر جزاء الفريقين.

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث أن يقال: إنَّ المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم وفي مآل الفريقين هو ذكرٌ لموقف الفريقين من آيات الكتاب العزيز وبيانٌ لجزائهم.

أمَّا التناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المطلب السابق فأن يقال: لما كان عنوان المطلب السابق في ذكر صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وحسن جزائهم، ناسب أن يذكر النقيض وهو موقف الكافرين من آيات القرآن الكريم، وسوء جزائهم، وأن يعقد مقارنة بين الفريقين بذكر صفاتهما ومآلهما حتى يتبين أنَّهما لا يمكن أن يستويا.



(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٧/٢٠-١٩٣) بتصرف، وتفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: (١١٤/٢١-١١٦) بتصرف، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٢٥٠) بتصرف، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (٢١١/٢١-٢١٣) بتصرف.

المبحث الرابع

التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة -
التوحيد - البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٢٣ - ٣٠).

وفيه مدخل وثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ .

المطلب الثاني: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد.

المطلب الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء.

* * * * *

مدخل

أشعر في هذا المبحث بذكر ثالث موضوعات السورة وهو: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة - التوحيد - البعث والجزاء)، والآيات التي اشتمل عليها هذا المبحث من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِٗ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى آخر السورة.

والتناسق بين موضوع هذا المبحث وموضوع السورة أن يقال: إنَّ التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ وبالتوحيد والبعث والجزاء الغرض منه هو نفي الريب عن هذه الأصول الثلاثة الثابتة في كتاب الله تعالى وحتى يسلم العباد بهذه الأصول فلا يقع في قلوبهم أي شك أو ريب تجاهها.

أمَّا التناسق بين موضوع هذا المبحث وموضوع المبحث السابق فأن يقال: إنَّ آيات القرآن الكريم التي اختلف الناس فيها بين مصدق ومكذب قد احتوت على أصول الدين وفروعه، ومن أصول الدين التي اشتمل عليها هذا الكتاب العظيم رسالة محمد ﷺ والتوحيد والبعث، فأتى هذا المبحث ليؤكد على وجوب الإيمان بهذه الأصول، ويوضح الحق الذي اختلف فيه الناس.

وقد قسّمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول "المحور الأول": التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، وجاء هذا

المطلب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِٗ

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

المطلب الثاني "المحور الثاني": التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد، وجاء هذا

المطلب في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

المطلب الثالث "المحور الثالث": التأكيد على وجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء،

وجاء هذا المطلب من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ إلى آخر السورة.

المطلب الأول: التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ

هذا هو المحور الأول للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآيات التالية، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

﴿٢٥﴾

أكدت هذه الآيات رسالة محمد ﷺ بالتذكير برسالة موسى ﷺ، وأنَّ الله تعالى أنزل عليه التوراة، فلا تكن يا محمد في شك من تلقي القرآن كما تلقى موسى التوراة، والمقصود تقرير رسالة محمد ﷺ وتحقيق أنَّ ما معه من الكتاب وحيِّ سماويٍّ وكتابٍ إلهيٍّ (١).

كما أكدَّت رسالة محمد ﷺ بالإشارة إلى جعل موسى والكتاب الذي أنزل عليه هدى لبني إسرائيل، فكما أنَّ موسى ﷺ والكتاب الذي أنزل عليه جعلهما الله هداية لبني إسرائيل، فكذلك أنت يا محمد - ﷺ - جعلناك وجعلنا القرآن الذي أنزل عليك هدى لقومك ولأمتك (٢).

ومن البراهين التي أكدَّت وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ الإشارة إلى جعل أئمة الخير والصلاح من بني إسرائيل يهدون الناس إلى طريق الحقِّ بأمر الله وتوفيقه بسبب ما بدا من هؤلاء الأئمة من الصبر والإيقان بآيات الله، وهذا كله ناتج من هداية موسى ﷺ وهداية التوراة، فكما جعل الله تعالى من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس إلى طريق الحقِّ بأمر الله، فكذلك سيجعل الله من أمتك أئمة يحملون خصال الخير ويدعون الناس إلى طريق الحقِّ

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥) بتصرف، وصفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ: (٤٦٥/٢) بتصرف.

(٢) - انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ: (٥١٦/٣) بتصرف.

بأمر الله؛ لِمَا سَيَكْرِمُهُمُ اللهُ مِنَ التَّحْلِيِّ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ بِآيَاتِ اللهِ^(١)، وهذه الخصلة لا بد وأن تكون ناتجة من هداية القرآن وهداية محمد ﷺ، وفي هذا إشارة على تأكيد الإيمان برسالة محمد ﷺ التي أنكرها المشركون في العهد المكي والعهد المدني، "والمقصود بالآية حمل اليهود على الإيمان برسالة محمد ﷺ، وتحريض المشركين وغيرهم على التصديق بتلك الرسالة، فإنَّ التشابه بين الرسالتين قائم والمهمة واحدة"^(٢).

أخيراً جاء التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ بذكر حكم الله وقضائه بين المؤمنين والكافرين المنكرين للرسالة، وأنه سبحانه يقضي بحكمه العدل فيجازي كلاً على عمله ويعطيه ما يستحق من ثواب أو عقاب^(٣).

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث واضحة فقد أكّدت الآيات الكريمة وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، وذلك بالتذكير برسالة موسى ﷺ، فكما كانت رسالة موسى ﷺ إلى بني إسرائيل حقاً وصدقاً، فكذلك رسالة محمد ﷺ إلى قومه وأمتهم حقٌّ وصدقٌ لا شك فيه، وبناء على هذا فيجب الإيمان برسالة محمد ﷺ التي أرسلها الله إلى الناس كافة، والتي جعلها الله ناسخة لجميع الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان.

(١) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٦/٣) بتصرف، والتفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٥٤/٥) بتصرف.

(٢) - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (٢١٧/٢١).

(٣) - انظر: التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي: (٧٠/٣) بتصرف.

المطلب الثاني: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد

هذا هو المحور الثاني للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآية التالية قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٦).

أكدت الآية الكريمة وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد وذلك بالإخبار عن قدرة الله في إهلاك الأمم الماضية بسبب إصرارهم على الشرك بالله وتكذيب الرسل، فكما أنه تعالى بقدرته أهلك القرون المنصرمة فهو قادر على إهلاككم إن أشركتم بالله وكذبتهم رسله (١)، فدلّت الآية على إثبات كمال قدرة الله تعالى، ومن كان يملك القدرة التامة على كل شيء فهو المستحق لأن يفرد بالعبادة وحده دون سواه.

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المطلب السابق أن يقال: بعد أن أعاد سبحانه وتعالى ذكر رسالة محمد ﷺ ليؤكدها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ناسب أن يعيد هنا ذكر التوحيد ليؤكده مع ذكر البرهان عليه بما يروونه من المشاهدات التي يبصرونها (٢).

أما التناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث فقد أكدت هذه الآية الكريمة أصلاً من أصول الاعتقاد وهو التوحيد وأوجبت إفراد الله بالعبادة بذكر قدرة الله على إهلاك الأمم السابقة التي كذبت رسلها وكفرت بالله، فمن كان يقدر على ذلك جدير أن تصرف له العبادة وحده دون سواه.

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٦/٢٠) بتصرف، وأيسر التفاسير، للجزائري: (٢٣٨/٤) بتصرف.

(٢) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥) بتصرف، وتفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (١١٨/٢١) بتصرف.

المطلب الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء

هذا هو المحور الثالث للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآيات التالية قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَاَنْتَظَرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

أكدت الآية الأولى الإيمان بوقوع البعث والجزاء بذكر قدرة الله على إرسال الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، ومن ثم إخراج الزرع الأخضر الذي تأكل منه مواشيهم وتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به، وفي إخراج الزرع الأخضر من الأرض اليابسة الغليظة بالماء الذي ينزله الله من السماء دليل على قدرة الله على إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم وإعادةهم بحياتهم التي كانوا عليها قبل وفاتهم^(١).

كما أكدت الثلاث الآيات الأخيرة الإيمان بوقوع البعث وحصول الجزاء، وذلك بالرد على المشركين الذين استبعدوا مجيء يوم القيامة يوم الفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذي يقضي فيه سبحانه وتعالى بين العباد، وهذا الرد على المشركين جاء بأمر الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يرد عليهم رد تكبير وتوبيخ، ويخبرهم بأن يوم القيامة هو يوم الفتح الحقيقي الذي يفصل فيه سبحانه وتعالى بيننا وبينكم، ولا ينفع فيه الإيمان ولا الاعتذار ولا إعادة الدنيا للتوبة والإيمان، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن سفهم وتكذيبهم بحقيقة البعث والجزاء، وانتظار يوم القيامة يوم البعث والجزاء حين ينزل بالمشركين سوء العذاب بما كانوا يكسبون^(٢).

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٦/٢٠-١٩٩) بتصرف.

(٢) - انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير

- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ: (٢٩٧/٤، ٢٩٨) بتصرف، وصفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٦/٢) بتصرف.

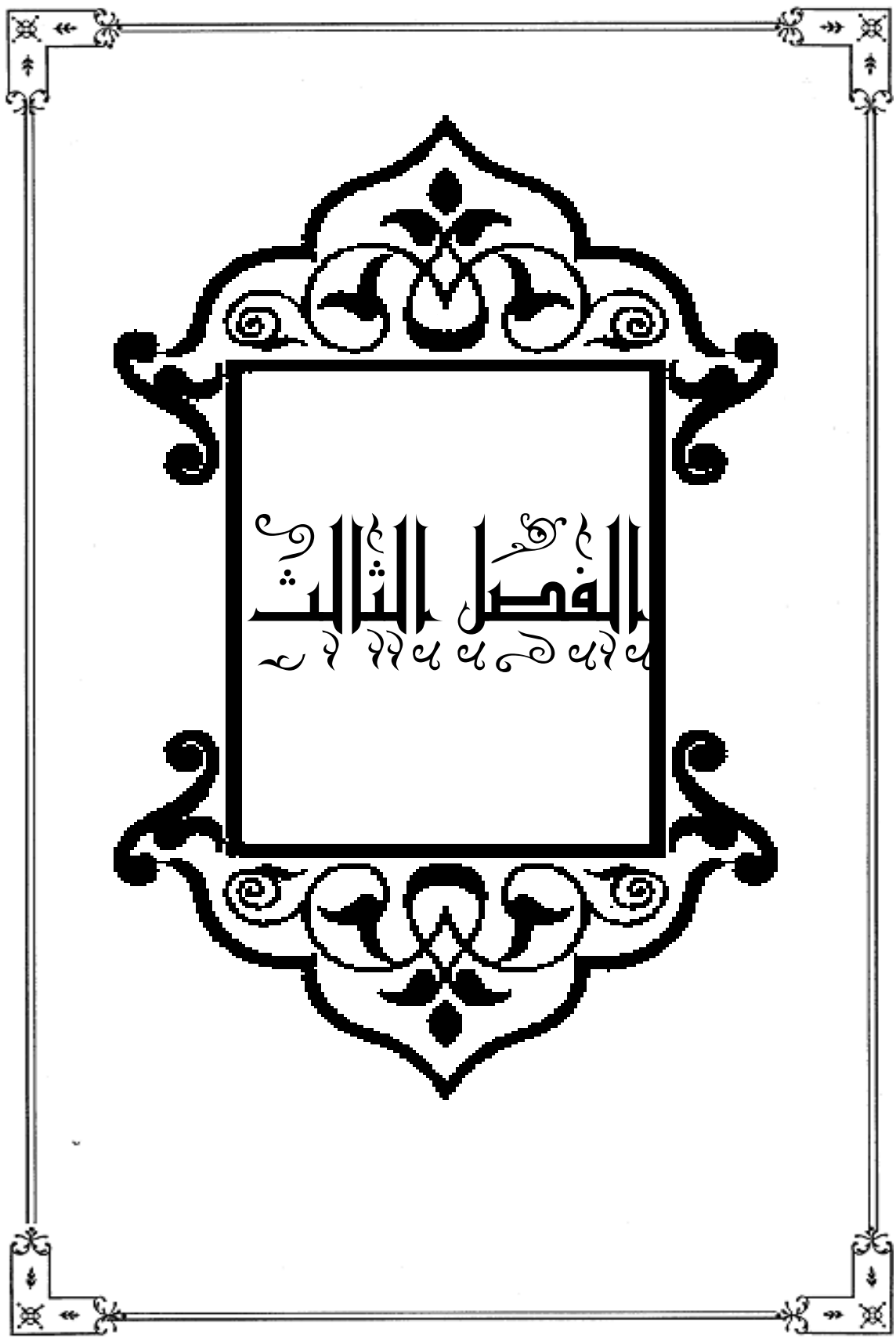
والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوعي المطلبين السابقين أن يقال: بعد أن أكد سبحانه وتعالى رسالة محمد ﷺ والتوحيد في الآيات السابقة عطف على ذلك ذكر الحشر ليؤكد به بقوله تعالى: ﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ إلى آخر السورة^(١).

أمّا التناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المبحث فأن يقال: قد أكدت هذه الآيات حقيقة البعث بذكر قدرة الله تعالى وتفضله على عباده بإنزال المطر من السماء، وإنبات الزرع والثمر ليستفيد منه الإنسان والحيوان، فقدرته سبحانه وتعالى على إخراج النبات من الأرض دليل على كمال قدرته على إخراج الموتى من قبورهم للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

كما أكدت الآيات الثلاثة الأخيرة حقيقة البعث والجزاء بالردّ على منكري البعث بالإندار والتهديد، وبالإعراض عنهم، وانتظار العذاب الذي سيحل بهم. وبعد ذكر موضوعات السورة بمحاورها، وعلمنا التناسق بين هذه الموضوعات وبين محاور كل موضوع نجد بعد ذلك أن ما ذكر هو طريق موصل للموضوع الكلي في السورة وهو: نفي الريب عمّا ثبت في القرآن الكريم من صدق رسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء.

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥) بتصرف.

(٢) - سورة الأعراف، رقم الآية: (٥٧).



الفصل الثالث

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

الفصل الثالث

تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي

* * * * *

تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي

يعتمد الفصل الثالث على تفسير مفردات السورة وجملها وآياتها، وذكر المناسبة بين آيات السورة وبين جمل الآية الواحدة، وهذا كله وفق التناسق الموضوعي، وذلك بإظهار موضوعات السورة ومحاور كل موضوع، وإبراز التناسق بين الموضوعات والمحاور وربطها بالموضوع الكلي للسورة وباسم السورة كذلك، وقد جاءت طريقتي في هذا الفصل على النحو التالي:

أولاً: أتعرض لتفسير الآيات من خلال بيان معاني الكلمات الغريبة، ومعاني المفردات والجمل في الآيات، والمعنى العام للآية، والفوائد والإشارات المتعلقة بالآيات، وأستطرد في ذلك فأذكر الكلمات التي وقع الاختلاف في قراءتها بين القراء السبعة، مع ذكر توجيهها. ثانياً: أذكر المناسبة بين الآيات وبين الجمل في الآية الواحدة.

ثالثاً: أظهر موضوعات السورة ومحاور كل موضوع، وأربط بعضها ببعض.

رابعاً: أبرز التناسق بين موضوعات السورة بمحاورها من جهة وبين الموضوع الكلي للسورة واسمها من جهة أخرى.

خامساً: أقتصر في تفسير الآيات على القول الراجح والذي يخدم موضوعي، وإن كانت هناك أقوال أخرى أو مسائل في الآيات تحتاج إلى نقاش فإني أتطرق إليها مع ذكر القول الراجح بالدليل.

أبدأ مستعيناً بالله في تفسير آيات سورة السجدة في ضوء تناسقها الموضوعي أعوذ بالله

من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الم ﴿١﴾ افتتحت السورة بـ ﴿الم﴾ لتدل على "أنَّ هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف أ، ب، ت، ث، فجاء بعضها مقطّعا، وجاءَ تمامها مُؤلِّفاً ليدلَّ القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه

بحروفهم التي يعقلونها" (١)، وفي افتتاح السورة بالحروف المقطعة إظهار إعجاز القرآن ولصدق محمد ﷺ؛ لأنه وإن كان محمد - ﷺ وحاشاه - قد اختلق القرآن من تلقاء نفسه فليأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلمّا عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنه معجزة وأنّ رسول الله ﷺ صادق فيما أخبر به عن الله تعالى (٢).

وقد صُدّرت السورة بهذه الأحرف التي يعرفها العرب المخاطبون بهذا الكتاب ويعرفون ما يملكون أن يصوغوا منها ومن نظائرها من كلام، ويدركون الفارق الهائل بين ما يملكون أن يصوغوه منها وبين هذا القرآن، وهو فارق يدركه كل خبير بالقول وكل من يمارس التعبير باللفظ عن المعاني والأفكار، كما يدرك أنّ في النصوص القرآنية قوة خفيّة وعنصرًا مستكنًا يجعل لها سلطانًا وإيقاعًا في القلب والحس ليس كسائر القول المؤلف من أحرف اللغة مما يقوله البشر في جميع الأعصار، وهي ظاهرة ملحوظة لا سبيل إلى الجدل فيها؛ لأنّ السامع يدركها ويميّزها من بين سائر القول، ولو لم يعلم سلفًا أنّ هذا هو القرآن! والتجارب الكثيرة تؤكد هذه الظاهرة في شتى أوساط الناس، والفارق بين القرآن وما يصوغه البشر من هذه الحروف من كلام هو كالفارق بين صنعة الله وصنعة البشر في سائر الأشياء (٣).

فتصدير السورة بهذه الحروف المقطعة إظهار إعجاز القرآن، وفي إعجاز القرآن دلالة على أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يصدر من بشر؛ لأنّ أفصح الناس عجزوا عن الإتيان بمثله

(١) - معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ: (١/٥٥، ٥٦)، وهذا القول منقول عن قطرب والفراء وغيرهما، ونصر هذا القول الزمخشري، ومن المحدثين ابن تيمية والمزني، انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (١/٢٧، ٢٨)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ: (١/١٥٥)، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٠م: (١/١٠٣).

(٢) - انظر: تفسير الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (١/١٣٧).

(٣) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٥/٢٨٠، ٢٨٠٣).

مع أنه نازل بلغتهم، فدلَّ على أنه تنزيل من رب العالمين، وبهذا ينفي الريب عن القرآن الكريم في كونه كلام الله، وإذا تحقق عند العبد هذا الاعتقاد فإنه يكون قد خضع واستسلم لأمر الله، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسم السورة كذلك. ولما كان القرآن الكريم مؤلفاً من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامكم ومنظوماً من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها حروفكم، وكان المشركون معارضون لهذا القرآن في كونه منزلاً من عند الله ناسب أن يُعقَّب بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرْبَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ليبين أنَّ هذه القضية ليست محلاً للشك أو الريب وأنَّ كل منصف يعلم أنَّ هذا القرآن منزلٌ من رب العالمين^(١).

"وافتح الكلام بالجملة الاسمية لدلالاتها على الدوام والثبات، وجيء بالمسند إليه معرِّفاً بالإضافة لإطالته ليحصل بتطويله ثم تعقيبه بالجملة المعترضة التشويق إلى معرفة الخبر وهو قوله:

﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)، وإتاما عدل عن أسلوب قوله: ﴿ الْمَآءِ ﴾^(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَأَرْبَبَ

فيه ﴿ في سورة البقرة؛ لأنَّ تلك السورة نازلةٌ بين ظهراي المسلمين ومن يرجى إسلامهم من أهل الكتاب وهم الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وأمَّا هذه السورة فقد جابه الله بها المشركين الذين لا يؤمنون بالإله الواحد ولا يوقنون بالآخرة فهم أصلب عوداً وأشدُّ كفرًا وصدوداً، ومعنى لا ريب فيه أنه ليس أهلاً لأن يرتاب أحدٌ في تنزيله من رب العالمين؛ لما حفَّ بتنزيله من الدلائل القاطعة بأنه ليس من كلام البشر بسبب إعجاز أقصر سورةٍ منه فضلاً عن مجموعته وما عضَّده من حال المرسل به من شهرة الصدق والاستقامة ومجيء مثله من مثله مع ما هو معلومٌ من وصف الأمية، فمعنى نفي أن يكون الريب مظروفاً في هذا الكتاب أنه لا يشتمل على ما يثير الريب، فالذين ارتابوا بل كذبوا أن يكون من عند الله فهم لا يعدون أن يكونوا متعنتين على علمٍ أو جهلاً يقولون قبل أن يتأملوا وينظروا، والأولون زعماءهم والأخيريون دهماؤهم، واستحضار الجلالة بطريق الإضافة بوصف رب العالمين دون الاسم العلم وغيره من طرق التعريف؛ لما فيه من الإيماء إلى عموم الشريعة وكون كتابها منزلاً للناس كلهم

(١) - انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للطنطاوي: (١٤٢/١١).

بخلاف ما سبق من الكتب الإلهية، وفيه إيماءٌ إلى أنّ من جملة دواعي تكذيبهم به أنّه كيف خص الله برسالته بشرًا منهم حسدًا من عند أنفسهم؛ لأنّ ربوية الله للعالمين تُنبئ عن أنّه لا يُسأل عمّا يفعل، وأنّه أعلم حيث يجعل رسالاته" (١).

فبعد أن أظهر سبحانه وتعالى في الآية الأولى إعجاز القرآن بافتتاح السورة بالحروف المقطعة ناسب أن يذكر في الآية الثانية سبب إعجاز هذا الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)، فالآيتان تشيران إلى إعجاز هذا الكتاب العزيز؛ لأنّه تنزيل من رب العالمين، ويفهم من هذا نفي الرب عن هذا الكتاب العزيز في كونه كلام الله، وإذا ثبت عند العبد المسلم هذا الاعتقاد فإنّه يكون قد أذعن لخالفه واستسلم لأوامره، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

"ولمّا كان هذا الذي قدمه أول السورة على هذا الوجه برهانًا ساطعًا ودليلاً قاطعًا على أنّ هذا الكتاب من عند الله كأنه قيل: هل آمنوا به؟ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ مع ذلك الذي لا يمتري فيه عاقل ﴿ أَفْتَرَبُهُ ﴾" (٢)، "وجاءت أم للإضراب عن الكلام السابق لإضراب انتقال، والاستفهام المقدّر بعدها هنا تعجيب؛ لأنّهم قالوا هذا القول الشنيع وعلمه الناس عنهم فلا جرم كانوا أحقّاء بالتعجيب من حالهم ومقالمهم؛ لأنّهم أبدوا به أمرًا غريبًا يقضي منه العجب لدى العقلاء ذوي الأحلام الراجحة والنفوس المنصفة، إذ دلائل انتفاء الرب عن كونه من ربّ العالمين واضحة، وصيغ الخبر عن قولهم العجيب بصيغة المضارع في قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ لاستحضار حالة ذلك القول تحقيقًا للتعجيب منه حتى لا تغفل عن حال قولهم أذهان السامعين، وفي المضارع مع ذلك إيدانٌ بتجدد مقاتلهم هذه وأنّهم لا يُقلعون عنها على الرغم مما جاءهم من البيّنات رغم افتضاحهم بالعجز عن معارضته" (٣)، "وافتراه: اختلقه" (٤).

(١) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٥/٢١، ٢٠٦).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٧/١٥، ٢٢٨).

(٣) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٦/٢١، ٢٠٧).

(٤) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (٢٤٥٤/٦).

"وفي قوله تعالى: ﴿ أَقْتَرْنَاهُ ﴾ عدول من الخطاب إلى الغيبة؛ لأنه لما كان الافتراء مما لا يليق بمقام النبوة ولا يصح أن يطوف بحماها فقد كان إكرام الله سبحانه وتعالى لنبية الكريم - ﷺ - وإحسانه إليه ورفع له قدره أن عزل سمعه عن أن يواجه بهذا المكروه من القول الذي يقوله المشركون فيه وحتى أنهم وإن أرادوا النبي - ﷺ - به فإنما هو مصروف عنه إلى غيره ممن يصح أن يكون منه افتراء، وهذا فوق أنه تكريم للنبي - ﷺ - وإعلاء لقدره هو أدب سماوي، وإعجاز قرآني في تصوير الواقع وضبطه على أحكم ميزان وأعدله وأقومه" (١).

"ولما كان الجواب: إنهم ليقولون: افتراه، وكان جوابه: ليس هو مفترى؛ لما هو مقارن له من الإعجاز ترتب عليه قوله: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي الثابت ثباتاً لا يضاھيه ثبات شيء من الكتب قبله كائناً ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ المحسن إليك بإنزاله وإحكامه، وخصه بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم حقيقته حق الفهم سواه" (٢).

قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ "إضرابٌ على مقولتهم تلك واعتبارها من لغو الكلام وسقط القول وإزالة هذا القول المنكر من هذا المقام وإقامة الحق مقامه" (٣)، "واستحضرت الذات العلية هنا بعنوان ربك؛ لأنَّ الكلام جاء ردًّا على قولهم افتراه يعنون النبي ﷺ فكان مقام الردِّ مقتضياً تأييد من ألصقوا به ما هو بريء منه بإثبات أن الكتاب حقٌّ من ربِّ من ألصقوا به الافتراء؛ تنويهاً بشأن الرسول عليه الصلاة والسلام، وتخلصاً إلى تصديقه؛ لأنه إذا كان الكتاب الذي جاء به حقًّا من عند الله فهو رسول الله - ﷺ - حقًّا، وقد جاءت هذه الآية على أسلوبٍ بديعٍ الإحكام إذ ثبت أن الكتاب تنزيلٌ من رب جميع الكائنات، وأنه يحق أن لا يرتاب فيه مرتابٌ، ثم انتقل إلى الإنكار والتعجيب من الذين جزموا بأنَّ الجائي به مفترٍ على الله، ثم ردَّ عليهم بإثبات أنه الحقُّ الكامل من ربِّ الذي نسبوا إليه افتراءه، فلو كان افتراه لقدرة الله على إظهار أمره كما قال تعالى [في سورة الحاقة]: ﴿ وَلَوْ نَقُولَ

(١) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٢/١١).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٧/١٥، ٢٢٨).

(٣) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، (٦٠٢/١١).

عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾" (١).

"ولمَّا ذكر سبحانه إحسانه إليه ﷺ صريحًا أشار بتعليقه إلى إحسانه به أيضًا إلى كافة العرب فقال مفردًا النذارة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾" (٢) والمعنى "لتنذر قوما بأس الله وسطوته أن يحلَّ بهم على كفرهم به" (٣)، أي بالقرآن الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ، "والقوم هنا هم قوم النبي - ﷺ -، وفي ذكرهم هذا الذكر المنكر ﴿قَوْمًا﴾ بدلًا من إضافتهم إلى النبي - ﷺ - إشارة إلى أنَّهم كانوا على حال من الضلال والضياع بحيث كادت تذهب معالمهم وتضيع إنسانيتهم، وفي هذا ما يدعوهم إلى النظر إلى أنفسهم وإلى البحث عن وجودهم الضائع حتى يجدوه في ضوء هذا النور المرسل إليهم" (٤).

ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾ أي "لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم - وهم قومه من قريش - نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك" (٥)، قال قتادة: "كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ" (٦)، قال ابن عباس رضيهما السلام ومقاتل: "ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام" (٧)، "فقد أخبر تعالى أنه لم يبعث إليهم رسولًا بخصوصيتهم قبل محمد ﷺ لا لهم ولا لآبائهم لكنهم كانوا متعبدين بملة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -، وما زالوا على ذلك إلى أن غير ذلك بعض رؤسائهم وعبدوا الأصنام وعم ذلك، فهم مندرجون تحت قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا

(١) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٠٧/٢١، ٢٠٨).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٨/١٥).

(٣) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٤/٢٠).

(٤) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٢/١١).

(٥) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٤/٢٠).

(٦) - المصدر السابق: (١٦٦/٢٠).

(٧) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (٣٢٦/٧).

خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (١) أي شريعته ودينه، والنذير ليس مخصوصًا بمن باشر بل يكون نذيرًا لمن باشره ولغير من باشره بالقرب ممن سبق لها نذير، ولم يباشرهم نذيرٌ غير محمد ﷺ (٢)، والمعنى: أنَّ الدعاء إلى الله لم ينقطع عن كل أمةٍ إما مباشرةٍ من أنبيائهم وما ينقل إلى وقت بعثة محمد ﷺ، والآيات التي تدل على أنَّ قريشًا ما جاءهم نذيرٌ، معناه: لم يباشرهم ولا آباؤهم القريبين، وإما أنَّ النذارة انقطعت فلا، ولمَّا شَرَعَتْ آثار النذارة تدرس بعث الله محمدًا ﷺ، وما ذكره أهل علم الكلام من حال أهل الفترات فإنَّ ذلك على حسب العَرَض؛ لأنَّه واقعٌ، ولا توجد أمةٌ على وجه الأرض إلا وقد علمت الدعوة إلى الله وعبادته (٣).

"ولمَّا ذكر علة الإنزال أتبعها علة الإنذار فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣) أي ليكون حالهم في مجاري العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة" (٤)، "واقصر في ذكر ما جاء به القرآن على الإنذار وإن كان قد جاء له وللتبشير؛ ليكون ذلك ردعًا لهم، ولأنَّه إذا ذكر الإنذار صار عند العاقل فِكْرٌ فيما أنذر به فلعَلَّ ذلك الفكر يكون سببًا لهدايته" (٥)، فقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ معناه رجاء أن يهتدوا بهذا الإنذار إلى الصراط المستقيم، ويستقبلوا دعوتك بالطاعة والاستجابة لما تدعوهم إليه (٦).

وَنظَّم الكلام على هذا أنَّه أشار أولاً إلى إعجازه، ثم رتب عليه أنَّ تنزيله من رب العالمين، وقرَّر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكارًا له وتعجيبًا منه، ثم أضرب عنه إلى إثبات أنَّه الحقُّ المنزل من الله، وبَيَّن المقصود من تنزيله فقال:

(١) - سورة فاطر، رقم الآية: (٢٤).

(٢) - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٢٩/٨، ٤٣٠).

(٣) - المصدر السابق: (٢٨/٩).

(٤) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٢٩/١٥).

(٥) - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٢٩/٨، ٤٣٠).

(٦) - انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي: (١٤٣/١١).

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك إيَّاهم^(١).

ففي الآية الثالثة إشارة إلى صدق رسالة محمد ﷺ، ونفي للريب في صدق ما أخبر به عن الله تعالى، وإذا تحقق عند العبد المسلم هذا الاعتقاد فإنه يكون قد خضع واستجاب لأمر الله، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

"ولمَّا ذكر الرسالة بيَّن ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾"^(٢) أي "المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيُّها الناس هو ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾"^(٣).

"وجيء باسم الجلالة مبتدأ لإحضاره في الأذهان بالاسم المختص به قطعاً لدابر عقيدة الشريك في الإلهية، وجيء باسم الموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر وأنه الانفراد بالربوبية لجميع الخلائق في السماوات والأرض وما بينهما ومن أولئك المشركون المعينون بالخبر، والخطاب موجّه إلى المشركين على طريقة الالتفات"^(٤).

"والخَلْقُ في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثالٍ لم يُسبق إليه"^(٥)، والمعنى: أنه سبحانه أبداع السماوات والأرض وأوجدهما بعد العدم وبعد أن لم تكونا شيئاً^(٦).

"ولمَّا كانت هذه الدار مبنية على حكمة الأسباب، وكان الشيء إذا عمل بالتدرج كان أتمن، قال: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾"^(٧)، وابتداء الخلق في الأيام الستة من يوم الأحد ثم الاثنين

(١) - انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ: (٢١٩/٤).

(٢) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٣٦/٢٥).

(٣) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٦/٢٠).

(٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦١/٨).

(٥) - تهذيب اللغة، للأزهري: (١٧/٧).

(٦) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨٦/١٤).

(٧) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٣٠/١٥).

ثم الثلاثاء ثم الأربعاء ثم الخميس ثم الجمعة، ولم يخلق يوم السبت شيئاً، ويوم من الستة الأيام كألف سنة^(١)، كما روي عن مجاهد أنه قال: "بَدَأَ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، والخميس، وجمع الخلق في يوم الجمعة، وتهودت اليهودُ يوم السبت، ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون"^(٢)، والذي يؤيد القول بأنَّ

اليوم من الستة الأيام كألف سنة قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا

تَعُدُّونَ﴾^(٣)؛ ولأنَّ حقيقة اليوم بالمعنى المعروف من طلوع الشمس إلى غروبها لم تتحقق إلا بعد تمام خلق السماء والأرض^(٤)، وهذا القول - وهو أنَّ المراد باليوم من الستة الأيام: هو ألف سنة - هو قول الجمهور^(٥).

وقد تظاهرت الأحاديث الصحاح على أنَّ الخلق ابتداءً يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة وهو آخر الأشياء، فهذا مستقيم مع هذه الآية^(٦)، ولو شاء الله سبحانه أن يخلق السماوات والأرض وما بينهما في ساعة واحدة لفعل، ولكنه علّم عباده التأني والرفق والتدبير في الأمور^(٧)، "وليكون هذا الخلق مظهرًا لصفتي علم الله تعالى وقدرته، فالقدرة صالحة لخلقها دفعةً لكنَّ العلم والحكمة اقتضيا هذا التدرج وكانت تلك المدة أقل زمنٍ يحصل فيه المراد من التولد بعظيم القدرة، ولعلَّ تكرر ذكر هذه الأيام في آياتٍ كثيرة؛ لقصد التنبيه إلى هذه النكتة البديعة من كونها مظهر سعة العلم وسعة القدرة"^(٨).

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (٤٨٢/١٢).

(٢) - مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل ومن فعله: (٢٦١/٧)، رقم: (٣٥٨٩٤)، والأثر إسناده صحيح

(٣) - سورة الحج.

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦٢/٨).

(٥) - انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، بدون تاريخ: (٤٠٦/١).

(٦) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٥٧/٤).

(٧) - انظر: بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا النوتي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ: (٢٧/٣).

(٨) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦١/٨).

ولمَّا كان تدبير هذا الكون وحفظ الباري له وتعهده مصالحه والقيام بأمره أمرًا باهرًا ناسب أن يشير إلى عظمته بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)، أي ارتفع وعلا على عرشه على الوجه الذي يليق بجلاله^(٢)، والعرش في اللغة: سرير الملك^(٣)، وعرش الرحمن: "سريز ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات"^(٤)، "وخصَّ العرش بالذكر تشريفًا له إذ هو أعظم المخلوقات"^(٥)، وبهذا يكون سبحانه عرَّف عباده كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأملوه^(٦).

قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ "تعليمٌ بعظيم قدرته، ويحصل منه للمشركين زيادة شعورٍ بضلالهم في تشريك غيره في الإلهية"^(٧)، "وقد دلَّت (ثُمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ على التراخي الرُّبِّي أي وأعظم من خلق السماوات والأرض استواءه على العرش؛ تبيينًا على أنَّ خلق السماوات والأرض لم يحدث تغييرًا في تصرفات الله بزيادةٍ ولا نقصان، ولذلك ذكر الاستواء على العرش عقب ذكر خلق السماوات والأرض في آياتٍ كثيرة، ولعلَّ المقصد من ذلك؛ إبطال ما يقوله اليهود: إن الله استراح في اليوم السابع فهو كالمقصد من قوله تعالى [في سورة ق]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٨).

ولمَّا ذكر أنَّ الله خالق السماوات والأرض وكان المشركون معترفين بذلك لكنَّهم مع ذلك

- (١) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٣٠/١٥).
- (٢) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (٢٧٠/١٨).
- (٣) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٠٠٩/٣).
- (٤) - البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٨هـ: (١٢/١).
- (٥) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٤٠٨/٢).
- (٦) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨٦/١٤).
- (٧) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦١/٨).
- (٨) - المصدر السابق: (١٦٥/٨، ١٦٦).

اتخذوا أصنامًا يصرفون لها العبادة؛ لأنهم اعتقدوا فيها النصره والقوة والشفاعة عند الله ناسب أن يبين سبحانه أن عبادتهم لهذه الأصنام هي عبادة باطلة ضائعة فلا هي التي خلقتهم ولن تنصرهم من دون الله أو تشفع لهم عنده فلذلك قال: ﴿ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾^(١) والمعنى: "ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرراً ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إيَّاه، فإيَّاه فاتخذوا ولياً، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ولا يقدر أحد على دفعه عمّا أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب"^(٢).

ولفت الكلام إلى الخطاب؛ لأنه أقعد في التنبيه^(٣)، "وفي هذا النذير إلفات إلى قدرة الله وإلى سلطانه القائم على هذا الوجود وأنه سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض وقام بسلطان قدرته عليهما وعلى تصريف كل شيء فيهما فليؤمنوا إذن بهذا الإله المتفرد بالألوهية وليتركوا ما هم عاكفون عليه من أصنام، فإن لم يفعلوا أخذهم الله بعذابه الذي لا يدفعه عنهم وليُّ أي قريب أو حليف ولا يشفع لهم من بأس الله شفيع من تلك المعبودات التي يعبدونها من دونه ليقربوهم إلى الله زلفى"^(٤)، "ومن في قوله من ولي زائدة لتأكيد النفي، أي: لا ولي لكم ولا شفيع لكم غير الله فلا ولاية للأصنام ولا شفاعة لها؛ إبطالاً لما زعموه لأصنامهم من الوصفين إبطالاً راجعاً إلى إبطال الإلهية عنها"^(٥).

"ولما كانوا مقرّين بأنّ الخلق خلقه والأمر أمره، عارفين بأنّه لا يلي وال من قبل ملك من الملوك إلا بحجة منه يقيمها على أهل البلدة التي أرسل إليها أو ناب فيها، ولا يشفع شفيع فيهم إلا وله إليه وسيلة تسبب عن ذلك الإنكار عليهم في قوله: ﴿ أَفَلَا نَتَذَكَّرُونَ ﴾"^(٦)، والمعنى: "أفلا تعتبرون وتتفكّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع، فتفردوا

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٣٩/٢٥).

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٦/٢٠).

(٣) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٣١، ٢٣٠/١٥).

(٤) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٤/١١).

(٥) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١٦١/٨).

(٦) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٣١/١٥).

له الألوهية وتخلصوا له العبادة وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة"^(١)، وهذا خطاب عام يقتضي التوحيد والحجة عليه بدلائله"^(٢)، "فالآية الكريمة جمعت في توجيهاتها الحكيمة، بين مظاهر قدرة الله تعالى وبين الترهيب من معصيته ومخالفة أمره وبين الحضّ على التذکر والاعتبار"^(٣).

إذا أشارت الآية إلى عظيم قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وفي استوائه على عرشه سبحانه، وفي هذا دلالة على أنّ القادر على خلق السماوات والأرض، والعظيم في علوه وارتفاعه على عرشه هو من يستحق العبادة وحده لا شريك له؛ فلذلك أنكر الله على المشركين اتخاذهم أنداداً معه يطلبون منها النصر والشفاة؛ لأنّ هذه الأصنام لن تنصرهم إن أراد الله بهم ضرراً، ولن تشفع لهم عنده، ولذلك ختم الآية بالاستفهام الإنكاري بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وتعتبرون هذه الحقيقة العظيمة فتفردوا الله بالعبادة وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، وبهذا يكون قد نفى الله تعالى الريب والشك عن عقيدة التوحيد بل وأكدها وجعلها من المسلّمات التي لا يمكن التنازل عنها بحال من الأحوال، فمن أثبت حقيقة التوحيد وطبقها واقعاً في حياته فقد خضع واستسلم لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمّا بيّن الله تعالى الخلق بيّن الأمر فقال: ﴿يَذَبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤)، ومعناه أنّ الله تعالى يقضي ويحكم بإنفاذ الأمر القدري والأمر الشرعي من السماء إلى الأرض^(٥)، ولمّا كان أمر تدبير الكون صادراً من العلي الأعلى إلى كل ما في السماوات والأرض قال: ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٦/٢٠).

(٢) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٤٠٨/٢).

(٣) - التفسير الوسيط، للطنطاوي: (١٤٣/١١، ١٤٤).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥).

(٥) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٥٨/٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان، للسعدي: (٦٥٣/١)، والتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٦/١١).

الأَرْضِ ﴿١﴾، " والمراد بالسماء هنا الإشارة إلى منزل هذا الأمر المدبّر، وهو أنّهُ من سلطان عالٍ متمكّن، والمراد بالأرض الإشارة إلى ما يقضي به الله في شأن الناس وما يتصل بعالمهم الأرضي إذ كانوا هم المخاطبين بهذا والمدعوين إلى النظر فيه وتلقّي العبرة منه" (١)، " والمقصود من حربي الابتداء والانتهاء شمول تدبير الله تعالى الأمور كلها في العالمين العلوي والسفلي تديراً شاملاً لها من السماء إلى الأرض، فأفاد حرف الانتهاء شمول التدبير لأمر كل ما في السماوات والأرض وفيما بينهما، والمقصود: التنبيه على عظم القدرة وسعة ملكوت الله وتدييره" (٢).

ولمّا كان تدبير أمر الكون ينزل من الله بين أنّهُ كذلك يصعد إليه فقال: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي " يصعد إليه" (٣)، " وعروج الأمر إلى الله هو الرجوع إليه بعد أن يقع على الصورة التي أرادها فيعلمه سبحانه على الصورة التي وقع عليها، وهذا العلم ليس حادثاً بل هو علم قدّم لأمر حادثه، فكل الأمور تصدر عن الله ثم تعود إليه بعد أن تدور دورتها المقدورة لها كما يقول سبحانه [في سورة الشورى]: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (٤)، قال الفخر الرازي: "والعظمة تتبيّن بهما [أي بالخلق والأمر] فإنّ من يملك ممالك كثيرين عظماء تكون له عظمة، ثم إذا كان أمره نافداً فيهم يزداد في أعين الخلق، وإن لم يكن له نفاذ أمرٍ ينقص من عظمتة" (٥).

ولمّا بيّن الله عظمتة في تدبير أمر الكون من السماء إلى الأرض ثم عروجه إليه ناسب أن يبيّن عظمتة في الفترة القصيرة التي يقضيها صدور الأمر منه ثم عروجه إليه فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥)، والمعنى: "في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدّون من أيامكم خمسمائة في النزول

(١) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٦/١١، ٦٠٧).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٢/٢١، ٢١٣).

(٣) - بحر العلوم، للسمرقندي: (٢٨/٣).

(٤) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٦/١١، ٦٠٧).

(٥) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥).

وخمسمائة في الصعود، وهذا أظهر معانيه وأشبهه بظواهر التنزيل"^(١).

وقد أشارت الآية إلى عظيم قدرة الله تعالى في تدبير أمر المخلوقات ونزول هذا الأمر الذي قضاه وقدره في يوم واحد من أيام الدنيا، مقدار ذلك اليوم لو سير فيه السير المعروف من البشر لكان مقداره ألف سنة نزولاً وعروجاً؛ لأنَّ النزول من السماء إلى الأرض خمسمائة سنة، والعروج من الأرض إلى السماء خمسمائة سنة، وفي هذا دلالة على أنَّ مدبر أمر المخلوقات من السماء والأرض ثم عروجه إليه في فترة وجيزة لا تتجاوز اليوم الواحد من أيام الدنيا هو من يستحق أن نفرده بالعبادة، فمضمون هذه الآية هو حثُّ العباد على أن يخلصوا العبادة لله الفرد الصمد، وأن لا يصدر منهم إنكار لهذه الحقيقة، بل لا يصدر منهم أدنى شك في هذا الأساس العظيم الذي خلق الجن والإنس من أجله، فمن حقَّق التوحيد وأفرد الله العبادة فقد أذعن واستجاب لأمر الله، وهذا المذكور متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا بَيَّنَّ في الآية السابقة عظمة الله تعالى في تدبير أمر هذا الكون، وكان من يملك هذه العظمة لا بد أن يحيط علمه بكل شيء سواء كان مشاهدًا أم غائبًا ناسب أن يعقب بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، والمشار إليه في ﴿ذَلِكَ﴾ هو الله سبحانه وتعالى الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير^(٣)، "وجيء بالإشارة إلى اسم الجلالة - بعد ما أجري عليه من أوصاف التصرف بخلق الكائنات وتدبير أمورها - للتنبيه على أنَّ المشار إليه باسم الإشارة حقيقٌ بما يرد بعد اسم الإشارة من أجل تلك الصفات المتقدمة"^(٤).

قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيُّها الناس فلا تبصرونه مما تُكِنُّهُ الصدور وتخفيه النفوس وما لم يكن بعد مما هو كائن، وعالم كذلك ما شاهدته أبصاركم فأبصرته وعاینته وما هو موجود^(٥)، "وقد قدَّم العلم بالغيب؛ لأنه أقوى وأشد"

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٦٩/٢٠).

(٢) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٤٢/١٥).

(٣) - انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٣٢/٨).

(٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٤/٢١).

(٥) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٠/٢٠).

إنباءً عن كمال العلم" (١)، ويفهم من قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ التهديد والوعيد، أي أخلصوا أفعالكم وأقوالكم فإنِّي أجازي عليها (٢).

"ولمَّا بَيَّنَّ أَنَّهُ عَالِمٌ ذَكَرَ أَنَّهُ عَزِيزٌ قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْكُفْرَةِ، رَحِيمٌ وَاسِعَ الرَّحْمَةِ عَلَى الْبِرَّةِ" (٣) فقال: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، ومعناه الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره وكذَّب رسله، الرؤوف بمن تاب من ضلَّالته ورجع إلى الإيمان به ورسوله والعمل بطاعته (٤)، "فهو عزيزٌ في رحمته، رحيمٌ في عزته وهذا هو الكمال" (٥)، "وفي قوله: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى صفتي القهر واللفظ اللتين ينبغي أن تكونا لكل ملك، وإنما أحرر ﴿الرَّحِيمُ﴾ مع أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ لِيُوصِلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾" (٦)، "وفي وصف الله سبحانه بالعزة والرحمة إشارة إلى أَنَّ عزته سبحانه وتعالى عزة رحمة وإحسان وليست عزة تسلط وقهر" (٧).

"ومناسبة وصفه تعالى بالعزیز الرحيم عقب ما تقدم أَنَّهُ خلق الخلق بمحض قدرته بدون مُعين، فالعزة وهي الاستغناء عن الغير ظاهرة، وأَنَّهُ خلقهم على أحوالٍ فيها لطفٌ بهم، فهو رحيمٌ بهم فيما خلقهم إذ جعل أمور حياتهم ملائمةً لهم، فيها نعيمٌ لهم، وجنَّبهم الآلام فيها، فهذا سبب الجمع بين صفتي العزيز والرحيم" (٨).

فالأية دلَّت على عظمة الله تعالى في علمه بكل شيء سواء كان غائبًا عن الناس أو مشاهدًا، كما دلَّت على عظمته في كمال اتصافه بالعزة مع الرحمة، فإذا كانت هذه أوصاف

(١) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥).

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨٩/١٤).

(٣) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥).

(٤) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٠/٢٠).

(٥) - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٢١/٦).

(٦) - غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لابن القمي النيسابوري: (٤٣٦/٥).

(٧) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٠٩/١١).

(٨) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٥/٢١).

العليم العظيم العزيز الرحيم فهو أهل لأن يعبد وحده دون سواه، وأن لا يصدر من العباد كفر بهذه الحقيقة العظيمة بل لا يصدر منهم أدنى ريب فيها؛ لأنَّ الغرض الذي خلق من أجله الجن والإنس هو عبادة الله وحده لا شريك له، فتحقيق التوحيد خضوع واستجابة لأمر الله، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

"وَمَا بَيْنَ الدَّلِيلِ الدَّالِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ مِنَ الْآفَاقِ بِقَوْلِهِ: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وَأْتَمَّهُ بِتَوَابِعِهِ وَمَكْمَلَاتِهِ ذَكَرَ الدَّلِيلِ الدَّالِ عَلَيْهَا مِنَ الْأَنْفُسِ بِقَوْلِهِ: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾" (١) أي "أتقن كلَّ شيءٍ وأحكمه" (٢)، فقد أتقن سبحانه وأحكم خلق مخلوقاته، فبعض المخلوقات وإن لم تكن حسنةً في نفسها فهي متقنةٌ محكمة (٣)، فكل مخلوق خلقه الله فإنَّ الله أحسن خلقه وخلقه خلْقًا يليق به ويوافقه (٤)، وقُرئ بِإِسْكَانِ اللَّامِ فِي "خَلَقَهُ" (٥) فَالْحُجَّةُ لِمَنْ أَسْكَنَ أَنَّهُ أَرَادَ الَّذِي جَعَلَ عِبَادَهُ يَحْسِنُونَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعْنَى أَعْلَمَ وَأَلْهَمَ خَلْقَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْمَصْدَرَ فَكَأَنَّهُ قَالَ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا وَابْتِدَاءً (٦).

وكلُّ شيءٍ خلقه الله فإنَّه يتجلى فيه الإحسان والإتقان فلا تجاوز ولا قصور ولا زيادة عن حد الإحسان ولا نقص ولا إفراط ولا تفريط في حجم أو شكل أو صنعة أو وظيفة، كل شيء مقدر لا يزيد عن حد التناسق الجميل الدقيق ولا ينقص ولا يتقدم عن مواعده ولا يتأخر ولا

(١) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥).

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٠/٢٠).

(٣) - انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٨٨/٤).

(٤) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٣).

(٥) - والقراءة بإسكان اللام في "خَلَقَهُ" قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، انظر: السبعة في القراءات، لأبي بكر بن موسى بن العباس التميمي البغدادي المعروف بابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ص: (٥١٦).

(٦) - انظر: الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ، ص: (٢٨٧)، وحجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص: (٥٦٨).

يتجاوز مداه ولا يقصر، كل شيء من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام، ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام، كلُّها يتجلى فيها الإحسان والإتقان، وكذلك الأعمال والأطوار والحركات والأحداث، وكلُّها من خلق الله مقدرةً تقديرًا دقيقًا في موعدها وفي مجالها وفي مآلها وفق الخطة الشاملة لسير هذا الوجود من الأزل إلى الأبد مع تدبير الله، والتأمل في خلق الله حيثما اتجه النظر أو القلب أو الذهن يمنح الإنسان رصيّدًا ضخمًا من ذخائر الحسن والجمال ومن دلائل التناسق والكمال، تجمع السعادة من أطرافها بأحلى ما في ثمارها من مذاق وتسكبها في القلب البشري وهو يعيش في هذا الإبداع الإلهي الجميل المتقن، يتملى آيات الإحسان والإتقان في كل ما يراه وما يسمعه وما يدركه في رحلته على هذا الكوكب ويتصل من وراء أشكال هذا العالم الفانية بالجمال الباقي المنبثق من جمال الصنعة الإلهية الأصيلة، ولا يدرك القلب شيئًا من هذا النعيم في رحلته الأرضية إلا حين يستيقظ من همود العادة ومن ملالة الألفة، وإلا حين يتسَمَّع لآيات الله في الكون من حوله ويتطلع إلى الإبداع فيه، وإلا حين يبصر بنور الله فتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة كما خرجت من يد الله المبدعة، وإلا حين يتذكر الله كلِّما وقعت عينه أو حسه على شيء من بدائعه فيحس بالصلة بين المبدع وما أبدع فيزيد شعوره بجمال ما يرى وما يحس؛ لأنَّه يرى حينئذ من ورائه جمال الله وجلاله، إنَّ هذا الوجود جميل، وإنَّ جماله لا ينفد، وإنَّ الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال والاستمتاع به إلى غير ما حدود قدر ما يريد وفق ما يريد له مبدع الوجود، وإنَّ عنصر الجمال لمقصود قصدًا في هذا الوجود، فإتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل شيء يصل إلى حد الجمال، وكمال التكوين يتجلى في صورة جميلة في كل عضو وفي كل خلق، هذا التناسق الذي لا عوج فيه ولا فطور! إنَّها رحلة ممتعة في هذا الوجود الجميل الصنع البديع التكوين يلفتنا القرآن إليها لنتملاها ونستمتع بها وهو يقول: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ فيوظف القلب لتتبع مواضع الحسن والجمال في هذا الوجود الكبير^(١).

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ "خبرٌ آخر عن اسم الإشارة أو وصفٌ

(١) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨٠٨/٥، ٢٨٠٩).

آخر لعالم الغيب، وهو ارتقاء في الاستدلال مشوبٌ بامتنانٍ على الناس أن أحسن خلقهم في جملة إحسان خلق كل شيء وبتخصيص خلق الإنسان بالذكر، والمقصود: أنه الذي خلق كل شيءٍ وخاصَّةً الإنسان خلقًا بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وأخرج أصله من ترابٍ ثم كَوَّن فيه نظام النسل من ماء، والإحسان: جعل الشيء حسنًا أي محمودًا غير معيبٍ وذلك بأن يكون وافيًا بالمقصود منه فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعةً على ما ينبغي، فصلاصة الأرض مثلاً للسير عليها، ورقة الهواء ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق؛ لأنها لو كانت مثل الماء تلتهب يمينًا وشمالًا لكثرت الحرائق، فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق^(١)، "ثم خصَّ الآدمي لشرفه وفضله فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ وذلك بخلق آدم عليه السلام أبي البشر"^(٢)، ومعناه أنه سبحانه بدأ خلق آدم من طين^(٣)، فقد ثبت عن النبي ﷺ قال: "إنَّ الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنوه على ألوان الأرض منهم الأبيض والأحمر وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك"^(٤)، وقد عدَّد أمره على بنيه إذ خلقه خلقًا لهم من حيث هو منسَلَم^(٥).

والطين عبارة عن ماء وتراب مجتمعان، والآدمي أصله مني، والمني أصله غذاءٌ، والأغذية إما حيوانيةٌ وإما نباتيةٌ، والحيوانية في النهاية ترجع إلى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين^(٦).

"وفي قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ إلفات إلى وحدة من وحدات هذا الخلق، وإشارة إلى مواطن هذا الحسن منه وهو خلق الإنسان من طين، ففي هذا الطين الذي

(١) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٥/٢١، ٢١٦).

(٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٣).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٢/٢٠).

(٤) - سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر: (٢٢٢/٤)، رقم: (٤٦٩٣)، وسنن الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة البقرة: (٢٠٤/٥)، رقم: (٢٩٥٥)، وحكم الألباني على الحديث بالصحة، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها، للألباني: (١٧٢/٤)، رقم: (١٦٣٠).

(٥) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣٥٩/٤).

(٦) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٠/٢٥، ١٤١).

قد تنبو عنه العين، ويتحاشاه النظر حُسْنُ رائع وجمال مهيب إذا استطاع الناظر أن ينفذ إلى ما وراء هذا الظاهر الذي يراه وأن يتجاوز هذه القشرة السوداء المعتمة من الطين، فإنَّ وراء هذه القشرة عالمًا يموج بألوان زاخرة زاهية من الحياة، فما هذه الأناسي التي تتحرك على ظهر الأرض وتملأ الحياة حركةً وعمراًً إلا بعض هذا الطين الذي نمشى عليه وننطلق فوقه!! وإذا عجز إدراك الإنسان عن أن يرى في مرآة هذا الطين صورته، ويعرف الرَّحْم الذي تَفَتَّق عنه فليُنظر في وجوه الأرض وما عليها من ألوان الزَّهر وأصناف الشجر وأنواع الثمر، فهذا الطين ليس في عين ذوي البصائر طينًا جامدًا صامتًا كثيبًا، وإنما هو الجمال كُلُّه والحسن كُلُّه تَفَتَّقَتْ عنه - بقدره العزيز الرحيم - هذه الحياة المتدفقة من إنسان وحيوان ونبات! فبدء خلق الإنسان من طين هو نقطة الابتداء التي يبدأ العقل مسيرته منها إلى حيث يلتقي بالإنسان في أكمل صورته وأعظم موافقه، وعندئذٍ يرى كيف تدبير الله وقدرته، وكيف علمه وإحسانه ورحمته، فما أبعد ما بين الطين والإنسان في عين من لا يحسن النظر ويمعن التفكير، وما أقرب ما بين الطين والإنسان في عين من ينظر فيحسن النظر بعقله وبقلمه جميعاً، فمن هذا الطين كان الأنبياء والرسل والقادة والمصلحون والعباقرة، ومن هذا الطين كانت تلك الشمس المضيئة التي زينت الأرض كما زينت الكواكب والنجوم وجه السماء!"^(١).

ولمَّا ذكر صفة خلق آدم ﷺ ناسب أن يذكر صفة خلق ذريته بعد ذلك فقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾، أي خلق ذريته من النطفة التي تنسل من الإنسان^(٢)، ونَسْلُ الرجل: ولده وولد ولده، والناس نَسْلُ آدم^(٣)، وسُميت السلالة بذلك؛ لأنَّها تنسل من الإنسان أي تخرج منه^(٤)، فالسُّلُّ هو انتزاع الشَّيء وإخراجه في رفق^(٥)، والسلالة على هذا تكون ما سُئل من صلب الرَّجُل وترائب المرأة^(٦).

(١) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١٠، ٦٠٩/١١).

(٢) - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (٢٩/٣).

(٣) - جمهرة اللغة، لابن دريد: (٨٦٠/٢).

(٤) - انظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (٣٢٧/٧).

(٥) - انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (٤١١/٨).

(٦) - انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٢٠٦/١٢).

قوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي "من نطفة ضعيفة رقيقة"^(١)، فماء النطفة هو المرحلة الأولى في تطور الجنين، ثم من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى كمال التكوين الجنيني في هذه السلسلة التي تبدأ بالماء المهين، وأنها لرحلة هائلة حين ينظر إلى طبيعة التطورات التي تمر بها تلك النقطة الضائعة من ذلك الماء المهين حتى تصل إلى الإنسان البديع التكوين، وأنها لمسافة شاسعة ضخمة بين الطور الأول والطور الأخير، أين تلك النقطة الصغيرة المهينة من ذلك الإنسان الذي تصير إليه في النهاية لولا أنها يد الله المبدعة التي تصنع هذه الخارقة والتي تهدي تلك النقطة الصغيرة الضعيفة إلى اتخاذ طريقها في النمو والتطور والتحول من هيئتها الساذجة إلى ذلك الخلق المعقد المركب العجيب^(٢).

وفي الآية لفتة إلى قدرة العزيز الرحيم يرى فيها الإنسان نفسه لا في هذا الطين الذي ربما كانت كثافته حائلا بينه وبين نظره الكليل أن يرى وجوده فيه، فهناك النطفة التي يعلم الإنسان - كل إنسان - عن يقين أنه ثمرتها، وأنها البذرة التي جاء منها، فأين تلك النطفة من

هذا الإنسان؟ قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٧)^(٣)، وفي وصف النطفة بأنها ماء مهين إشارة إلى أنها شيء رخيص مبتذل، لا يرى فيها الإنسان شيئاً ذا بال، فما هي إلا ماء مستقذر، هكذا يبدو في ظاهر الأمر، ولكن إذا نظر إليه نظراً متأملاً متفحصاً رأى أنه هو هذا الإنسان، قد أجمل في هذه القطرة من الماء! ثم فُصِّل فكان هذا الخلق السوي الذي تُوج بتاج الخلافة من الله على هذه الأرض^(٤).

ومن في قوله ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ للتبعيض أو للابتداء؛ لأن في الآية إيماءً علمياً لم يدركه الناس إلا في هذا العصر وهو أن النطفة يتوقف

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٢/٢٠).

(٢) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٠/٥).

(٣) - سورة الطارق.

(٤) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١١/١١).

تكون الجنين عليها؛ لأنه يتكون من ذراتٍ فيها تختلط مع سلالةٍ من المرأة، وما زاد على ذلك يذهب فضلة، فالسلالة التي تنفرز من الماء المهين هي النسل لا جميع الماء المهين، فتكون من في قوله: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ للتبعيض أو للابتداء، والمهين: الشيء الممتهن الذي لا يُعبأ به، والغرض من إجراء هذا الوصف عليه الاعتبار بنظام التكوين إذ جعل الله تكوين هذا الجنس المكتمل التركيب العجيب الآثار من نوع ماءٍ مهراقٍ لا يُعبأ به ولا يصاب^(١).

ولما ذكر بداية خلقة ذرية آدم ناسب أن يذكر توابع تلك الخلقة ومكملاتها فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٢).
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي "ثم سَوَّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقتا سويًا معتدلاً"^(٢)، والمعنى "أنه عدل خلقه، وسوى شكله، وناسب بين أعضائه"^(٣).

"وقوله: ﴿وَنَفَخَ﴾ عبارة عن إفاضة الروح في جسد آدم، والضمير في ﴿رُوْحِهِ﴾ لله تعالى، وهي إضافة مُلك إلى مالك وخلق إلى خالق"^(٤)، فقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ أي "روحًا من روحه أي من خلقه، وأضافه إلى نفسه؛ لأنه من فعله، وعبر عنه بالنفخ؛ لأنَّ الروح من جنس الريح"^(٥)، "وإضافة الروح إلى نفسه كإضافة البيت إليه للتشريف، واعلم أنَّ النصراني يفترون على الله الكذب ويقولون بأنَّ عيسى كان روح الله فهو ابن، ولا يعلمون أنَّ كلَّ أحدٍ روحه روح الله بقوله: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ أي الروح التي هي ملكه كما يقول القائل داري وعبدي، ولم يقل أعطاه من جسمه؛ لأنَّ الشرف بالروح فأضاف

(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٦/٢١).

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٢/٢٠).

(٣) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٨٨/٤).

(٤) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٥٩/٤).

(٥) - النكت والعيون، للماوردي: (٣٥٦/٤).

الروح دون الجسم"^(١)، "وإضافة الروح إلى ضمير الجلالة؛ للتبويه بذلك السر العجيب الذي لا يعلم تكوينه إلا هو تعالى، فالإضافة تفيد أنه من أشد المخلوقات اختصاصًا بالله تعالى وإلا فالمخلوقات كلها لله"^(٢).

"ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٣)، والمعنى: أن ربكم أنعم عليكم أيها الناس فخلق لكم هذه الأشياء تكميلاً لنعمته عليكم وتتميمًا لتسويته لخلقكم حتى تجتمع لكم النعم، فأعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص، والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك"^(٤)، وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ رجوع إلى ذريته"^(٥)، وقد أظهر تعديد النعم عليهم في أن خصهم في قوله: ﴿لَكُمْ﴾^(٦)، وقد جاءت بصيغة الخطاب ولم تأت هذه الصيغة من قبل؛ لأن الخطاب هنا مع الحي"^(٧)، وفي الجملة التفاتٌ إذ هو خروجٌ من مفردٍ غائبٍ إلى جمعٍ مخاطبٍ؛ لأن المخاطبين من أفراد الناس، و﴿وَجَعَلَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين، فلما انتهض الاستدلال على عظيم القدرة وإتقان المراد من المصنوعات المتحدث عنهم بطريق الغيبة الشامل للمخاطبين وغيرهم ناسب أن يلتفت إلى الحاضرين بنقل الكلام إلى الخطاب؛ لأنه أثرٌ بالامتنان وأسعد بما يرد بعده من التعريض بالتوبيخ في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، ويفهم من هذه الصيغة

(١) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤١/٢٥).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٧/٢١).

(٣) - لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (٤٠٣/٣).

(٤) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٣/٢٠)، وفتح القدير، للشوكاني: (٢٨٨/٤).

(٥) - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (٢٩/٣).

(٦) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٥٩/٤).

(٧) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤١/٢٥).

أيضاً تعديداً للنعم، وتنبيةً على جسامته نعم هذه الجوارح (١).

"وأفرد السمع لكونه مصدرًا يشمل القليل والكثير، وخصَّ السمع بذكر المصدر دون البصر، والفؤاد - بذكرهما بالاسم ولهذا جُمعاً -؛ لأنَّ السمع قوَّةٌ واحدةٌ ولها محلٌّ واحدٌ، وهو الأذن ولا اختيار لها فيه، فإنَّ الصوت يصل إليها ولا تقدر على ردِّه ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعضٍ بخلاف الأبصار فمحلُّها العين وله فيه اختيار فإنَّها تتحرَّك إلى جانب المرئي دون غيره وتطبق أجفانها إذا لم ترد الرؤية لشيءٍ، وكذلك الفؤاد له نوع اختيار في إدراكه فيتعقل هذا دون هذا، ويفهم هذا دون هذا" (٢).

"والأفتدة يعني القلوب وتسمى القلب فؤاداً؛ لأنَّه ينبوع الحرارة الغريزية مأخوذ من المفتاد وهو موضع النار، وخصَّ السمع والأبصار والأفتدة بالذكر؛ لأنَّها موضع الأفكار والاعتبار" (٣)، "والترتيب في السمع والأبصار والأفتدة على مقتضى الحكمة؛ وذلك لأنَّ الإنسان يسمع أولاً من الأبوين أو الناس أموراً يفهمهما، ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرةٌ فيبصر الأمور ويجربها، ثم يحصل له بسبب ذلك إدراك تام وذهنٌ كاملٌ فيستخرج الأشياء من قبلة، وقدم السمع؛ لأنَّ عند الإعطاء ذكر الأذن وارتقى إلى الأعلى فقال أعطاكم السمع ثم أعطاكم ما هو أشرف منه وهو القلب" (٤).

"والامتنان بقوى الحواس وقوى العقل أقوى من الامتنان بالخلق وتسويته؛ لأنَّ الانتفاع بالحواس والإدراك متكرراً متجددٌ فهو محسوسٌ بخلاف التكوين والتقويم فهو محتاجٌ إلى النظر في آثاره، والعدول عن أن يقال: وجعلكم سامعين مبصرين عالمين إلى جعل لكم السمع والأبصار والأفتدة؛ لأنَّ ذلك أعرق في الفصاحة ولما تؤذّن به اللام من زيادة المنة في هذا الجعل إذ كان جعلاً لفائدتهم ولأجلهم ولما في تعليق الأجناس من السمع والأبصار والأفتدة بفعل الجعل من الروعة والجلال في تمكن التصرف، ولأنَّ كلمة الأفتدة أجمع من كلمة عاقلين؛ لأنَّ الفؤاد يشمل

(١) - انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (٤٣٣/٨)، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان، لابن القيم النيسابوري:

(٥/٤٣٦)، والتحريير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢١٧).

(٢) - فتح القدير، للشوكاني: (٤/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) - النكت والعيون، للماوردي: (٤/٣٥٦).

(٤) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٢٥/١٤١، ١٤٢).

الحواس الباطنة كلها، والعقل بعضُ منها، وأفرد السمع؛ لأنَّه مصدرٌ لا يجمع، وجمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الناس" (١).

"ولمَّا لم يتبادروا إلى الإيمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي وكثيراً ما تكفرون" (٢)، والمعنى فلا تشكرون ربَّ هذه النعمة فتوحده إلا قليلاً (٣)، وفي قوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ "بيانٌ لكفرهم لنعم الله، وتركهم لشكرها إلا فيما ندر من الأحوال" (٤)، وفيها كذلك أنَّ قليلاً من عباد الله من يعرف الله قدره، ويذكر له إحسانه وفضله فيؤدى الشكر لله إيماناً به، وإفراداً له بالألوهية (٥)، وعلى هذا يجوز أن يكون قليلاً مستعملاً في حقيقته وهي كون الشيء حاصلًا ولكنه غير كثير، ويجوز أن يكون كنايةً عن العدم كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦)، وعلى الوجهين يحصل التويخ؛ لأنَّ النعم المستحقة للشكر وافرةٌ دائمة، فالتقصير في شكرها وعدم الشكر سواء (٧).

فالآيات الست السابقة تناولت التوحيد وأثبتته بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية فهو الخالق المدبر المهيمن، وتوحيد الألوهية فلا بد من إفراده وحده لا شريك له، والخلق ليس لهم ولي ولا شفيع من دون الله عز وجل، وكذلك توحيد الأسماء والصفات فهو المستوي على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته وكبريائه بكيفية لا يعلمها إلا هو، والعجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث في كنه ذات الله إشراك، وهو العزيز الذي قد عزَّ كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرِّقاب، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته وهذا هو الكمال، وهو العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء فعلمه كامل محيط بكل

(١) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٧/٢١).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٤٥/١٥، ٢٤٦).

(٣) - انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: (٤٠٣/٣).

(٤) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٨٨/٤، ٢٨٩).

(٥) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١١/١١، ٦١٢).

(٦) - سورة النساء.

(٧) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٨/٢١).

شيء مهما دقَّ وخفى، وهو القدير الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون أحسن كل شيء خلقه، وخلق الإنسان من طين وجعل ذريته يتناسلون وهو يصورهم في الأرحام كيف يشاء، ووهب للإنسان السمع والبصر والفؤاد، وأسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة^(١).

وفي إحسان خلق كل شيء، وخلق آدم من طين، وخلق ذريته من ماء مهين، وتسوية الإنسان ونفخ الروح فيه، والتفضل عليه بالسمع والبصر والفؤاد دلالة واضحة على أنَّ المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له؛ لأنَّه هو الخالق المتفضل على عباده بالآلاء والنعم، وفي هذا استدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وعلى هذا يجب على العباد إثبات توحيد الألوهية في واقعهم وسلوكهم حتى يسعدوا في دنياهم وأخراهم، وأنَّ لا يصدر منهم أي إنكار لهذه الحقيقة العظيمة بل أدنى شك فيها، فمن حقق هذا الأصل العظيم فقد أذعن واستسلم لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا قال: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ بيَّن عدم شكرهم بإتيانهم بضده وهو الكفر وإنكار قدرته على إحياء الموتى بقوله: ﴿ وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾، وهذا شروع في ذكر الأصل الثالث وهو الحشر، فقد ذكر الأصل الأول: وهو الرسالة بقوله: ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾، ثم ذكر الأصل الثاني: وهو الوحدانية بقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾، ثم ناسب أن يذكر الأصل الثالث: وهو الحشر بقوله: ﴿ وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾، وهذا على عادة القرآن كلَّما ذكر أصلين من الأصول الثلاثة لم يترك الأصل الثالث وهو هاهنا الحشر، وجاء في تكذيبهم للرسول ﷺ في الحشر بلفظ الماضي ﴿ وَقَالُوا ﴾؛ وذلك لأنَّ إنكارهم للحشر كان سابقاً صادراً منهم ومن آبائهم، ولأنَّهم كانوا مصرِّين في جميع الأحوال على إنكار الحشر، وقد ذكر سبحانه دليل

(١) - انظر: التفسير بالمأثور لسورة السجدة، مع بيان الوحدة الموضوعية للسورة "أطروحة ماجستير"، للباحث الدكتور:

محمد كمال شعبان أبو حسين، ص: (٥٩٦).

الحشر في الآيات السابقة، فخلق الإنسان ابتداءً دليل على قدرته على إعادته؛ ولهذا استدللَّ الله على إمكان الحشر بالخلق الأول كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(٢)، وكذلك خلق السموات والأرض كما قال تعالى [في سورة يس: ٨١]: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾^(٣).

والواو في ﴿ وَقَالُوا ﴾ للحال، والحال للتعجب منهم كيف أحالوا إعادة الخلق وهم يعلمون النشأة الأولى، وليست الإعادة بأعجب من بدء الخلق وخاصةً بدء خلق آدم عن عدم^(٤)، "والظاهر أن ﴿ وَقَالُوا ﴾ لضمير الجمع وأسند إلى الجمع لرضاهم به"^(٥)، "والاستفهام في ﴿ أءِذَا ضَلَلْنَا ﴾ للتعجب والإحالة، أي أظهروا في كلامهم استبعاد البعث بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتُّراب مغالطةً للمؤمنين وترويضًا لكفرهم"^(٦)، وقرئ "إذا ضللنا" مكسورة الألف^(٧)؛ "الأنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه"^(٨)، فالكلام على هذا خبرٌ مُستعملٌ في التَّهَكُّمِ^(٩).

قوله تعالى: ﴿ ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ "أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض، وإنما عني هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿ ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: إذا هلكت أجسادنا في

(١) - سورة الروم، رقم الآية: (٢٧).

(٢) - سورة يس، رقم الآية: (٧٩).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٢/٢٥، ١٤٣).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٨/٢١).

(٥) - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٣٣/٨).

(٦) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٨/٢١).

(٧) - وهذه قراءة ابن عامر، انظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: ص(٥١٦).

(٨) - بحر العلوم، للسمرقندي: (٢٩/٣).

(٩) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٩/٢١).

الأرض؛ لأنَّ كلَّ شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب فإنَّه قد ضلَّ فيه" (١)،
 "يقال: قد ضلَّ الماء في اللبن: إذا غاب" (٢)، قوله تعالى: ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ "هذا
 استفهامٌ على إنكار؛ أي: إنَّا لا نبعث بعد الموت" (٣)، والهمزة الثانية في ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ
 جَدِيدٍ﴾ تأكيدٌ لهمزة الاستفهام الدَّاخلة على ﴿أَنَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾، وتأكيد
 جملة ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بحرف إنَّ؛ لأنَّهم حكوا القول الذي تعجبوا منه وهو ما
 في القرآن من تأكيد تجديد الخلق فحكوه بالمعنى كما في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٤)،
 أي: يحقُّ لكم ذلك، والجديد: المحدث أي غير خَلَقْنَا الذي كنَّا فيه (٥).

"ولمَّا كان قولهم هذا يتضمن إنكارهم القدرة، وكانوا يقولون بما يلزمهم منه الإقرار بالقدرة
 على البعث من خلق الخلق والإنباء من كل كرب ونحو ذلك أشار إليه بقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ
 رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾" (٦)، وهذا إضراب عن معنى استفهامهم يعني ليس إنكارهم لمجرّد الخلق ثانيًا
 بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة، فليسوا جاحدين لقدرة الله تعالى على الإعادة؛ لأنَّهم يعترفون
 بقدرته، ولكنَّهم اعتقدوا أن لا حساب عليهم وأنَّهم لا يلقون الله تعالى (٧)، فالمعنى: بل هم قد
 أيقنوا بانتفاء البعث فهم متعنِّتون في الكفر مصرُّون عليه لا تنفعهم الآيات والأدلة، فالكفر
 المثبت هنا كفرٌ خاصٌّ وهو غير الكفر الذي دلَّ عليه قولهم: ﴿أَنَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنَا لَفِي

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٣/٢٠).

(٢) - تهذيب اللغة، للأزهري: (٣٢٠/١١).

(٣) - تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: (٣٨١/٣).

(٤) - سورة سبأ.

(٥) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٩/٢١).

(٦) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٤٧/١٥).

(٧) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٠/٤)، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي:

(١٤٣/٢٥)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩٢/١٤).

خَلَقَ جَدِيدًا ﴿١﴾، فَإِنَّهُ كَفَرَ بِلِقَاءِ اللَّهِ لَكِنَّهُمْ أَظْهَرُوهُ فِي صُورَةِ الْإِسْتِبْعَادِ تَشْكِيقًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَرْوِيجًا لِكُفْرِهِمْ، وَتَقْدِيمَ الْمَجْرُورِ عَلَى "كَافِرُونَ" لِلرَّعَايَةِ عَلَى الْفَاعِلَةِ، وَالْإِتْيَانَ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ؛ لِإِفَادَةِ الدَّوَامِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ (١).

"وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٢﴾ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى ضَلَالٍ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا قَدْ فَتَنُوا بِهَا، وَأَذْهَبُوا طَبِيعَتَهُمْ فِيهَا، وَأَطْلَقُوا لَهْوَاهُمْ الْعِنَانَ يَذْهَبُ بِهِمْ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَهَذَا مَا أَوْقَعَ فِي تَفْكِيرِهِمْ أَنَّ لَا حَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَنَّ لَا حِسَابَ وَلَا جِزَاءَ" (٢).

وَمَا ذَكَرَ اسْتِبْعَادَهُمْ لِلْبَعْثِ ذَكَرَ تَوْفِيهِمْ وَأَنَّهُ يَعِيدُهُمْ فَقَالَ: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتُوفَّكُم﴾ "مِنْ تَوْفِيَةِ الْعَدَدِ، تَأْوِيلُهُ أَنَّهُ يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ أَجْمَعِينَ فَلَا يَنْقُصُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ، كَمَا تَقُولُ: قَدْ اسْتَوْفَيْتَ مِنْ فُلَانٍ وَتَوْفَيْتَ مِنْ فُلَانٍ مَا لِي عِنْدَهُ، فَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي عَلَيْهِ شَيْءٌ" (٤)، "وَعَبَّرَ عَنِ الْمَوْتِ بِالتَّوْفِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ الْمَوْتُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْحَيُّ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ مِنْ حَيَاةٍ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ" (٥).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ "أَيُّ قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ يَسْتَوْفِي عِدَدَكُمْ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ" (٦)، وَتَوْفِيُّ مَلَكَ الْمَوْتِ: الدَّعَاءُ وَالْأَمْرُ، يَدْعُو الْأَرْوَاحَ فَتَجِيهِ ثُمَّ يَأْمُرُ أَعْوَانَهُ بِقَبْضِهَا (٧)، وَمَلَكَ الْمَوْتِ هُوَ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَتَصَرَّفَهُ كُلَّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبِخَلْقِهِ

(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١٩/٢١).

(٢) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١٣/١١).

(٣) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩٣/١٤).

(٤) - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (٢٠٥/٤).

(٥) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١٣/١١).

(٦) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٥/٢٠).

(٧) - انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (١٣٧/١).

واختراعه^(١)، وقد ورد ذكره في القرآن مفردًا كما هنا، وورد مجموعًا في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وذلك أن الله جعل ملائكة كثيرين لقبض الأرواح، وجعل مبلغ أمر الله بذلك ملك الموت، فإسناد التوفي إليه كإسناده إلى الله في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾، وجعل الملائكة الموكلين بقبض الأرواح أعوانًا له، وأولئك يسلمون الأرواح إلى ملك الموت فهو يقبضها ويودعها في مقارها التي أعدّها الله لها^(٢).

والظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص مُعَيَّن من الملائكة^(٣)، وقد قيل إن اسمه عزرائيل، ولم ترد تسميته بهذا الاسم في حديث مرفوع^(٤)، وورد عن وهب بن منبه^(٥) أن اسمه "عزرائيل"^(٦)، لكن هذه التسمية مما لا أصل له خلافا لما هو المشهور عند الناس، ولعلّه من الاسرائيليات!^(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَنُوفِّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ إشارة إلى أن الموت الذي

(١) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٤/٣٦٠)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢٠/٢١).

(٢) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢٠/٢١، ٢٢١).

(٣) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦/٣٢٢).

(٤) - انظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي، كتاب الجنائز، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤١٤ هـ: (١١٨/٤)، رقم: (٢٠٨٩).

(٥) - هو التابعي الجليل أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل اليماني، ثقة من الطبقة الثالثة، مات سنة بضع عشرة ومائة، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٥٨٥)، رقم: (٧٤٨٥).

(٦) - انظر: كتاب العظمة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، صفة إسرائيل عليه السلام وما وكل به: (٣/٨٤٧)، والأثر إسناده ضعيف؛ لأن فيه محمد بن إبراهيم بن العلاء وهو منكر الحديث، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (٤٦٦)، رقم: (٥٦٩٨).

(٧) - انظر: أحكام الجنائز، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ، ص: (١٥٦).

يحلُّ بهم ليس أمرًا يقع من تلقاء نفسه اعتبارًا، فإنَّ الموت بيد الله الحكيم العليم الذي جعل لكل نفس أجلًا محدودًا، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، ثم إنَّ الموت يقوم به رسول من رسل الله مهمته هي قبض الأرواح من الأجساد بعد أن تستوفي أجلها، وإذا كان ذلك كذلك فإنَّ الذي إليه الموت له أيضًا الحياة قبل الموت وبعد الموت، فمن أعطى الحياة ثم سلبها لا يعجز أن يعطي ما سلب! (١).

وقد ذكر سبحانه قبض أرواحهم من قبل ملك الموت؛ لتذكيرهم بالموت وهم لا ينكرون ذلك، ولكنَّهم أهتتهم الحياة الدنيا عن النظر في إمكان البعث والاستعداد له فدُكِّروا به وإلا فالمقصود من الجملة هو قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ إذ هو مناط إنكارهم، ثم أدمج فيه ذكر ملك الموت؛ لزيادة التخويف من الموت والتعريض بالوعيد من قوله: ﴿الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ فإنَّه موكَّل بكلِّ ميِّت بما يناسب معاملته عند قبض روحه، وفيه إبطالٌ لجهلهم بأنَّ الموت بيد الله تعالى، وأنَّه كما خلقهم يميتهم وكما يميتهم يحييهم، وأنَّ الإماتة والإحياء بإذنه، وتسخير ملائكته في الحالين، وذلك إبطال لقولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (٢) فأعلمهم الله أنَّهم لا يخرجون عن قبضة تصرفه طرفة عين لا في حال الحياة ولا في حال الممات، وإذا كان موتهم بفعل ملك الموت الموكَّل من الله بقبض أرواحهم ظهر أنَّهم مردودةٌ إليهم أرواحهم متى شاء الله (٣).

"وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه لا يغفل عنكم، وإذا جاء أجلكم لا يؤخركم إذ لا شغل له إلا هذا" (٤).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ "تقدِّم الجار والمجرور؛ للاختصاص، أي إليه لا

(١) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (١١/٦١٣).

(٢) - سورة الجاثية، رقم الآية: (٢٤).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢٢٠).

(٤) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٢٥/١٤٤).

إلى غيره مرجعكم يوم القيامة"^(١)، "وهذا إثبات للبعث مع التهديد والوعيد، وبيان أن القادر على خلق الناس أول مرة قادر على إحيائهم مرة أخرى"^(٢).

ولما ذكر أنهم يرجعون إلى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل الإجمال بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾^(٣)، فأردف ذكر إنكارهم البعث بتصوير حال المنكرين أثر البعث وذلك عند حشرهم إلى الحساب، وتوجيه الخطاب إلى غير معين؛ لإفادة تناهي حالهم في الظهور حتى لا يختص به مخاطب، والمجرمون هم الذين قالوا: ﴿أَءَٰذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فهو إظهار في مقام الإضمار؛ لقصد التسجيل عليهم بأنهم في قولهم ذلك مجرمون، أي آتون بجرم وهو جرم تكذيب الرسول ﷺ وتعطيل الدليل^(٤).

قوله تعالى: ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ "النكس: قلب الشيء على رأسه"^(٥)، يقال: نكس رأسه، إذا طأه^(٦)، فالناكس: الذي يجعل أعلى شيء إلى أسفل، فقوله تعالى: ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أي مطأطو رؤوسهم عند ربهم حياءً منه للذي سلف من معاصيهم في الدنيا، ونكس الرؤوس علامة الذل والندامة، وذلك مما يلاقون من التقريع والإهانة، وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لبيان شدة الخجالة؛ لأنَّ الرب إذا أساء إليه المريب، ثم وقف بين يديه يكون في غاية الخجالة، والعنديَّة عندية السُّلطة، أي وهم في حكم ربهم لا يستطيعون محيداً عنه، فشبه ذلك بالكون في مكانٍ مختص بربهم في أنهم لا يفلتون منه^(٧)، وقد حذف

(١) - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (١٩٦/٢١).

(٢) - المصدر السابق: (١٩٨/٢١).

(٣) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٣/٢٥).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢١/٢١).

(٥) - المفردات في غريب القرآن، للراغب لأصفهاني: ص(٨٢٤).

(٦) - انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٤٤/١٠).

(٧) - انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (١٣٧/١)، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٤/٢٥)،

والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢١/٢١).

جواب "لو"؛ لأنَّ في الكلام دليلاً ومعناه: ولو ترى يا محمد ذلك لرأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار^(١)، "وجيء في تصوير حالهم بطريقة حذف جواب لو حذفاً يرادفه أن تذهب نفس السامع كل مذهبٍ من تصوير فظاعة حالهم وهول موقفهم بين يدي ربه"^(٢).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ "يعني يقولون أو قائلين رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَحُذِفَ يقولون" إشارةً إلى غاية خجالتهم"^(٣)، "وهم يقولون ذلك ندامةً وإقراراً بأنَّ ما توعدهم القرآن به حق، وحُذِفَ مفعول أبصرنا ومفعول سمعنا؛ لدلالة المقام، أي أبصرنا من الدلائل المبصرة ما يُصدِّق ما أخبرنا به - فقد رأوا البعث من القبور ورأوا ما يعامل به المكذبون -، وسمعنا من أقوال الملائكة ما فيه تصديق الوعيد الذي توعدنا به"^(٤)، "وقوله: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ تعليلٌ لتحقيق الوعد بالعمل الصالح بأنَّهم صاروا موقنين بحقيَّة ما يدعوهم الرسول ﷺ إليه"^(٥).

ومعنى الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: ﴿أءَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إذ هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم حياءً من ربهم للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ربنا أبصرنا ما كنَّا نكذبُ به من عقابك أهل معاصيك وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، إنَّا قد أيقنَّا الآن ما كنَّا به في الدنيا جهَّالاً من وحدانيتك، وأنَّه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون ربُّ سواك، وأنَّك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء، وتفعل ما تشاء"^(٦).

(١) - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (٣٠/٣).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢١/٢١).

(٣) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٤/٢٥).

(٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢١/٢١).

(٥) - المصدر السابق: (٢٢٢/٢١).

(٦) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٦/٢٠).

ولمَّا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾

يحتاج إلى جواب أجاب عنه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ وبيانه: أنه تعالى قال: إني لو أرجعتكم إلى الإيمان لهديتكم في الدنيا، ولمَّا لم أهدكم تبين أي ما أردت وما شئت إيمانكم فلا أردُّكم^(١)، ومعنى هُداها: رُشدها وتوفيقها للإيمان بالله، وقوله تعالى:

﴿ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ أي وجب العذاب مِنِّي لهم^(٢)، وعدل عن الإضافة في قوله: ﴿ حَقَّ

الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ فلم يقل: حق قولي؛ لأنَّه أريد الإشارة إلى قولٍ معهود وهو ما في سورة "ص" في

قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) أي حقَّ القول المعهود، واجتُلبت "من" الابتدائية؛ لتعظيم شأن هذا القول بأنَّه من الله، وعدل عن ضمير العظمة إلى ضمير النفس؛ لإفادة الانفراد بالتصرف^(٤)، "والجِنَّةُ: الجنُّ وهم الشَّيَاطِينُ"^(٥)، وسُمُّوا بذلك؛ لاستتارهم عن الأنظار^(٥).

قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ يعني: من أهل المعاصي والكفر

بالله منهم^(٦)، "والمعنى: أنَّ الهدى بيد الله وفي قيد مشيئته وأنَّه سبحانه لو شاء لهدى النَّاس جميعاً، ولكنَّه سبحانه جعل للجنَّة أهلها ولها يعملون، وجعل للنَّار أهلها ولها يعملون، وأنَّ مما قضى الله به في خلقه أن يملأ النَّار ويعمرها بمن جعلهم من أهلها من الجنَّة والناس، وأنَّ هؤلاء المجرمين الذين رأوا مشاهد القيامة وعانوا أهوالها وتمنَّوا العودة إلى الدنيا، ليستقيموا على طريق الحق والهدى - هؤلاء المجرمون - لو رُدُّوا إلى الدنيا لعادوا لِمَا نَحُوا عَنْهُ، ولركبوا نفس الطريق الذي كانوا عليه من قبل ولماتوا على الكفر والضلال وكانوا في أصحاب

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٤/٢٥).

(٢) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٦/٢٠).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢٤/٢١).

(٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢٤/٢١).

(٥) - انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي: (١٤٩/١١).

(٦) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٦/٢٠).

النَّارَ؛ وذلك لأنَّ قضاء الله فيهم قد سبق، وأنَّهم لن يخرجوا عمَّا قضى الله فيهم" (١).
ولمَّا بيَّن الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا ﴾ أَنَّهُمْ لَا رَجُوعَ لَهُمْ قَالَ لَهُمْ إِذَا
عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا رَجُوعَ لَكُمْ ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا
نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢)، وقد عبَّرَ بالذوق عمَّا
يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعومًا؛ لإحساسها به كإحساسها بذوق الطعام (٣)،
والتعبير به هنا عن ذوق العذاب من باب التهكم بهم، وكرَّر - سبحانه - لفظ ذوقوا على
سبيل التأكيد وزيادة التقرُّيع والتأنيب (٤)، فيقال لأهل النَّار على سبيل التقرُّيع والتوبيخ:
ذوقوا هذا العذاب بسبب ترككم الإيمان بقاء هذا اليوم وتكذيبكم به واستبعادكم وقوعه
وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناسٍ له، ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ يعني:
تركتناكم في العذاب، وسنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنَّه تعالى لا ينسى شيئًا ولا يضل عنه
شيءٌ بل من باب المقابلة كما قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا ﴾ (٥).

وقد عبَّرَ عن كفرهم بيوم القيامة بالنسيان؛ ليكشف عن مدى استخفافهم به وإخلاء
أنفسهم من كل شعور يصل بينهم وبينه، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ هو على
سبيل المجازة، وأنَّهم كما استخفوا بهذا اليوم فقد استخف الله بهم، ولم ينظر إليهم بعين
الرحمة، فهم باقون في هذه النَّار لا يخرجون منها حتى لكأنَّهم قد نُسُوا فيها كما يقول الله

(١) - التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١٦/١١).

(٢) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٤/٢٥).

(٣) - انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣٦٠/٤).

(٤) - انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي، (١٥٠/١١).

(٥) - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (٣٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٢٣/٦).

سبحانه - في سورة طه - : ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِيْتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ (١٦٦) (١)،

"فالنسيان الأول في قوله: ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ الإهمال والإضاعة، والباء للسببية، أي:

بسبب إهمالكم الاستعداد لهذا اليوم، والنسيان في قوله ﴿نَسِينَاكُمْ﴾ مستعمل في الحرمان من الكرامة مع المشاكلة، وإضافة يوم إلى ضمير المخاطبين تهكم بهم؛ لأنهم كانوا ينكرونه، فلمّا تحققوه جعل كأنه أشد اختصاصاً بهم على طريقة الاستعارة التهكمية،

والإشارة بهذا إلى اليوم تهويلاً له، وجملة ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛

لأنّ المجرمين إذا سمعوا ما علموا منه أنهم ملاقو العذاب من قوله ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ

لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ تطلّعو إلى معرفة مدى هذا العذاب المذوق، وهل لهم منه مخلص؟

وهل يجابون إلى ما سألو من الرجعة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من التصديق؟ فأعلموا

بأنّ الله مهمل شأنهم، أي لا يستجيب لهم وهو كناية عن تركهم فيما أذيقوه، وإخراج

الكلام في صيغة الماضي على خلاف مقتضى الظاهر من زمن الحال؛ لإفادة تحقق الفعل

حتى كأنه مضى ووقع، فالجملة الأولى تضمّنت أنّ من سبب استحقاقهم تلك الإذاعة؛

إهمالهم التدبر في حلول هذا اليوم، والجملة الثانية تضمّنت أنّ ذلك العذاب مستمر، وأنّ

سبب استمرار العذاب وعدم تخفيفه؛ أعمالهم الخاطئة وهي أعم من نسيانهم لقاء يومهم

ذلك" (٢).

"وفي استئناف قوله ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وبناء الفعل على إنّ واسمها تشديداً في

الانتقام منهم" (٣)، ومعنى الآية: "يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا

عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، إنّنا تركناكم اليوم في النار، ويقال لهم

(١) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦١٨/١١).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢٥/٢١، ٢٢٦).

(٣) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١١/٣).

أيضاً: ذوقوا عذاباً تخلدون فيه إلى غير نهاية بما كنتم في الدنيا تعملون من معاصي الله" (١).

فقد أثبتت الآيات السابقة عقيدة البعث والجزاء بالرد على شبهة المشركين في قولهم: ﴿أَعْدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وذلك بتخويفهم من الموت عند قبض أرواحهم من قبل ملك الموت، وبذكر سوء حالهم يوم القيامة عند الوقوف أمام ربهم وقد طوّطت رؤوسهم ذلاً وصغاراً، وتذكيرهم كذلك بشدة العذاب الذي يلاقونه جزاء تكذيبهم بيوم البعث والجزاء، فإثبات عقيدة البعث والجزاء هو الإيمان الجازم بوقوع البعث ومجيء يوم القيامة وحصول الجزاء، وعلى هذا فلا بد من رسوخ هذه العقيدة في قلب المؤمن وعدم الشك فيها؛ لأنّ في إثباتها والإيمان بها وعدم الشك فيها تحفيز لأداء الأعمال الصالحة وتنفير من المعاصي والمحرمات، فالعبد المؤمن يرجو ثواب الله ويخاف عقابه، والثواب والعقاب وقوعه يوم القيامة يوم البعث والنشور؛ لذا فالواجب على العباد إثبات عقيدة البعث والجزاء، وأن لا يطرأ في قلوبهم أي شك أو ريب تجاهها؛ لأنّ في التصديق بيوم البعث والجزاء خضوع وإذعان واستسلام لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمّا ذكر تعالى الكافرين بآياته وما أعدّ لهم من العذاب ذكر المؤمنين بما وصفاتهم وما أعدّ لهم من الثواب فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢)، والمعنى: "ما يصدّق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذُكِّروا بها ووعظوا خَرُّوا لله سجداً لوجوههم تذلاً له واستكانة لعظمته وإقراراً له بالعبودية، وسَبَّحُوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد، يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة" (٣).

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٧/٢٠).

(٢) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: ص (٦٥٥).

(٣) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٧٧/٢٠).

ومعنى قوله: ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ أي: "سقطوا على وجوههم ساجدين" (١)، وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن (٢)، لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "عزائم السجود في القرآن أربع: ألم تنزيل، وحم تنزيل، والنجم، وقرأ باسم ربك الذي خلق" (٣)، فذكر من عزائم السجود الآية التي في سورة السجدة، والمعنى أن آية السجدة من سورة السجدة من المواضع التي يتأكد السجود- الذي هو علامة على التذلل والخضوع بين يدي الجبار سبحانه وتعالى- عند قراءتها؛ لما اشتملت عليه آية السجدة في هذه السورة من صفات أهل الإيمان الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم خرُّوا سجَّدًا وسَبَّحُوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: "ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه، وأثنوا عليه حامدين له" (٤)، "والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرهم؛ للإشعار بعلّة التسبيح والتحميد بأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم" (٥).

ومعنى قوله تعالى: ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي "قالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده، أو سبحان ربي الأعلى وبحمده حال كونهم خاضعين لله متذللين له" (٦).

ولمّا تضمن ما سبق من الآية تواضعهم صرّح به في قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي لا يجدّدون طلب الكبر عن شيء مما دعاهم إليه الهادي، ولا يوجدونه خلُقاً لهم راسخاً في ضمائرهم (٧)، وقد جاءت هذه الآية تسليّة للنبي صلى الله عليه وآله، ومتصلة بما سبقها من الآيات،

(١) - معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: (٥٩٦/٣).

(٢) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦١/٤).

(٣) - سبق تخريجه ص (٤٨).

(٤) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١١/٣).

(٥) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٢٨/١١).

(٦) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٢/٤).

(٧) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٥٤/١٥).

والمعنى: أَنَّهُمْ لِإِلْفِهِمُ الْكُفْرَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ، إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِكَ وَبِالْقُرْآنِ الْمَتَدَبِّرُونَ لَهُ وَالْمَتَعَطِّونَ بِهِ، هُمُ الَّذِينَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ خَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِمْ تَعْظِيمًا لِآيَاتِهِ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ وَعَذَابِهِ^(١)، وَهَذِهِ الْآيَةُ مَشْهَدٌ لَهُ عَطَّرَ تَسْتَرُوحَ لَهُ الْأَرْوَاحَ وَتَخَفَّقَ لَهُ الْقُلُوبَ إِنَّهُ مَشْهَدٌ الْمُؤْمِنِينَ، مَشْهَدُهُمْ خَاشِعِينَ مَخْبِتِينَ عَابِدِينَ دَاعِينَ إِلَى رَبِّهِمْ وَقُلُوبُهُمْ رَاجِفَةٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ طَامِعَةٌ رَاجِيَةٌ فِي فَضْلِ اللَّهِ، وَقَدْ ذُكِرَ لَهُمْ مِنْ الْجِزَاءِ مَا لَا يَبْلُغُ إِلَى تَصَوُّرِهِ خَيَالًا، وَهِيَ صُورَةٌ وَضِئَةٌ لِلْأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنَةِ اللَّطِيفَةِ الشَّافِيَةِ الْحَسَّاسَةِ الْمُرْتَجِفَةِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهِ الْمَتَّجِهَةِ إِلَى رَبِّهَا بِالطَّاعَةِ الْمَتَّطَلِّعَةِ إِلَيْهِ بِالرَّجَاءِ فِي غَيْرِ مَا اسْتِعْلَاءٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ، هُوَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ خَرُّوا سُجَّدًا تَأْتِرًا بِمَا ذُكِّرُوا بِهِ وَتَعْظِيمًا لِلَّهِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِآيَاتِهِ وَشَعُورًا بِجَلَالِهِ الَّذِي يَقَابِلُ بِالسُّجُودِ أَوْلَ مَا يَقَابِلُ تَعْبِيرًا عَنِ الْإِحْسَاسِ الَّذِي لَا يَعْبرُ عَنْهُ إِلَّا تَمْرِيقُ الْجِبَاهِ بِالتَّرَابِ، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ مَعَ حَرَكَةِ الْجَسَدِ بِالسُّجُودِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، فَهِيَ اسْتِجَابَةُ الطَّائِعِ الْخَاشِعِ الْمُنِيبِ الشَّاعِرِ بِجَلَالِ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ^(٢).

قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ "هذه الجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم"^(٣)، و﴿ نَتَجَافَى ﴾ من جفا الشيء جفَاءً، وتجافى: لم يلزم مكانه، وجفا جنبه عن الفراش وتجافى: نبا عنه ولم يطمئن عليه^(٤).

قوله تعالى: ﴿ جُنُوبَهُمْ ﴾ الجنوب: واحدها جنب، وهو شقُّ الإنسان^(٥)، والمضجع بفتح الميم والجيم موضع الضجوع^(٦)، وهي أماكن الاتكاء للنوم^(٧)، والمعنى أنَّ جنوبهم ترتفع وتنحى

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩٩/١٤).

(٢) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٢/٥).

(٣) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٢٨/١١).

(٤) - انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (٥٦١/٧).

(٥) - المصدر السابق: (٤٦٠/٧).

(٦) - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المكتبة العلمية - بيروت، بدون تاريخ: (٣٥٨/٢).

(٧) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٢٨/١١).

عن مواضع النوم وهذا كناية عن تركهم النوم؛ لأنهم يصلون بالليل، فالمشهور أن المراد بذلك التحافي القيام لصلاة النوافل بالليل^(١)، قال ابن جرير الطبري: "إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وذلك نبؤ جنوبهم عن المضاجع ليلاً؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ"^(٢)، إشارة منه إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: "ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾"^(٣)، والغرض أن نومهم بالليل قليل لانقطاعهم للعبادة"^(٤).

"ولما كان هجران المضجع قد يكون لغير العبادة بيّن أنه لها فقال مبيناً لحالمهم: ﴿ يَدْعُونَ ﴾ أي على سبيل الاستمرار، وأظهر الوصف الذي جرّاهم على السؤال فقال: ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ أي الذي عودهم بإحسانه، ثم علل دعاءهم بقوله: ﴿ خَوْفاً ﴾ أي من سخطه وعقابه ﴿ وَطَمَعاً ﴾ في رضاه الموجب لثوابه، وعبر به دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون أعمالهم شيئاً بل يطلبون فضله بغير سبب"^(٥).

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ من الرزق قليلاً كان أو كثيراً، قوله تعالى: ﴿ يَنْفِقُونَ ﴾ ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه؛ ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه النفقة الواجبة كالزكوات والكفارات ونفقة الزوجات والأقارب والنفقة المستحبة في وجوه الخير والنفقة

(١) - انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة: (١٣٢/٢)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٢٨/١١، ١٢٩).

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٠/٢٠، ١٨١).

(٣) - سبق تحريجه ص (٧١).

(٤) - صفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٣/٢).

(٥) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٥٥/١٥، ٢٥٦).

والإحسان المالي خير مطلقاً سواء وافق غنياً أو فقيراً قريباً أو بعيداً، ولكنَّ الأجر يتفاوت بتفاوت النفع فهذا عملهم" (١)، ولَقَّتْ إلى مَظْهَرِ العِظْمَةِ في قولهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ تنبيهاً على أَنَّ الرِزْقَ مِنْهُ وَحْدَهُ (٢)، وقد ذَكَرَ سَبْحَانَهُ في هَذِهِ الآيَةِ مَشْهَدَهُمُ المَصَوِّرَ لِهَيْئَتِهِمُ الجَسَدِيَّةِ وَمَشَاعِرَهُمُ القَلْبِيَّةِ في لِحَّةٍ وَاحِدَةٍ في التَّعْبِيرِ العَجِيبِ الَّذِي يَكَادُ يَجَسِّمُ حَرَكَةَ الأَجْسَامِ وَالقُلُوبِ كَمَا في قولهِ تَعَالَى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ المَضَاجِيعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَهُمْ إِلَى جَانِبِ هَذِهِ الحَسَاسِيَّةِ المَرْهَفَةِ وَالصَّلَاةِ الخَاشِعَةِ وَالدَّعَاءِ الحَارِّ يُؤَدُّونَ وَاجِبَهُمُ لِلجَمَاعَةِ المَسْلُمةِ طَاعَةَ اللَّهِ وَزَكَاةً (٣).

ولمَّا ذَكَرَ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ نَاسِبًا أَن يذَكَرَ عَظِيمَ نَعِيمِهِمُ وَثَوَابِهِمُ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وَالمَعْنَى: "لَا تَعْلَمُ النَفُوسُ - كَلُّهِنَّ وَلَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَا مَلِكٌ مَّقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - أَي نَوْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي أَدَّخَرَ اللَّهُ لِأَوْلَئِكَ وَأَخْفَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عِيُونُهُمْ" (٤)، "يَعْنِي مِمَّا تَقَرُّ العَيْنُ عِنْدَهُ وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ" (٥)، وَالنَّكْرَةُ في قولِهِ: ﴿نَفْسٌ﴾ في سِيَاقِ النِّفْيِ فَتَفِيدُ العَمُومَ، أَي: لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِنَ النَفُوسِ - أَي نَفْسٍ كَانَتْ - مَا أَخْفَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَقْدُمُ ذِكْرَهُمْ بِمَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ (٦)، وَمَعْنَى أُخْفِيَ لَهُمْ: أَي خُجِّئَ لَهُمْ (٧).

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٥).

(٢) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٥٦/١٥).

(٣) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٢/٥).

(٤) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٢/٣).

(٥) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٦/٢٥).

(٦) - انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٣/٤).

(٧) - انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (١١٠/٢١).

قوله تعالى: ﴿مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾ قرأ حمزة^(١) وحده "أخفي" ساكنة الياء وجعله فعلاً مستقبلاً، بمعنى أن الله جل وعز يخبر عن نفسه، كأنه قال: لا تعلم نفس الجزاء الذي أخفي لهم أنا، وقرأ الباقون "أخفي" بفتح الياء جعلوه فعلاً ماضياً على ما لم يسم فاعله^(٢)، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، متقاربتا المعنى؛ لأن الله إذا أخفاه فهو مخفي، وإذا أخفي فليس له مخفٍ غيره^(٣).

"وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾ إشارة إلى أن هذا النعيم لا يخطر على بالهم ولا يقع في تصورهم؛ لأنه مما لا شبيه له فيما يعرف الناس من نعيم الدنيا، فهو - والحال كذلك - أشبه بالشيء الخفي الذي لا تُعلم حقيقته"^(٤)، وهذا دليل على أنها الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستسر الإنسان به^(٥).

"ولما كانت العين لا تقر فتجعج إلا عند الأمن والسرور قال: ﴿مَنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي من شيء نفيس سارّ تقرُّ به أعينهم لأجل ما أقلعوها عن قرارها بالنوم"^(٦)، "وفي إضافة القرّة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى أعينهم تنبيهٌ على أن ما أخفي لهم في غاية الحُسن والكمال"^(٧)، "وخصّت العيون بهذا؛ لأنها هي المرآة التي تتجلى على صفحاتها مشاعر الإنسان، وترتسم على نظرتها خلجاته وخطراته من فرح أو حزن، ومن حب أو بغض، ومن رضا أو سخط"^(٨)، "ثم

(١) - هو الإمام القارئ أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي، أحد القراء السبعة، كان إماماً حجةً قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، تخين الورع عديم النظر، توفي سنة ١٥٦هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (٦٦)، الطبقة الرابعة، رقم: (٥).

(٢) - انظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: ص: (٥١٦)، ومعاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: (٢/٢٧٤)، وحجة القراءات، لابن زنجلة: ص: (٥٦٩).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٧/٢٠).

(٤) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٠/١١).

(٥) - انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (٢٠٧/٤).

(٦) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٥٧/١٥).

(٧) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٣٠/١١).

(٨) - التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٠/١١).

بَيَّن سبحانه أَنَّ ذلك بسبب أعمالهم الصالحة فقال: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١)، " هذه الصورة المشرفة الوضيئة الحساسة الشفيقة ترافقها صورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد، الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة والإعزاز الذاتي والإكرام الإلهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تعبير عجيب يشي بحفاوة الله - سبحانه - بالقوم وتولييه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به العيون، هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظل عنده خاصة مستورًا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عند لقياه، وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله^(٢).

وفي إيمان المؤمنين بآيات القرآن الكريم واتعاضهم بهذه الآيات البينات وسقوطهم لله سُجَّدًا بكل تذلل وخضوع، وتنزيههم رهم عن الوصف الذي لا يليق به، وفي تنحيهم عن مضاجعهم ووقوفهم بين يدي رهم يدعونه رغبةً في ثوابه ورهبةً من عقابه، ومن المال الذي منَّ عليهم رهم ينفقون في الواجبات والمستحبات، وفي ذكر نعيم أهل الإيمان في الجنان ممَّا لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر، في كل ذلك كلَّه ذكر لصفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وحسن جزائهم، وأهم ما في القرآن الحكيم الإيمان بأصول الدين الرسالة والتوحيد والبعث، لذا يجب على العباد الإيمان بآيات القرآن الكريم كلَّها، وأن لا يطرأ في قلوبهم أي شك أو ريب في هذا الكتاب العزيز وفي آياته التي اشتمل عليها؛ لأنَّ هذا الكتاب تنزيل من رب العالمين، فمن آمن بهذا الكتاب العزيز وآياته التي اشتمل عليها والتي أهمها أصول الدين فقد خضع واستجاب لأمر الله، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا ذكر تعالى حال المجرمين في الآخرة وحال المؤمنين المتقين وما أعد لهم من الكرامة في دار النعيم ذكر هنا أنَّه لا يتساوى الفريقان: فريق الأبرار وفريق الفجار؛ لأنَّ عدالة الله تقتضي التمييز بين المؤمن الصالح والفاسق الفاجر فقال: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا

(١) - فتح القدير، للشوكاني: (٤/٢٩٢-٢٩٤).

(٢) - في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٥/٢٨١٣).

لَا يَسْتَوُونَ ﴿١﴾، والمعنى: أنه تعالى يخبر عن عدله أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله بمن كان فاسقاً خارجاً عن طاعة ربه مكذباً لرسله (٢).

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ للإنكار، أي: ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت، ولهذا قال: لا يستوون ففيه زيادة تصريح لما أفاده الإنكار الذي أفاده الاستفهام (٣)، وهو إنكارٌ بتنزيل السامع منزلة المتعجب من البون بين جزاء الفريقين في ذلك اليوم، وقد فُرع بالفاء على ما تقدم من الآيات من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين (٤).

قوله تعالى: ﴿فَاسِقًا﴾ من فَسَقَ يقال: فَسَقَتِ الرُّبْطَةُ، إذا خرجت عن قشرها، والْفِسْقُ: الترك لأمر الله، وكذلك الميل إلى المعصية (٥)، "والفاسق هنا هو: من ليس بمؤمنٍ بقرينة قوله بعده ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾، فالمراد: الفسق عن الإيمان الذي هو الشرك وهو إطلاقٌ كثيرٌ في القرآن" (٦).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ التصريح به مع إفادة الإنكار لنفي المشابهة بالمرّة على أبلغ وجه وأكده لزيادة التأكيد (٧)، وقد قيل إنّ سبب نزول هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط - رضي الله عنه - لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزل:

(١) - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٣/٢).

(٢) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٢٩/٦).

(٣) - انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٣/٤).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣١/٢١).

(٥) - انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٣١٥/٨)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٥٤٣/٤).

(٦) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣١/٢١).

(٧) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٣٠/١١).

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(١)، لكن ما يفهم من الآية يُرَدُّ هذه الرواية فَمَنْ الموصولة في الموضوعين عامةً بقرينة التفصيل بالجمع في قوله: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ إلخ، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ فليست الآية نازلةً في معيّن كما قيل^(٢)؛ ولذلك قال في ختم الآية: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ﴾، ولم يقل لا يستويان؛ لأنّه لم يرد مؤمنًا واحدًا وفاسقًا واحدًا، وهذه الروايات لم ترد في كتب الأحاديث الصحيحة، والمفروض أنّ الوليد كان مسلمًا، والآية تقرر مأوى الفاسقين في النار خالدين فيها، وتنزّه عليًا عن القذف بمسلم بصفة الفاسق الكافر، والإمعان في السياق يسوّغ القول إنّ الآيات منسجمة مع الآيات السابقة، بل والآيتين اللاحقتين سبكًا وموضوعًا كل الانسجام، وهذا ما يجعلنا نشك في الروايات^(٣)، هذا فضلًا عن أنّ الرواية ضعيفة؛ لأنّ مدار الرواية على الكلبي وابن أبي ليلى، وكلاهما ضعيفان.

ولمّا بيّن في الآية السابقة أنّ المؤمنين والكافرين لا يستوون ناسب أن يبيّن عدم الاستواء بينهما على سبيل التفصيل فقال: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤)، قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ فيه إشارة إلى أنّ الله أحسن ابتداءً لا لعوضٍ، فلمّا آمن العبد وعمل صالحًا قبله منه كأنّه ابتداءً فجازاه بأن أعطاه الجنة^(٥)، "وقوله في حق المؤمنين ﴿ فَلَهُمْ ﴾ بلام التمليك زيادة إكرام"^(٦)، "والمأوى هو الذي يأوون إليه، وأضاف الجنات إليه؛ لكونه المأوى

(١) - سبق تخريجه ص(٦٦).

(٢) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣١/٢١).

(٣) - انظر: التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٥٢/٥).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٧/٢٥).

(٥) - المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٨/٢٥).

الحقيقي" (١).

قوله تعالى: ﴿ نَزَّلًا ﴾ النُّزْلُ في اللغة: الضِّيَافَةُ (٢)، "ومعنى نزلاً: أُنْهَى مَعْدَّةً لَهُمْ عِنْدَ نَزْوِهِمْ" (٣)، "والمراد به هنا الثواب والجزاء" (٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ نَزَّلًا ﴾ إشارة إلى أَنَّ بعدها أشياء؛ لأنَّ النُّزْلَ ما يعطي المَلِكُ النازل وقت نزوله (٥)، وفي الآية دليل على أَنَّ العمل الصالح له مع الإيمان أثر (٦)، ومعنى الآية: أمَّا الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله فلهم مساكن فيها البساتين والدور والغرف العالية يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها جزاء لهم على جليل أعمالهم وطيب أفعالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا بطاعته (٧).

ولمَّا ذَكَرَ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ نَاسَبَ أَنْ يَذَكَرَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ فَقَالَ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾، والمعنى: "وأما الذين كفروا بالله وفارقوا طاعته فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ" (٨)، وفي الآية إشارة إلى حال الكافر، وفيه أَنَّ الكفر إذا دُكِرَ فلا التفات إلى الأعمال؛ ولذا لم

(١) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٣/٤).

(٢) - انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١٤٤/١٣).

(٣) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٣/٤).

(٤) - تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، (١١٤/٢١).

(٥) - المصدر السابق: (١٤٧/٢٥).

(٦) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٧/٢٥).

(٧) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٨/٢٠)، وتفسير المراغي، لأحمد مصطفى

المراغي: (١١٥/٢١).

(٨) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٨٨/٢٠).

يقول وأما الذين فسقوا وعملوا السيئات؛ لأنَّ المراد من فسقوا كفروا^(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهُمْ نَارٌ﴾ "أي فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة ويستريحون فيها هي النَّار، وبئس القرار، وفي هذا ضرب من التهكم بهم؛ إذ جعلت النَّار ملجأً ومستراحاً لهم يستريحون إليها، فهو كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾"^(٢).

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ "أي إذا دفعهم لهب النَّار إلى أعلاها رُدُّوا إلى موضعهم فيها؛ لأنَّهم يطمعون في الخروج منها"^(٣)، "وهذا كناية عن دوام عذابهم واستمراره"^(٤)، وفيه إشارة إلى أنَّ الإله لا يسكن عنهم بل يَرُدُّ عليهم في كل حال بأمرٍ مؤلمٍ يجددُ عليهم"^(٥)، ثم يقال لهم تقريحا وتوبيخا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾"^(٦)، "والقائل لهم هذه المقالة: هم خزنة جهنم من الملائكة، أو القائل لهم: هو الله عز وجل، وفي هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا في النَّار من الإغظة لهم ما لا يخفى"^(٧)، "وأظهرت النَّار مع تقدُّمها قبل؛ لزيادة التهديد والتخويف وتعظيم الأمر"^(٨)، ومعنى هذه الجملة: أنَّ الكفار في الدنيا كانوا يكذبون بعذاب النَّار، فلمَّا ذاقوه كان أشدَّ إيلاما؛ لأنَّ من لا يتوقع شيئا فيصيبه يكون أشدَّ تأثيرا، ثم إنَّهم في الآخرة كما في الدنيا يجزمون أن لا عذاب إلا وقد وصل إليهم، ولا يتوقعون شيئا آخر من

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٧/٢٥، ١٤٨).

(٢) - تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (١١٥/٢١).

(٣) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٠٧/١٤).

(٤) - محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد لقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ: (٤٢/٨).

(٥) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٧/٢٥، ١٤٨).

(٦) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٣٠/٦).

(٧) - فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٣/٤).

(٨) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٣١/١١).

العذاب فيرُدُّ عليهم بعذاب أشد من الأول، وكانوا يكذبون به بقولهم لا عذاب فوق ما نحن فيه، فإنَّ معنى قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ليس مقتصرًا على تكذيبهم الذي كان في الدنيا، بل كلَّمَا أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذابًا كذبتُم به من قبل، أمَّا في الدنيا بقولكم لا عذاب في الآخرة، وأمَّا في الآخرة فبقولكم لا عذاب فوق ما نحن فيه^(١).

وأمام مشهد المجرمين البائس الدليل ومشهد المؤمنين الناعم الكريم يعقَّب بتلخيص مبدأ الجزاء العادل الذي يفرق بين المسيئين والمحسنين في الدنيا أو الآخرة، والذي يعلِّقُ الجزاء بالعمل على أساس العدل الدقيق: وما يستوي المؤمنون والفاسقون في طبيعة ولا شعور ولا سلوك حتى يستووا في الجزاء في الدنيا وفي الآخرة سواء، والمؤمنون مستقيموا الفطرة متجهون إلى الله عاملون على منهاجه القويم، والفاسقون منحرفون شاردون مفسدون في الأرض لا يستقيمون على الطريق الواصل المتفق مع نهج الله للحياة وقانونه الأصيل، فلا عجب إذن أن يختلف طريق المؤمنين والفاسقين في الآخرة، وأن يلقى كل منهما الجزاء الذي يناسب رصيده وما قدمت يداه^(٢).

"ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ لَهُ مَقَدِمَاتٌ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الذَّنْبَ مُسْتَوْجِبٌ لِنَتَائِجِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا فَقَالَ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾"^(٣)، ومعنى الآية: إنَّ الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا أن يذيقهموه من بلاء أصابهم إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها لعلهم يُقلعون عن ذنوبهم قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب يوم القيامة^(٤)، ولم يخصَّص الله تعالى نوع هذا

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٧/٢٥، ١٤٨).

(٢) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٣/٥).

(٣) - تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (١١٥/٢١).

(٤) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩١/٢٠)، وتفسير المراغي، لأحمد مصطفى

المراغي: (١١٦/٢١).

العذاب الأدنى إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عدَّهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم^(١)، والمقصود من هذا: التعريض بتهديدهم؛ لأنَّهم يسمعون هذا الكلام أو يبلغ إليهم^(٢).

أمَّا الحكمة في مقابلة الأدنى بالأكبر فنقول حصل في عذاب الدنيا أمران: أحدهما قريبٌ، والآخر أنَّه قليلٌ صغير، وحصل في عذاب الآخرة أيضًا أمران أحدهما: أنَّه بعيدٌ والآخر أنَّه عظيمٌ كثير، لكنَّ القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به، فإنَّ العذاب العاجل وإن كان قليلًا قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلًا، وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل، وأمَّا في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بيننا فقال في عذاب الدنيا العذاب الأدنى ليحترز العاقل عنه ولو قال: لنذيقنهم من العذاب الأصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلاً، وقال في عذاب الآخرة الأكبر لذلك المعنى، ولو قال دون العذاب الأبعد الأقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر، وبالجملة فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو أصلح للتخويف من الوصفين الآخرين فيهما لحكمة بالغة^(٣).

ولمَّا كانت الإذاعة من العذاب الأدنى في الدنيا قد لا يتصل بها الموت أخبر تعالى أنَّه يذيقهم ذلك لعلمهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤)، وهذه الجملة استئنافٌ بياني لحكمة إذاعتهم العذاب الأدنى في الدنيا بأنَّه لرجاء رجوعهم، أي رجوعهم عن الكفر بالإيمان، والمراد: رجوع من يمكن رجوعه وهم الأحياء منهم، وإسناد الرجوع إلى ضمير جميعهم باعتبار القبيلة والجماعة، أي لعل جماعتهم ترجع، وكذلك كان فقد آمن كثيرٌ من

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩١/٢٠).

(٢) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٣/٢١).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٤٨/٢٥، ١٤٩).

(٤) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: ص(٦٥٦).

الناس بعد يوم بدرٍ وبخاصةٍ بعد فتح مكة^(١)، وفي هذه الحملة أيضًا إشارةٌ إلى أنّ هذا العذاب الذي يقع للمشركين الفاسقين في هذه الدنيا قد يكون لبعضهم فيه عبرة وموعظة فيرجع عن غيِّه وضلاله، وهذا هو بعض السر في تصدير هذا الحكم بحرف الرجاء "لعل"^(٢).

ولمَّا توعَّدْهم وهَدَّدْهم بالإذاعة من العذاب الأدنى في هذه الحياة الدنيا بيَّن سبب استحقاقهم للعذاب فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾^(٣)، والمعنى: وأيُّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه وآي كتابه ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله فلم يتعظ بمواعظه، ولكنَّه استكبر عنها، إنَّنا من الذين اكتسبوا الآثام واجترحوا السيئات منتقمون^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ على جهة التعجب^(٥)، والمراد بالاستفهام هنا النفي أي أنّه لا أحد أكثر ظلماً من ذلك الذي تُعرض عليه آيات الله ليهتدي بها ثم يعرض عنها، وفي قوله تعالى: ﴿ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ إشارةٌ إلى أنّ آيات الله التي يتلوها الرسول ﷺ على الناس إنّما هي لتذكّرهم بما نسوه من الإيمان الذي كان في فطرتهم، فلمَّا أهملوا فطرتهم وأفسدوها بما ساقوا إليها من آفات الهوى والضلال لم يعودوا يذكرون شيئاً من هذا الإيمان فكانت بعثة الرسول ﷺ بآيات الله يتلوها عليهم تذكيراً لهم بأصل فطرتهم وإيقاظاً لهم من غفلتهم، ومن أجل هذا فقد كانوا أظلم الظالمين؛ لأنَّهم ظلموا أنفسهم مرتين: ظلموها أولاً بإطفاء جذوة الإيمان التي أودعها الله فطرتهم، وظلموا أنفسهم ثانياً إذ أبوا أن يستجيبوا لمن يدعوهم إلى تعاطي الدواء الذي يشفي هذا الداء الذي مكَّنه منهم فأفسد فطرتهم^(٦).

ولمَّا بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات فكان الإعراض عنها مستبعداً بعده عبّر

(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٣/٢١).

(٢) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٤/١١).

(٣) - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٤/٢).

(٤) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٣/٢٠).

(٥) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٤/٤).

(٦) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٥/١١).

عنه بأداة البعد لذلك فقال: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١)، وعلى هذا فـ"ثم" في قوله ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ للاستبعاد، والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله - في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى - بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعادة^(٢).
ولمَّا لم ينفذ المجرمين الإذابة من العذاب الأدنى بيّن أنه منتقم منهم بالعذاب الأكبر وهو يوم القيامة فقال: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾^(٣)، وهذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئة عن تفضيع ظلم الذي ذُكر بآيات ربه فأعرض عنها؛ لأن السامع يتوقّب جزاء ذلك الظالم، والمراد بالمجرمين هؤلاء الظالمون، وعدّل عن ذكر ضميرهم؛ لزيادة تسجيل فظاعة حالهم بأنهم مجرمون مع أنهم ظالمون^(٤)، وعبر بصيغة العظمة؛ تبييناً على أن الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف، فكيف وقد كانوا أظلم الظالمين، والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم في الدنيا إمّا باطنًا بالاستدراج بالنعم، وإمّا ظاهرًا بإحلال النقم، وفي الآخرة بدوام العذاب على مرّ الآباد^(٥)، قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ "عام في كل من أجرم، فيندرج فيه بجهة الأولوية من كان أظلم ظالمًا، والإجرام هنا هو: الكفر"^(٦).

وفي التمييز بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم وذكر صفة أهل الإيمان - وهي الإيمان بآيات القرآن الكريم والعمل بهذه الآيات والتي أهمها أصول الدين - وذكر حسن ثوابهم، وفي ذكر صفات الكافرين - وهي الكفر بهذا الكتاب العزيز والإعراض عنه وبالتالي عدم العمل بما فيه من آيات والتي أهمها أصول الدين - وذكر سوء جزائهم في الدنيا بالمصائب والفقر والجوع والنكبات وسوء عقابهم في الآخرة بالنار وبئس القرار، في كل هذا عقد مقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن وفي ذكر جزاء الفريقين، ونأخذ من هذا أنه

(١) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٦٢/١٥).

(٢) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٥/٣).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٤/٢١).

(٥) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٦٢/١٥).

(٦) - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٤٠/٨).

يجب على العباد الإيمان بآيات القرآن الكريم والتي أهمها أصول الدين حتى ينالوا السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة، وأن لا يطرأ في قلوبهم أي شك أو ريب تجاه القرآن الكريم وآياته التي اشتمل عليها والتي أهمها أصول الدين كالرسالة والتوحيد والبعث، فمن حقق الإيمان بآيات القرآن الكريم فقد أذعن وخضع لأمر خالقه، وهذا متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا ذكر تعالى في الآية السابقة آياته التي ذكَّرَ بها عباده وهو القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ ذكَّرَ أَنَّهُ ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به بغريب من الرسل، فقد أتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدَّقة للقرآن فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^(١)، أي التوراة، وعبرَ عنها باسم الجنس؛ لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان، وللتنبية بأنَّ إيتاءه لرسول الله ﷺ كإيتائها لموسى ﷺ^(٢).

واختار من بين الأنبياء موسى ﷺ لقربه من النبي ﷺ ووجود من كان على دينه إلزامًا لهم، وإنَّما لم يختَر عيسى ﷺ للذكر والاستدلال؛ لأنَّ اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته، وأمَّا النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى ﷺ فتمسك بالجمع عليه^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ "المريّة: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك"^(٤).

قوله تعالى: ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾ الضمير يعود على الكتاب على تقدير مضمّر، أي من لقاء مثله أي من لقاء مثل الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ وهو الفرقان^(٥)، وهذا التأويل هو الأكثر وجاهة والأكثر انسجامًا مع روح الآيتين^(٦).

(١) - انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٦).

(٢) - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي، - بيروت، بدون تاريخ: (٨٦/٧).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥).

(٤) - المفردات في غريب القرآن، للراغب لأصفهاني، ص: (٧٦٦).

(٥) - انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٤٠/٨)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: (٨٦/٧).

(٦) - انظر: التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة: (٣٥٥/٥).

وجملة قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ على معنى تثبيت الرسول - ﷺ - على الحق الذي جاء به^(١)، والخطاب في هذه الجملة للنبي ﷺ، وفيها إلفات للمشركين إلى القرآن الكريم وإلى هذا الشك والافتراء الذي يدور في رؤوسهم منه، ليثبت أنه كتاب من عند الله مثل الكتاب الذي جاء به موسى ﷺ، والذي كانوا يتمنون أن يكون لهم كتاب مثله^(٢).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ أي: ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك الفرقان يا محمد ولقيناك مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره^(٣).

ثم بين للنبي ﷺ أن هدايته غير خالية عن المنفعة كما أنه لم تخل هداية موسى ﷺ من ذلك فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤)، أي وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل^(٥)، وقيل: وجعلنا الكتاب المنزل على موسى ﷺ هدى لقومه^(٦)، وكلا القولين يصلحان أن يكونا مرجع الضمير، والمعنى: وجعلنا موسى ﷺ أو الكتاب المنزل عليه رشاداً لبني إسرائيل يرشدون باتباعهما، ويصيرون الحق بالافتداء بهما^(٧)، وخصّ بني إسرائيل بالذكر؛ لأنه لم يتعبّد بما فيها ولد إسماعيل، ولأنّ بني إسرائيل آنذاك كانوا أكثر المنتفعين به^(٨). وفي الجملة إيماءً إلى أنّ الكتاب الذي آتيناه هداية للناس، وسيكون من أتباعه أئمة

(١) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٤/٥).

(٢) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٦/١١، ٦٢٧).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٤/٢٠).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥).

(٥) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٤/٢٠)، وهذا القول منسوب إلى قتادة.

(٦) - انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣٦٧/٤)، وهذا القول منسوب إلى الحسن البصري.

(٧) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٤/٢٠)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٦/٣).

(٨) - انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٤٤١/٨)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١٣٥/١١).

يهدون مثل تلك الهداية^(١)، وفي الجملة أيضاً تحريضٌ للمشركين على أن يُقبلوا على الكتاب الذي جاءهم من عند الله ويهتدوا به، فهذا الكتاب هو كتابهم وهو الهدى الذي يهتدون به كما كان كتاب موسى ﷺ كتاباً لبني إسرائيل ومُعَلَّم الهدى الذي يهتدون به^(٢)، وفي الآية بشارَةٌ للنبي ﷺ بأنَّ الله سيظهر هذا الدين، وفيها كذلك تعريضٌ بالمشركين إذ لم يشكروا نعمة الله على أن أرسل إليهم محمداً بالقرآن ليهتدوا فأعرضوا وكانوا أحقَّ بأن يحرصوا على الاهتداء بالقرآن وبهدي محمد ﷺ^(٣)، وفيها كذلك تقريرٌ لرسالة محمد ﷺ، وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحيِّ سماويٍّ وكتابٌ إلهي^(٤)، وفيها أن الصلة قائمة بين الرسالتين والمهمة واحدة، فإنَّ القرآن الكريم جعل هادياً ومرشداً لأمتك كما كان التوراة هادياً ومرشداً لبني إسرائيل^(٥).

ولمَّا ذكر في ختم الآية السابقة أنَّه جعل التوراة كتاب هداية لبني إسرائيل أو موسى ﷺ هادياً لبني إسرائيل ناسب أن يذكر أن ذلك أثمر في بعضهم فقد جعل منهم قادة في الخير وهداة مهتدين فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

ومعنى الآية: وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الخير يؤتم بهم، ويهتدى بهديهم، يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إيَّاهم على الهداية حين صبروا على طاعتنا وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها، وكانوا أهل يقين بما دُهم عليه حُججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وأهل إيمانٍ برسُلنا وآيات كتابنا وتنزيلنا^(٦).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ قرئ: "لَمَّا صَبَرُوا"، والحجَّة لمن حَقَّفَ أنَّه أراد لصبرهم؛ لأنَّه جعل "ما" مع صلتها بمعنى المصدر^(٧)، قال ابن جرير الطبري: "والقول عندي في ذلك أنَّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ

(١) - انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (١١٨/٢١).

(٢) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٧/١١).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٣٣٦/٢١، ٣٣٧).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥)، وصفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٥/٢).

(٥) - انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (٢١٦/٢١).

(٦) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٤/٢٠، ١٩٥).

(٧) - هذه القراءة قراءة حمزة والكسائي، انظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: ص(٥١٦)، والحجَّة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص: (٢٨٨).

فمصيب" (١).

قوله تعالى: ﴿أَيُّمَّةٌ﴾ جمع إمام، وهو الذي يُقْتَدَى به (٢)، قوله تعالى: ﴿يَهْدُونَكَ بِأَمْرِنَا﴾ الأمر يشمل الوحي بالشرعية؛ لأنه أمرٌ بها ويشمل الانتصاب للإرشاد، فإنَّ الله أمر العلماء أن يبيِّنوا الكتاب ويرشدوا إليه، فإذا هَدَوْا فَإِنَّمَا هَدَوْا بِأَمْرِهِ وبالعلم الذي أتاهم به أنبياءهم وأحبارهم (٣).

ولمَّا ذكر أنَّه جعل من بني إسرائيل أئمة يهدون بأمر الله بيِّن سبب ذلك وهو صبرهم على

الطاعات وبعدهم عن السيئات ويقينهم الجازم بالآيات والبيانات فقال: ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

بِأَيَّتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ (٤)، والمعنى: لمَّا كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجه وتصدق

رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد أنعم الله على بني إسرائيل بأن جعل منهم أئمة في

الدين؛ لأنَّهم صبروا وأيقنوا بما جاءهم من كتاب الله ومعجزات رسوله، وفي هذا تعريضٌ

بالبشارة لأصحاب رسول الله ﷺ بأنَّهم يكونون أئمة لدين الإسلام وهداةً للمسلمين؛ إذ صبروا

على ما لحقهم في ذات الله من أذى قومهم وصبروا على مشاق التكليف ومعاناة أهلهم

وقومهم وظلمهم إياهم (٥).

إذا يفهم من هذه الآية أنَّ الأئمة الهداة من بني إسرائيل لمَّا أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا،

ومن هذه الجملة استنبط بعض العلماء فائدة جليلة وهي: بالصبر واليقين تنال الإمامة في

الدين (٦)، ويستفاد من جملة ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيَّتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ أن اصبروا يا أئمة

محمد ﷺ، وآمنوا بالله وآياته فإنَّ وعد الله حق (٧).

(١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (١٩٥/٢٠).

(٢) - انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: (١٨٦٥/٥).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٧/٢١).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥).

(٥) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٧/٢١).

(٦) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٣١/٦).

(٧) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين وهو العلم التام الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين؛ لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين فما زالوا يتعلمون المسائل ويستدلون عليها بكثرة الدلائل حتى وصلوا لذلك^(١)، وتقديم آياتنا على يوقنون؛ للاهتمام بالآيات^(٢).

ويفهم من الآية أنه كما جعل موسى وكتابه هدىً لبني إسرائيل، وجعل منهم أئمة يهدون بأمر الله كذلك لنجعل الكتاب المنزّل إليك هدىً ونورا، ولنجعل من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين^(٣)، وفي الآية تعريض بكفرة أهل مكة وتحريض بعد تحريض للعرب من مشركين ومؤمنين أن يلوذوا بحمي هذا الكتاب الذي أنزله الله بلسانهم وجعلهم مستفتح دعوتهم إلى دين الله، فإنهم إن فعلوا واستجابوا لدعوة الله وآمنوا به وصبروا على ما يلقون على طريق الإيمان من ضر وأذى جعل الله منهم أئمة يدعون إلى الهدى ويقومون في الناس مقام الأنبياء، فالحديث هنا خبر عن بني إسرائيل يراد به سوق العبرة والعظة إلى المشركين^(٤)، وقد دلت الآية على أن الإيمان بآيات الله ينبغي أن يرافقه صبر، ومن ذكر هذه الآية تعرف لماذا يحتاج اليقين إلى مرافقة الصبر، وما ذلك إلا لأن اليقين يستوجب محاربة أعداء الله وإقامة الحجة عليهم، وذلك يستدعي الأذى، فكان لابد من الصبر الذي باجتماعه مع اليقين تكون الإمامة والقُدوة^(٥).

ولما أفهم قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أن من بني إسرائيل من يضل عن أمر الله ويصد عنه، وكان لابد من الفصل بين الضالين والمهتدين ناسب أن يعقب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص: (٦٥٦).

(٢) - التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٧/٢١).

(٣) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٦/٣).

(٤) - انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١١/١٣٦)، والتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٧/١١).

(٥) - انظر: الأساس في التفسير، لسعيد بن محمد ديب بن محمود حوى، دار السلام - القاهرة، ١٤٠٥ هـ: (٤٣٦٨/٨).

يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾، والمعنى: إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ يَقْضِي بَيْنَ جَمِيعِ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ فِي الدُّنْيَا يَخْتَلِفُونَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَيَفْرَقُ بَيْنَهُمْ بِقَضَاءِ فَاصِلٍ بِإِجَابِهِ لِأَهْلِ الْحَقِّ الْجَنَّةَ، وَلِأَهْلِ الْبَاطِلِ النَّارَ ﴿٢﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ استئنافٌ بياني يصلح جواباً لسؤال، وهو أَنَّهُ لَمَّا قَالَ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ كَانُوا لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ كَانُوا يَهْدُونَ وَهَمْ اخْتَلَفُوا وَصَارُوا فِرْقًا وَسَبِيلَ الْحَقِّ وَاحِدًا؟ فَقَالَ فِيهِمْ هِدَاةً، وَاللَّهُ بَيِّنُ الْمُبْتَدِعِ مِنَ الْمُتَّبِعِ كَمَا يَبِينُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيِّنٌ أَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ مِنَ الْأُمَّمِ ﴿٣﴾، وَضَمِيرٌ هُوَ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ ضَمِيرٌ لِقِصْرِ الْفَصْلِ عَلَيْهِ تَعَالَى إِيمَاءً إِلَى أَنَّ مَا يَذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ بَعْضِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ لَيْسَ مَطْمَوعًا مِنْهُ أَنْ يَرْتَدِعُوا عَنْ اخْتِلَافِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ وَقَطْعِ مَعْذَرَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ الْحُجَّةَ فَلَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ قيل يرجع إلى الأنبياء وأممهم، وقيل يرجع إلى المؤمنين والمشركين ﴿٥﴾، وكلا المعنيين صحيح؛ لأنَّ هذا من اختلاف التنوع لا التضاد.

وفي الآية إشارة إلى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ سَيَمِيزُ الْحَقَّ فِي كُلِّ دِينٍ مِنَ الْمَبْطَلِ ﴿٦﴾، وَفِيهَا كَذَلِكَ إِعْلَامٌ بِمَا سَيَكُونُ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ كُفْرٍ وَضَلَالٍ حِينَ يُوَاجِهُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى

(١) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٦٦/١٥).

(٢) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٥/٢٠)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (٢٣٤/٧).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٠/٢٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٨/٢١).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٣٩/٢١).

(٥) - انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للحازن: (٤٠٧/٣).

(٦) - انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لابن القمي النيسابوري: (٤٤٠/٥).

تصديقه والإيمان به^(١)، وفي الآية أيضًا باعث آخر على الإيمان الصحيح والعمل الصالح وتهديد ضمني لمن يعرض عن هداية الله التي صارت متمثلة بالقرآن بعد فقد التوراة وافتقاد الأصل الصحيح للإنجيل^(٢)، والخطاب في الآية للنبي ﷺ، والمراد أمتة تحذيرًا من ذلك وإيماءً إلى وجوب تجنب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داعٍ في مصلحة الأمة وفهم الدين، وهو يقتضي أنّ اختلاف بني إسرائيل أوقعهم في إبطال ما جاءهم من الهدى فهو اختلافٌ غير مستندٍ إلى أدلةٍ ولا جارٍ في مهَيِّع^(٣) أصل الشريعة، ولكنه متابعٌ للهوى وميلٌ لأعراض الدنيا^(٤).

وفي جعل الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ هدىً لقومه وأمتة كما جعل الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ هدىً لقومه، وفي اصطفاء أئمة الدين من هذه الأمة المحمدية التي أطاعت ربها واستنت بسنة نبيها ﷺ وصبرت على مشاق الدعوة إلى الله وكانت بآيات ربها موقنة مؤمنة كما كان الحال في اختيار أئمة الدين والصلاح من قوم موسى ﷺ الذين صبروا على مشاق الدعوة إلى الله وأيقنوا بآيات ربهم، وفي الفصل بين المؤمنين بشريعة محمد ﷺ وبشرائع الأنبياء السابقين من تلك الأمم الماضية وبين الكافرين بهذه الشريعة وشرائع الأنبياء السابقين يوم القيامة بالحق والعدل حينما يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار، في كل هذا دلالة واضحة على تأكيد وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، وعدم الشك في هذه الرسالة العظيمة، لذا يجب على العباد الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأن لا يطرأ في قلوبهم أي شك تجاه هذا الأساس المتين، فمن حَقَّق هذا الركن العظيم فقد أذعن واستسلم لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا اتضح من السياق أنّ الكافرين هم خصماء أئمة الدين أهل الصبر واليقين فإنّ السياق يتجه لإقامة الحجة عليهم بالأمم السالفة الذين كفروا فأهلكوا منبهاً تعالى على آثار قدرته في مخلوقاته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

(١) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (١١/٦٢٨).

(٢) - انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي: (٢١/٢١٧).

(٣) - مهَيِّع: أي طريق منبسط، انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٣/١٧).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢٣٨).

يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١﴾، والمعنى: أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا فيتعظوا وينزجروا، إِنَّ فِي خِلاءِ مَسَاكِنِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ - لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَنَا وَجَحَدُوا بِآيَاتِنَا وَعَبَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً غَيْرَهُ، والتي كانت قريش تمرُّ على ديارهم فيعاينونها - لآيات لهم وعظات يتعظون بها لو كانوا أولي حِجًا وعقول، أفلا يسمعون عظات الله وتذكيره إيَّاهم آياته وتعريفهم مواضع حُجَّجِهِ؟ ﴿٢﴾، والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ للإِنكار، حيث ينكر سبحانه على المشركين أنَّهم لم يروا فيما بين أيديهم من ديار الأقبام الظالمين قبلهم وما اشتمل عليها من خراب، وما تحدَّث به هذه الديار من عبر، وما تنطق به من عظات! وإِنَّهم لو عقلوا لعلموا أنَّهم مأخوذون بما أخذ به أصحاب هذه الديار ماداموا سائرين على طريقهم آخذين مأخذهم ﴿٣﴾.

ومعنى قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي كثرة إهلاكنا القرون، والقرون عاد وثمود وقوم لوط، وقوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ يعني أهل مكة، وهم الكفار الموبخون يريد قريشًا، يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويعاينون آثار هلاكهم ﴿٤﴾، وفي الجملة زيادة إبانة: أي أَنَّ مساكِنَ المهلكين دالةٌ على حالهم وأنتم تمشون فيها وتبصرونها ﴿٥﴾.

ولمَّا كان في إهلاك القرون السالفة التي يمر عليها كفار قريش في سفرهم أتم عبرة وأعظم عظة قال منبِّهاً على ماضى مؤكِّداً ومنبِّهاً على أنَّ من لم يعتبر فقد وقع في المنكر؛ لأنَّ ما مضى فيه من العبر فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي في ذلك الأمر العظيم دلالات

(١) - انظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى: (٤٣٦٨/٨)، وصفوة التفاسير، للصابوني: (٤٦٥/٢).

(٢) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٦/٢٠).

(٣) - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: (٨٧/٧)، والتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٨/١١).

(٤) - انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٦/٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٣٩٧/٧).

(٥) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥).

ظاهرات جدًّا مرثيات في الديار وغيرها من الآثار ومسموعات في الأخبار، ولمَّا كان السماع هو الركن الأعظم وكان إهلاك القرون إنَّما وصل إليهم بالسماع قال منكرًا: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(١)، وإنَّما قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على الجمع ليناسب القرون والمساکن^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ استفهامٌ تقيريٌّ مشوبٌ بتوبيخ؛ لأنَّ اجتلاب المضارع وهو يسمعون مؤذَّنٌ بأنَّ استماع أخبار تلك الأمم متكرَّرٌ متجدِّدٌ فيكون التوبيخ على الإقرار المستفهم عنه أوقع^(٣)، واعتبر فيه السمع؛ لأنَّهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم فقال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ يعني ليس لهم درجة المتعلِّم الذي يسمع الشيء ويفهمه^(٤)، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ السمع طريق من طرق الاهتداء سواء كان هذا المسموع من كلمات الله أو من الأخبار الصحيحة والعظات النافعة، فالكلمة الطيبة إذا تلقَّتها أذن واعية واستقبلها قلب سليم أينعت وأثمرت كما تينع وتثمر البذرة الطيبة في الأرض الطيبة^(٥)، ويستدل بهذه الآية على صدق الرسل التي جاءتهم وبطلان ما هم عليه من الشرك والشر، وعلى أنَّ من فعل مثل فعلهم فُعل بهم كما فُعل بأشيعهم من قبل^(٦)، وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّ كفار قريش قد خلفوا هؤلاء الظالمين أصحاب تلك الديار وورثوا ما كانوا عليه من كفر وضلال^(٧).

وفي قدرة الله تعالى على إهلاك الأمم السابقة التي كفرت بالله وجحدت ألوهية الله وتفردت بالعبادة، وعبدت من دون الله آلهة أخرى دلالة واضحة على تأكيد وجوب إفراد الله بالعبادة،

(١) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٦٨/١٥).

(٢) - انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لابن القُميِّ النيسابوري: (٤٤٠/٥).

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤٠/٢١).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥).

(٥) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٩/١١).

(٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لسعدي، ص: (٦٥٧).

(٧) - انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٢٩/١١).

وتحريم الشرك والكفر الذي كان السبب الرئيس في إهلاك القرون المنصرمة، لذا يجب على العباد أن يخلصوا العبادة لله وحده، وأن لا يقع في قلوبهم أي شك تجاه هذا الأساس العظيم، فمن حقق هذا الركن المتين والأساس القويم فقد استجاب وأذعن لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

ولمَّا بَيَّنَّ الإهلاك وهو الإمامة في الآية السابقة بَيَّنَّ في هذه الآية الإحياء؛ ليكون إشارةً إلى أنَّ الضر والنفع بيد الله فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾^(١)، والمعنى: أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء أننا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يَبْسِهَا وغلظها وطول عهدها بالماء زرعًا أخضر تأكل منه مواشيهم وتُغذَى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به، أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا أنَّ قدرة الله عظيمة فلا يتعدَّر عليه أن يحيي بها الأموات وينشرهم من قبورهم ويعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم^(٢).

وقد نيط الاستدلال بالرؤية في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾؛ لأنَّ إحياء الأرض بعد موتها، ثم إخراج النبات منها دلالةً مشاهدة، قوله تعالى: ﴿نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ أي نرسل الماء^(٣)، واختير المضارع في قوله ﴿نَسُوقُ﴾؛ لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة الباهرة، وسوق الماء إلى الأرض هو سوق السحاب الحاملة إيَّاه بالرياح التي تنقل السحاب من جو إلى جو^(٤).

(١) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥).

(٢) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٧/٢٠)، (١٩٨).

(٣) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٣٢/٦).

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤١/٢١).

قوله تعالى: ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي: التي لا نبات فيها^(١)، قوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ

زَرْعًا﴾ أي فنخرج بالماء، وخصّ الزرع بالذكر - وإن كان يخرج الله به أنواعًا كثيرةً من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به في الطب وغيره - تشريفًا للزرع، ولأنّه أعظم ما يقصد من النبات، وإلا فعرف أكل الأنعام إنّما هو من غير الزرع، لكنّه أوقع الزرع موقع النبات على العموم^(٢).

ثمّ فصل ذلك بأكل الأنعام وبني آدم فقال: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

وَأَنْفُسُهُمْ﴾^(٣)، وقدّم الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه أحدها: أنّ الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للإنسان، والثاني: وهو أنّ الزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه، وأمّا غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان، فكأنّ الحيوان يأكل الزرع، ثم الإنسان يأكل من الحيوان، والثالث: بدأ بالأدنى ثم ترقى إلى الأشرف وهم بنو آدم، والرابع: قدّمها لموقع الامتنان بها؛ لأنّ بها قوامهم في معاشهم وأبدانهم^(٤).

ولمّا كانت هذه الآية مبصرة، وكانت في وضوحها في الدلالة على البعث لا يحتاج

الجاهل في الإقرار بها سوى رؤيتها فرّغ على ما مضى باستفهام تقريرى فقال: ﴿أَفَلَا

يُبْصِرُونَ﴾ إشارة إلى أنّ من رآها ونبّه على ما فيها من الدلالة وأصرّ على الإنكار لا بصر له ولا بصيرة^(٥)، ونيط الحكم بالإبصار هنا؛ لأنّ دلالة إحياء الأرض بعد موتها دلالة مشاهدة بخلاف حال الماضين فإنها كانت مسموعة^(٦)، ويستفاد من هذه الآية

(١) - انظر: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلي، دار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى: (٣٣٠/٢).

(٢) - انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (٤٤٢/٨)، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٦/٤).

(٣) - انظر: المحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٦/٤).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (٤٤٢/٨).

(٥) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٧٠/١٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤٢/٢١).

(٦) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤٢/٢١).

إقامة الحجة على كفار قريش في معنى الإيمان بالقدرة وبالبعث بأن نبههم سبحانه على إحياء الأرض الموت بالماء والنبات^(١).

ولما كانت الآية السابقة أدل دليل على البعث، وكان يومًا يظهر فيه عز الأولياء وذل الأعداء أتبعها بقولهم على وجه التكذيب والاستهزاء بهذا اليوم بقوله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، والمعنى: ويقول هؤلاء المشركون لك يا محمد - ﷺ - متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم؟ ومتى يكون هذا الثواب والعقاب؟ يعنون به يوم القيامة إن كنتم صادقين في الذي تقولون من أننا معاقبون على تكذيبنا محمدًا ﷺ وعبادتنا الآلهة والأوثان^(٣)، فحكى سبحانه عن كفار مكة أنهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم وبين الرسول ﷺ على معنى الاستهزاء والتكذيب؛ لأنهم لا يؤمنون بأن هناك حسابًا ولا جزاء^(٤).

وحكاية قولهم بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ لإفادة التعجيب منه، واسم الإشارة في ﴿هَذَا الْفَتْحُ﴾ مع إمكان الاستغناء عنه بذكر مبيّنه مقصودًا منه التحقير وقلة الاكتراث به^(٥)، والمراد بالفتح هو: يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم^(٦).

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ويدل كذلك أن

(١) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٥/٤).

(٢) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٧٠/١٥).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٨/٢٠).

(٤) - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣٦٦/٤)، وفتح القدير، للشوكاني: (٢٩٨/٤)، والتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (٦٣٠/١١).

(٥) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤٢/٢١)، (٢٤٣).

(٦) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: (٥١٧/٣).

يوم الفتح معناه يوم القيامة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ولا شك أنّ الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحِ ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أنّ الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، وأيضًا كون يوم الفتح يوم بدر بعيد عن كون السورة مكية وكذا كونه يوم فتح مكة^(١).

ولمّا أسفر حالهم بهذا السؤال الذي نتيجه الاستعجال على وجه الاستهزاء عن أنّهم لا يزدادون مع البيان إلا عنادًا ناسب أن يأمر الله نبيّه ﷺ أن يرّد عليهم بجواب فيه أبلغ تهديد فقال مُعْرِضًا عن إجابتهم عن تعيين اليوم إلى ذكر حاله: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾^(٢)، والمعنى: قل يا محمد للمشركين المستهزئين: يوم القيامة هو يوم مجيء العذاب، وحينئذ لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة^(٣)، فإن قيل: قد سألوا عن وقت الفتح، فكيف ينطبق هذا الكلام جوابًا على سؤالهم، فالجواب: كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالًا منهم عن وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عُرف من غرضهم في سؤالهم فقليل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد بُعثتم ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تُنظروا، فلم يجب القرآن عن متى هو؟ وإنما أجاب عن كيف هو؟ وعلى أية صورة يقع؟ أمّا وقوعه فهو أمر لا شك فيه، وأمّا الصورة التي يقع عليها فإنّها بلاء على المشركين يوم

(١) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٨/٢٠)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير:

(٢٣٣/٦)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١١/١٣٨).

(٢) - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٧٠/١٥).

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (١٩٩/٢٠)، وبحر العلوم، للسمرقندي: (٣/٣٤).

يقفون وجهًا لوجه بين يدي هذا اليوم للحساب والجزاء، ففي هذا الجواب سلوك الأسلوب الحكيم من وجهين: من وجه العدول عن تعيين يوم الفتح، ومن وجه العدول بهم إلى يوم الفتح الحق^(١).

في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إظهارُ وصف الذين كفروا في مقام الإضمار مع أنهم هم القائلون متى هذا الفتح؛ لقصد التسجيل عليهم بأن كفرهم هو سبب خيبتهم^(٢)، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يقبل إيمانهم في تلك الحالة؛ لأنَّ الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا، وحينئذٍ ينقطع أمل الكفار في النجاة والاستفادة من الندامة والتوبة ولا يجدون إنظارًا لتدارك ما فاتهم^(٣).

ولمَّا بيَّن المسائل وأتقن الدلائل ووصل خطابهم إلى حالة الجهل واستعجال العذاب ولم تنفعهم الأدلة والآيات ناسب أن يأمره بالإعراض عنهم فقال: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾^(٤)، وقد فُرع على جميع هذه المجادلات والدلالات - المذكورة في الآيتين السابقتين - توجيه الله خطابه إلى رسوله ﷺ بأن يعرض عن هؤلاء القائلين المكذبين وأن لا يزيد في الإلحاح عليهم تأيسًا من إيمان المجادلين منهم المتصددين للتمويه على ذمائمهم، وهذا إعراض متاركة عن الجدال وقتيًا لا إعراض مستمر، ولا عن الدعوة إلى الله ولا علاقة له بأحكام الجهاد المشروع في غير هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ الانتظار هو: الترقب، وحذف مفعول انتظر؛ للتهويل، أي: انتظر أيامًا يكون لك فيها النصر ويكون لهم فيها الخسران، ففي الأمر بالانتظار تعريضٌ بالبشارة للمؤمنين بالنظر وتعريضٌ

(١) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزحشري: (٥١٧/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور:

(٢١/٤٣)، والتفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: (١١/٦٣٠).

(٢) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢٤٣).

(٣) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥١/٢٥)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢١/٢٤٣).

(٤) - انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (١٥٢/٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص:

(٦٥٧).

بالوعيد للمشركين بالعذاب في الدارين (١).

ومعنى جملة ﴿وَأَنْظِرْ لَهُمْ مُنْتِظِرُونَ﴾ أي انتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك بما يصيبك أنت وأصحابك من حوادث الزمان (٢)، وقد قيل إن هذه الآية منسوخة بآية السيف وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية (٣)، وهذا استناداً لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: "﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ قال عن مشركي قريش بمكة: ﴿وَأَنْظِرْ لَهُمْ مُنْتِظِرُونَ﴾ قال: نسختها آية السيف في براءة قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾" (٤)، والأثر إسئلده ضعيف؛ لذا الصواب أن يقال: إن الآية غير منسوخة إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال كالمهدنة وغيرها (٥)، قال أبو الحسن السخاوي: "وأما قولهم: إن قوله عز وجل في آخر السورة: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ لَهُمْ مُنْتِظِرُونَ﴾ منسوخ بآية السيف، فليس كذلك، وهو وعد من الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -، ووعد لهم، وليس معنى قوله عز وجل: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ اترك قتالهم، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن قادراً على ذلك (٦)، وقال الألويسي: "ولا يخفى أنه يحتمل أن المراد الإعراض عن مناظرتهم لعدم نفعها أو تخصيصه بوقت معين فلا يتعين النسخ" (٧)، وفي طيات الآية تهديد خفي بعاقبة الانتظار بعد أن ينفذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - يده من أمرهم ويدعهم لمصيرهم المحتوم (٨). وفي إحياء الأرض الغليظة اليابسة بالماء الذي ينزل من السماء، وفي الرد على منكري البعث

(١) - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤٣/٢١، ٢٤٤).

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١٢/١٤).

(٣) - سورة التوبة، رقم الآية: (٥).

(٤) - الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، ص: (٦٢٢)، والأثر إسئلده ضعيف؛ لأن فيه جويبر بن سعيد الأزدي ضعيف جداً، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ص: (١٤٣)، رقم: (٩٨٧).

(٥) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١٢/١٤).

(٦) - جمال القراء وكمال الإقراء، ص: (٤٤٧).

(٧) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (١١ / ١٣٨).

(٨) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٨١٦/٥).

بأسلوب ملؤه التهديد والوعيد، وفي الإعراض عن مناظرتهم وانتظار ما يحل بهم من مصائب وويلات، في كل ذلك دلالة واضحة على تأكيد وجوب الإيمان بحقيقة البعث والجزاء، لذا يجب على العباد الإيمان بحقيقة البعث والجزاء، وأن لا يصدر منهم أي شك تجاه هذه الحقيقة العظيمة، فمن حَقَّق الإيمان بهذا الأصل العظيم فقد خضع واستسلم لأمر الله، وهذا المعنى متحقق في الموضوع الكلي للسورة وفي اسمها.

وبهذا أكون قد انتهيت من تفسير سورة السجدة في ضوء تناسقها الموضوعي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة وإخراجها بهذه الصورة التي أحسب أنَّها مرضية، فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وأصلي وأسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد فقد خلصت في خاتمة هذه الرسالة إلى نتائج وتوصيات ومن أبرز النتائج ما يلي:

أولاً: التناسق الموضوعي في السورة: هو تسلسل المواضيع الواردة في السورة الواحدة، وانتظامها في نسق واحد، وذلك بتراطب ألفاظ الآية، وتناسب معانيها، بحيث تكون كل جملة وآية آخذة بعنق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعض، فلا يكون شيء منها خارج السياق لينتج عن ذلك موضوعاً رئيساً أو موضوعات رئيسة تدور حولها السورة.

ثانياً: عدد أسماء سورة السجدة سبعة أسماء، التوقيفي منها خمسة: السجدة، وألم تنزيل، وتنزيل السجدة، وألم تنزيل السجدة، وألم السجدة، والاجتهادية اسمان: المضاجع، وسجدة لقمان.

ثالثاً: وردت أحاديث صحيحة في فضل السورة.

رابعاً: المشهور من أقوال أكثر المفسرين أنَّ عدد آيات سورة السجدة ثلاثون آية.
خامساً: نزول سورة السجدة كان بمكة لكن لم يثبت لتاريخ نزولها زمن معين أو حادثة محددة ترشدنا إلى وقت نزولها.

سادساً: الراجح في آيات سورة السجدة أنَّها كلُّها مكية بلا استثناء.

سابعاً: لم يرد في السورة سبب نزول صحيح صريح في السببية مكتمل لجميع الشروط.
ثامناً: توصلت إلى أنَّ السورة تحدثت عن أربعة أمور، المقدمة وعنوانها: القرآن حقٌّ منزل من عند الله، وثلاثة موضوعات، الموضوع الأول عنوانه: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة والتوحيد والبعث والجزاء)، الموضوع الثاني عنوانه: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين، الموضوع الثالث عنوانه: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء).

تاسعاً: من خلال مقدمة السورة وموضوعاتها الثلاثة وبعد التناسق بينها توصلت إلى أنَّ

الموضوع الكلي للسورة هو: نفي الريب عمّا ثبت في القرآن الكريم من صدق رسالة محمد ﷺ وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء.

عاشراً: توصلت إلى العلاقة الوطيدة بين الموضوع الكلي للسورة وبين اسمها - الذي يدل على التذلل والخضوع - وهي أنّ العبد إذا انتفى عنده الريب والشك في كون القرآن الكريم كلام الله، وانتفى كذلك عنده الريب في صدق رسالة محمد ﷺ، وفي حقيقة التوحيد، وفي عقيدة البعث والجزاء كان هذا إذعاناً وخضوعاً لأمر الله، وهذا هو المقصد الأسمى من السجود وهو الذل والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى والخضوع والاستجابة لأوامره.

ومن أبرز التوصيات ما يلي:

أولاً: أوصي كل مسلم يقرأ سورة السجدة أن يستشعر عظمة هذه السورة، فقد اشتملت على أعظم أصول الدين (صدق رسالة محمد ﷺ والتوحيد والبعث والجزاء) ولعظمتها كان النبي ﷺ يحرص على قراءة هذه السورة في الركعة الأولى من صلاة فجر يوم الجمعة.

ثانياً: أمل من قسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أمّ القرى أن يشكّل لجنة للاهتمام بهذا المشروع القيم أعني مشروع "التناسق الموضوعي في سور القرآن الكريم" لإخراجه للناس للانتفاع به حتى لا يبقى رهين الرفوف والأدراج.

ثالثاً: أوصي المنظّمات والهيئات الإسلامية أن تُعنى بمعالجة ما فسد من عقائد المسلمين بسبب البعد عن هدي الكتاب والسنة، وانتشار الشراكيات والبدع والخزعبلات في كثير من بلاد المسلمين، وأن تقرّر برامج عملية في هذا الشأن لتطبيقها على أرض الواقع. وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها، وأن يكتب لهذه الرسالة القبول، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا والقارئ لهذه الرسالة والمستفيدين منها هداة مهتدين صالحين مصلحين، وأن يبرم لأمة محمد ﷺ أمراً رشداً وأن ينصرها نصراً مؤزراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

٣ - فهرس الأعلام .

٤ - فهرس المصادر والمراجع.

٥ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٨ ١٣٥	٢	[البقرة: ١-٢]	﴿الَّذِي ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾
٥٩	٢	[البقرة: ٢٩]	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۝﴾
٨	٢	[البقرة: ١٨٥]	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۝﴾
٤٢	٣	[آل عمران: ١٥٤]	﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۝﴾
٤٢	٣	[النساء: ٣٤]	﴿فَعِظُوهُمْ وَأَهَجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ۝﴾
١٥٦	٣	[النساء: ٤٦]	﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾
١٣٠	٥	[الأعراف: ٥٧]	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۝ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾
٥٩	٦	[الأأنال: ٢٢-٢٣]	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ۝ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝﴾
١٩٧	٥	[التوبة: ٥]	﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۝﴾
٨	١٠	[يونس: ٥٧]	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾
٥٩	١١	[إبراهيم: ٣٤]	﴿وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۝﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٩	٣	[النحل: ١٨]	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾
٨	٣	[النحل: ٩٧]	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾
٨	٣	[النحل: ١٠٢]	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
٨	٣	[الإسراء: ٩٠]	﴿ إِنَّ هٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩٠﴾ ﴾
١٦٧	٣٠	[طه: ١٢٦]	﴿ كَذٰلِكَ أَنْتَ ءَايٰتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ ﴾ ﴿١٢٦﴾
٦٠	٣٢	[المؤمنون: ٨٤-٨٥]	﴿ قُلْ لِّمَنِ الْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهَا اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ ﴾
٥٩	٣٥	[الفرقان: ٤٤]	﴿ اِنْ هُمْ اِلَّا كَاٰنْعَمٍۭ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبِيْلًا ﴾
٦٠	٣٥	[العنكبوت: ٦١]	﴿ وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ ﴾
١٥٨	٤٠	[الروم: ٢٧]	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
٧٦	٤٢	[لقمان: ١-٣]	﴿ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْحَكِيْمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِيْنَ ﴿٣﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٩ ٧٥ ٧٧ ١٠٦ ١٠٨ ١١٠ ١١٢ ١١٦ ١٣٣ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٨ ١٤٠ ١٥٧	٢	[السجدة: ١-٣]	<p>﴿ ١ ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْ أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ ٣ ﴾</p>
١٠٢ ١١٠ ١١٦ ١٤٠ ١٤٠ ١٤٧ ١٥٧	٢	[السجدة: ٤]	<p>﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ ٤ ﴾</p>
٨٠ ١٤١ ١٤٤ ١٤٥	٢	[السجدة: ٥]	<p>﴿ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿ ٥ ﴾</p>
١١٣ ١٤٦ ١٤٧ ١٥٠ ١٥٠ ١٥١	٢	[السجدة: ٦-٨]	<p>﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٦ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿ ٧ ﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿ ٨ ﴾</p>
١٠٢ ١١١ ١٥٢ ١٥٤ ١٥٧	٢	[السجدة: ٩]	<p>﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿ ٩ ﴾</p>

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٠٢ ١١١ ١١٥ ١١٦ ١٥٨ ١٦٣	٢	[السجدة: ١٠]	﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾
٨١ ١١٥ ١٦٠	٢	[السجدة: ١١]	﴿ قُلْ يَنفِقَكُم مَّا كُمُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكَلِّبُكُمْ بِهِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾
٨١ ١١٥ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٥	٢	[السجدة: ١٢]	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
١١٥	٢	[السجدة: ١٣]	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾
١٠٢ ١٠٦ ١١٠ ١١١ ١١٥ ١٦٦	٢	[السجدة: ١٤]	﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
١٠٦ ١١٨ ١٢٠ ١٦٨	٢	[السجدة: ١٥]	﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤١ ٤٥ ٦٤ ٦٧ ٨١ ٨٢ ٨٧ ١١٨ ١٢٠ ١٧٠ ١٧٢	٢	[السجدة: ١٦-] [١٧]	﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
٦٥ ١١٧ ٨٨ ١١٨ ١٢١ ١٧٥	٢	[السجدة: ١٨]	﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
١٢١ ١٧٦	٢	[السجدة: ١٩]	﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾
٦٥ ٧٣ ١٢١ ١٧٥ ١٧٧	٢	[السجدة: ٢٠]	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
٨٢ ١٢١ ١٧٧	٢	[السجدة: ٢١]	﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
١٠٦ ١١٨ ١٢١ ١٨١	٢	[السجدة: ٢٢]	﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
١٠٢ ١٠٦ ١٢٤ ١٢٨ ١٨٣	٢	[السجدة: ٢٣]	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٢٦ ١٨٦	٢٤	[السجدة: ٢٤]	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
١٢٤ ١٨٨	٢٥	[السجدة: ٢٥]	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾
١٠٢ ١٢٥ ١٢٨ ١٩٠	٢٦	[السجدة: ٢٦]	﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾
١٠٢ ١٢٥ ١٢٩ ١٣٠ ١٩٢	٢٧	[السجدة: ٢٧]	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
٨٨ ١٢٩ ١٩٤	٢٨	[السجدة: ٢٨]	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾
١٢٩ ١٩٥	٢٩	[السجدة: ٢٩]	﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾
٩١ ١٠٢ ١٢٩ ١٩٧	٣٠	[السجدة: ٣٠]	﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾
١٢٦ ٧٧	٣١	[الأحزاب: ١-٢]	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾
١٥٩	٣٤	[سبأ: ٧]	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾
١٣٨	٣٥	[فاطر: ٢٤]	﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾
١٥٨	٣٦	[يس: ٧٩]	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٥٨	٤٢	[يس: ٨١]	أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴿١﴾
١٤٥	٤٣	[الشورى: ٥٣]	﴿٥٣﴾ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾
١٦٢	٥٤	[الحاثية: ٢٤]	﴿٢٤﴾ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴿٢٤﴾
١٤٢	٥٥	[ق: ٣٨]	﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
٤٩	٦١	[المالك: ١]	﴿١﴾ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
١٣٧	٦٢	[القلم: ٤٤-٤٧]	﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾
١١٥	٦٣	[المزمل: ٢-٦]	﴿٢﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصَفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾
١٥٢	٦٨	[الطارق: ٥-٧]	﴿٥﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾
٣٣	٩٢	[العلق: ١]	﴿١﴾ اِقْرَأْ ﴿١﴾
٣٣	٩٢	[العلق: ٥]	﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾
٣٣	١٠٨	[الكوثر: ١]	﴿١﴾ إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

ت	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر	٧٠
٢	اقرؤوا المنجية، وهي ألم تنزيل	٤٣
٣	ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾	٧٢ ٨٧ ١٧١
٤	ألم تنزيل تجيء لها جناحان يوم القيامة تظل صاحبها وتقول لا سبيل عليه لا سبيل عليه	٤٨
٥	إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنوه على ألوان الأرض	١٥٠
٦	﴿ إِنَّ الْمَرَّةَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تجادل عن صاحبها في القبر	٤٩
٧	أن رجلين فيما مضى كان يلزم أحدهما تبارك، فجادلت عنه حتى نجأ، وأما صاحب السجدة الصغرى فتتقسم في قبره قسمين قسم عند رأسه، وقسم عند رجليه حتى نجأ فسميت المنقسمة	٤٤ ٥٠
٨	أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ألم السجدة، وهل أتى على الإنسان	٤٠
٩	إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال المشركون - كما ذكر الله -: ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فنزلت	٨٨

ت	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١٠	إِنَّ هَذِهِ آيَةُ ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة	٦٧ ٨٦
١١	بَدَأَ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء	١٤١
١٢	تفضلان على كل سورة من القرآن بسبعين حسنة	٥٠
١٣	﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾، قال: قيام الليل	٨٨
١٤	ذكر رسول الله ﷺ قيام الليل، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه فقال: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾	٨٧
١٥	عزائم السجود في القرآن أربع: ألم تنزِيل وحم تنزِيل والنجم وقرأ باسم ربك الذي خلق	٤٨ ١٦٩
١٦	قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزل ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾	٦٦ ٧٣ ٨٨ ١٧٧
١٧	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر	٣٨
١٨	كان أناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية	٨٦
١٩	كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزِيل	١١ ٣٨
٢٠	كان يقرأ في الصباح يوم الجمعة بألم تنزِيل	١١ ٣٨
٢١	كُنَّا نجلس في المجلس، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون المغرب إلى العشاء فنزلت: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾	٨٦
٢٢	كُنَّا نُحْزِرُ قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر فحزرتنا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة ألم تنزِيل السجدة	٣٩

ت	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٢٣	ما على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك في ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر	٥٠
٢٤	من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقرأ في الركعتين الأخرتين تنزيل السجدة	٤٧
٢٥	من قرأ ألم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك في يوم وليلة فكأنما وافق ليلة القدر	٤٧
٢٦	من قرأ تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، كتب له سبعون حسنة وحط عنه بها سبعون سيئة ورفع له بها سبعون درجة	٤٩
٢٧	نزلت ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ في صلاة العشاء	٦٨ ٨٦
٢٨	نزلت في رجال من أصحاب النبي ﷺ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء	٦٨
٢٩	نزلت فينا معاشر الأنصار كنّا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ	٦٥ ٦٧ ٨٦
٣٠	وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾	٦٨

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلام	ت
١٤	إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي	١
٣٣	إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطي	٢
٣٨	أبو هريرة الدوسي	٣
١٣	أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الأندلسي	٤
٥٢	أحمد بن أحمد بن أحمد بن عامر السلمي الأندلسي	٥
٦٩	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني	٦
٢٧	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي	٧
٦٩	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني	٨
٤٧	إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي	٩
٦٥	أنس بن مالك بن النضر الخزرجي	١٠
٥٧	جابر بن زيد الأزدي	١١
٣٨	جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري	١٢
٥٨	الحسن بن أبي الحسن البصري	١٣
١٩	حفص بن سليمان الدوري	١٤
١٧٣	حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي	١٥
٤٣	خالد بن معدان الكلاعي الحمصي	١٦
٣١	زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذيباني الغطفاني	١٧
٣٩	سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري	١٨
٨٩	سعيد بن جبیر الأسدي	١٩
١٥	سيد قطب بن إبراهيم	٢٠

الصفحة	اسم العالم	ت
٥٠	طاوس بن كيسان اليماني	٢١
١٩	عاصم بن أبي النجود الأسدي	٢٢
٦٤	عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري القرشي	٢٣
٥٢	عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة	٢٤
٥٣	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	٢٥
٤٠	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم	٢٦
٤٠	عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي	٢٧
١٤	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي	٢٨
٥٢	عثمان بن سعيد بن عثمان القرطي	٢٩
٤٤	عطاء بن أبي رباح القرشي	٣٠
٥٢	عطاء بن يسار الهلالي	٣١
٥٨	عكرمة أبو عبد الله	٣٢
٤٨	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي	٣٣
٨٧	علي بن أحمد بن محمد النيسابوري	٣٤
٢٦	علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده	٣٥
٥٢	علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي	٣٦
٤٢	الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي	٣٧
٥٢	الفضل بن شاذان بن عيسى الرازي	٣٨
٨٨	قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي	٣٩
٤٩	كعب بن ماته الحميري	٤٠
٨٦	مالك بن دينار البصري	٤١
٣٩	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المنخومي	٤٢

الصفحة	اسم العالِم	ت
٤٢	محمد الطاهر بن عاشور	٤٣
٤٠	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري	٤٤
٦٥	محمد بن السائب بن بشر الكلبي	٤٥
٦٩	محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي	٤٦
٧٣	محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري	٤٧
٦٤	محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري	٤٨
٣٧	محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري	٤٩
١٣	محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني	٥٠
٣٧	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي	٥١
٤١	محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي	٥٢
٦٤	محمد عزة بن عبد الهادي	٥٣
٤٢	محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي	٥٤
٤٨	المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي	٥٥
١٦	مصطفى مسلم محمد	٥٦
٧١	معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي	٥٧
٦٤	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي	٥٨
٦٦	الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي	٥٩
١٦١	وهب بن منبه بن كامل اليماني	٦٠
٣٩	يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة	٦١



فهرس المصادر والمراجع

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١	﴿ القرآن الكريم ﴾				
٢	الإتقان في علوم القرآن	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم	الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة	سنة	١٣٩٤ هـ
٣	أحكام الجنائز	محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح الألباني	المكتب الإسلامي بيروت	الرابعة	١٤٠٦ هـ
٤	أحوال الرجال	إبراهيم بن يعقوب ابن إسحاق الجوزجاني تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي	دار حديث أكاديمي فيصل آباد باكستان	بدون	بدون تاريخ
٥	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم	أبو السعود محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي	دار إحياء التراث العربي بيروت	بدون	بدون تاريخ
٦	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي بيروت	الثانية	١٤٠٥ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٧	أساس البلاغة	محمود بن عمرو الزخشري تحقيق: محمد باسل عيون السود	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٩ هـ
٨	الأساس في التفسير	سعيد بن محمد ديب بن محمود حوى	دار السلام القاهرة	سنة	١٤٠٥ هـ
٩	أسباب النزول	علي بن أحمد الواحدي النيسابوري	عالم الكتب بيروت	بدون	بدون تاريخ
١٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة	علي بن أبي الكرم الجزري المعروف: بابن الأثير تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ
١١	أسرار إعجاز القرآن	أ.د. جمال مصطفى النجار	مكتبة الحسين الإسلامية القاهرة	سنة	١٤١٧ هـ
١٢	أسرار ترتيب القرآن	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: مرزوق علي إبراهيم	دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة	سنة	٢٠٠٢ م

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٣	أسماء سور القرآن وفضائلها	منيرة ناصر الدوسري	دار ابن الجوزي الدمام	سنة	١٤٢٦ هـ
١٤	الأعلام	خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي دمشقي	دار العلم للملايين بيروت	الخامسة عشر	٢٠٠٢ م
١٥	الأغاني	أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني تحقيق: سمير جابر	دار الفكر بيروت	الطبعة الثانية	بدون تاريخ
١٦	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	١٤١٨ هـ
١٧	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير	أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة	الخامسة	١٤٢٤ هـ
١٨	البحر المحيط في التفسير	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل	دار الفكر	سنة	١٤٢٠ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٩	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	محمد بن علي بن محمد لشوكاني اليميني	دار المعرفة بيروت	بدون	بدون تاريخ
٢٠	البرهان في تناسب سور القرآن	أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي تحقيق: محمد شعباني	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب	سنة	١٤١٠ هـ
٢١	البرهان في علوم القرآن	محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم	دار إحياء الكتب العربية بيروت	الأولى	١٣٧٦ هـ
٢٢	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز	محمد بن يعقوب ابن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي تحقيق: محمد علي النجار	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة	سنة	١٤١٦ هـ
٢٣	البيان في عد آي القرآن	أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني تحقيق: غانم قدوري الحمد	مركز المخطوطات والتراث	الأولى	١٤١٤ هـ
٢٤	تاج العروس من جواهر القاموس	أبو الفيض محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين	دار الهداية	بدون	بدون تاريخ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٢٥	التاريخ الكبير	أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري	دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد	بدون	بدون تاريخ
٢٦	التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	الدار التونسية للنشر تونس	سنة	١٩٨٤م
٢٧	تفسير الثوري	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤٠٣هـ
٢٨	التفسير الحديث	محمد عزة دروزة	دار إحياء الكتب العربية بيروت	سنة	١٣٨٣هـ
٢٩	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)	محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني	الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة	سنة	١٩٩٠م
٣٠	تفسير القرآن العزيز	محمد بن عبد الله المري المعروف بابن أبي زَمِين تحقيق: حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى	الفاروق الحديثة القاهرة	الأولى	١٤٢٣هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٣١	تفسير القرآن العظيم	إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي تحقيق: محمد حسين شمس الدين	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٩ هـ
٣٢	تفسير القرآن العظيم	عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم تحقيق: أسعد محمد الطيب	مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة	سنة	١٤١٩ هـ
٣٣	التفسير القرآني للقرآن	عبد الكريم يونس الخطيب	دار الفكر العربي القاهرة	بدون	بدون تاريخ
٣٤	تفسير المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة	الأولى	١٣٦٥ هـ
٣٥	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج	د وهبة بن مصطفى الزحيلي	دار الفكر المعاصر دمشق	الثانية	١٤١٨ هـ
٣٦	التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم	إعداد نخبة من علماء التفسير إشراف: أ.د. مصطفى مسلم	جامعة الشارقة	سنة	١٤٣١ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٣٧	التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه	أحمد عبد الله الزهراني	الجامعة الإسلامية المدينة المنورة	سنة	١٤١٠ هـ
٣٨	التفسير الواضح	لمحمد محمود الحجازي	دار الجيل الجديد بيروت	سنة	١٤١٣ هـ
٣٩	التفسير الوسيط للقرآن الكريم	محمد سيد طنطاوي	دار نهضة مصر القاهرة	الأولى	١٩٩٧ م
٤٠	التفسير بالمأثور لسورة السجدة، مع بيان الوحدة الموضوعية للسورة "أطروحة ماجستير"	محمد كمال شعبان أبو حسين	جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية طنطا	سنة	١٤١٨ هـ
٤١	تفسير عبد الرزاق الصنعاني	عبد الرزاق بن همام ابن نافع الصنعاني تحقيق: محمود محمد عبده	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٩ هـ
٤٢	تفسير مجاهد	أبو الحجاج مجاهد ابن جبر المكي تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل	دار الفكر الإسلامي الحديثة القاهرة	سنة	١٤١٠ هـ
٤٣	تفسير مقاتل	مقاتل بن سليمان تحقيق: عبد الله محمود شحاته	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	١٤٢٣ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٤٤	تفسير يحيى بن سلام	يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري تحقيق: هند شلي	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤٢٥ هـ
٤٥	تقريب التهذيب	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: محمد عوامة	دار الرشيد دمشق	الأولى	١٤٠٦ هـ
٤٦	تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري الهروي تحقيق: محمد عوض مرعب	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	٢٠٠١ م
٤٧	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي	مؤسسة الرسالة بيروت	الأولى	١٤٢٠ هـ
٤٨	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر	مؤسسة الرسالة بيروت	الأولى	١٤٢٠ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٤٩	الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل	محمد بن عيسى بن سورة الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي القاهرة	الثانية	١٣٩٥ هـ
٥٠	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري	محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر	دار طوق النجاة بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ
٥١	الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش	دار الكتب المصرية القاهرة	الثانية	١٣٨٤ هـ
٥٢	جمال القراء وكمال الإقراء	علي بن محمد السنخاوي تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة	دار المأمون للتراث دمشق	الأولى	١٤١٨ هـ
٥٣	جمهرة اللغة	محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي	دار العلم للملايين بيروت	الأولى	١٩٨٧ م

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٥٤	حاشية السيوطي على سنن النسائي	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	مكتب المطبوعات الإسلامية حلب	الثانية	١٤١٤ هـ
٥٥	حجة القراءات	عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة تحقيق: سعيد الأفغاني	دار الرسالة	بدون	بدون تاريخ
٥٦	الحجة في القراءات السبع	الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم	دار الشروق بيروت	الرابعة	١٤٠١ هـ
٥٧	ديوان النابغة الذبياني	تحقيق: كرم البستاني	دار صادر بيروت	سنة	١٣٨٣ هـ
٥٨	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ
٥٩	زاد المسير في علم التفسير	عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي تحقيق: عبد الرزاق المهدي	دار الكتاب العربي بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
	السبعة في القراءات	أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي المعروف بابن مجاهد تحقيق: شوقي ضيف	دار المعارف القاهرة	الثانية	١٤٠٠ هـ
٦٠	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض	الأولى	١٤١٥ هـ
٦١	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض	الأولى	١٤١٢ هـ
٦٢	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد	المكتبة العصرية بيروت	بدون	بدون تاريخ
٦٣	سنن الدارمي	عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي تحقيق: حسين سليم الداراني	دار المغني المملكة العربية السعودية	الأولى	١٤١٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٦٤	السنن الكبرى	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي	مؤسسة الرسالة بيروت	الأولى	١٤٢١ هـ
٦٥	سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق مجموعة من المحققين إشراف الشيخ: شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت	الثالثة	١٤٠٥ هـ
٦٦	شذرات الذهب في أخبار من ذهب	عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي تحقيق: محمود الأرنؤوط	دار ابن كثير دمشق	الأولى	١٤٠٦ هـ
٦٧	الشعر والشعراء	لأبي محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق	دار الحديث القاهرة	سنة	١٤٢٣ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٦٨	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية	إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار	دار العلم للملايين بيروت	الرابعة	١٤٠٧ هـ
٦٩	صحيح أبي داود	محمد ناصر الدين الألباني	مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت	سنة	١٤٢٣ هـ
٧٠	صحيح الترغيب والترهيب	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف الرياض	الطبعة الخامسة	بدون تاريخ
٧١	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء الكتب العربية بيروت	سنة	١٣٧٤ هـ
٧٢	صحيح وضعيف سنن الترمذي	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف الرياض	سنة	١٤٢٠ هـ
٧٣	صفوة التفاسير	محمد علي الصابوني	دار الصابوني للنشر والتوزيع القاهرة	الأولى	١٤١٧ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٧٤	طبقات الشافعية	أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الشهبي المعروف بابن قاضي شهبة تحقيق: الحافظ عبد العليم خان	عالم الكتب بيروت	الأولى	١٤٠٧ هـ
٧٥	الطبقات الكبرى	محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٠ هـ
٧٦	طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر	دار المدني جدة	سنة	١٩٩٤ م
٧٧	العظمة	عبد الله بن محمد ابن جعفر الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق: رضاء الله بن محمد ابن إدريس المباركفوري	دار العاصمة الرياض	الأولى	١٤٠٨ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٧٨	عون المعبود شرح سنن أبي داود	محمد أشرف بن أمير بن علي الصديقي العظيم آبادي	دار الكتب العلمية بيروت	الثانية	١٤١٥ هـ
٧٩	غاية النهاية في طبقات القراء	محمد بن محمد بن يوسف الجزري	مكتبة ابن تيمية القاهرة	سنة	١٣٥١ هـ
٨٠	غرائب التفسير وعمائب التأويل	محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بتاج القراء	دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة	بدون	بدون تاريخ
٨١	غرائب القرآن ورجائب الفرقان	الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٦ هـ
٨٢	غريب القرآن	عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري تحقيق: السيد أحمد صقر	دار الكتب العلمية بيروت	سنة	١٣٩٨ هـ
٨٣	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني	دار ابن كثير	الأولى	١٤١٤ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٨٤	الفرائد الحسان في عد آي القرآن	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	مكتبة الدار المدينة المنورة	الأولى	١٤٠٤ هـ
٨٥	فضائل الصحابة	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تحقيق: وصي الله محمد عباس	مؤسسة الرسالة بيروت	الأولى	١٤٠٣ هـ
٨٦	فضائل القرآن	أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي تحقيق: مروان عطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين	دار ابن كثير دمشق	الأولى	١٤١٥ هـ
٨٧	فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة	محمد بن أيوب بن يحيى الرازي المعروف بابن الضريس تحقيق: غزوة بدير	دار الفكر دمشق	الأولى	١٤٠٨ هـ
٨٨	في ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق بيروت	السابعة عشرة	١٤١٢ هـ
٨٩	قيام الليل	محمد بن نصر بن الحجاج المروزي	حديث أكاديمي فيصل آباد باكستان	الأولى	١٤٠٨ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٩٠	الكامل في ضعفاء الرجال	عبد الله بن عدي ابن عبد الله الجرجاني تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٨ هـ
٩١	الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي المعروف بابن أبي شيبة تحقيق: كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض	الأولى	١٤٠٩ هـ
٩٢	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد الزحشري	دار الكتاب العربي بيروت	الثالثة	١٤٠٧ هـ
٩٣	الكشف والبيان عن تفسير القرآن	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق: أبو محمد ابن عاشور	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
٩٤	الكليات	أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري	مؤسسة الرسالة بيروت	بدون	بدون تاريخ
٩٥	الكنى والأسماء	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: عبد الرحيم محمد القشيري	عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة	الأولى	١٤٠٤ هـ
٩٦	لباب التأويل في معاني التنزيل	علي بن محمد بن إبراهيم الشحي المعروف بالخازن تحقيق: محمد علي شاهين	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ
٩٧	لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي	دار صادر بيروت	الثالثة	١٤١٤ هـ
٩٨	مباحث في التفسير الموضوعي	أ.د مصطفى مسلم	دار القلم دمشق	سنة	١٤٣٠ هـ
٩٩	مباحث في علوم القرآن	صبحي الصالح	دار العلم للملايين بيروت	الرابعة والعشرون	٢٠٠٠ م

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٠	مجاز القرآن	أبو عبيدة معمر ابن المثني التيمي البصري تحقيق: محمد فواد سركين	مكتبة الخانجي القاهرة	سنة	١٣٨١ هـ
١٠١	المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين	أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي تحقيق: محمود إبراهيم زايد	دار الوعي حلب	الأولى	١٣٩٦ هـ
١٠٢	مجمع البيان في تفسير القرآن	الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي تحقيق: لجنة من العلماء المتخصصين	مؤسسة الأعلمي بيروت	سنة	١٤١٥ هـ
١٠٣	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي تحقيق: حسام الدين القدسسي	مكتبة القدسسي القاهرة	سنة	١٤١٤ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٤	محاسن التأويل	محمد جمال الدين ابن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٨ هـ
١٠٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن الأندلسي المعروف بابن عطية تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ
١٠٦	المحكم والمحيط الأعظم	علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي تحقيق: عبد الحميد هنداوي	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤٢١ هـ
١٠٧	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي تحقيق: يوسف الشيخ محمد	المكتبة العصرية بيروت	الخامسة	١٤٢٠ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٨	المستدرک علی الصحيحين	محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه النيسابوري الحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١١هـ
١٠٩	مسند إسحاق بن راهويه	إسحاق بن إبراهيم ابن مخلد المروزي المعروف بابن راهويه تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي	دار الإيمان المدينة المنورة	الأولى	١٤١٢هـ
١١٠	مسند الإمام أحمد	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون إشراف: د. عبد الله التركي	مؤسسة الرسالة بيروت	سنة	١٤٢١هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١١١	مسند البحر الزخار	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبنار تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد وصبري عبد الخالق	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة	سنة	٢٠٠٩ م
١١٢	مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى"	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي	مكتبة المعارف الرياض	الأولى	١٤٠٨ هـ
١١٣	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير	أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي	المكتبة العلمية بيروت	بدون	بدون تاريخ
١١٤	مصنف عبد الرزاق الصنعاني	عبد الرزاق بن همام ابن نافع الصنعاني تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي	المكتب الإسلامي بيروت	الثانية	١٤٠٣ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١١٥	معالم التنزيل في تفسير القرآن	لأبي محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء تحقيق: عبد الرزاق المهدي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	١٤٢٠هـ
١١٦	معاني القراءات	محمد بن أحمد الأزهري الهروي	مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود الرياض	الأولى	١٤١٢هـ
١١٧	معاني القرآن	يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي الفراء تحقيق: أحمد يوسف النجاشي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي	دار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة	الأولى	بدون تاريخ
١١٨	معاني القرآن وإعرابه	أبو إسحاق إبراهيم ابن السري بن سهل الزجاج	عالم الكتب بيروت	الأولى	١٤٠٨هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١١٩	المعجم الأوسط	سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني	دار الحرمين القاهرة	بدون	بدون تاريخ
١٢٠	المعجم الكبير	سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي	مكتبة ابن تيمية القاهرة	بدون	بدون تاريخ
١٢١	المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة	دار الدعوة	بدون	بدون تاريخ
١٢٢	معجم مقاييس اللغة	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني تحقيق: عبد السلام محمد هارون	دار الفكر بيروت	سنة	١٣٩٩ هـ
١٢٣	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٧ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٢٤	المعرفة والتاريخ	يعقوب بن سفيان ابن جوان الفسوي تحقيق: أكرم ضياء العمري	مؤسسة الرسالة بيروت	الثانية	١٤٠١ هـ
١٢٥	مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)	محمد بن عمر بن الحسين المعروف بالفخر الرازي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الثالثة	١٤٢٠ هـ
١٢٦	المفردات في غريب القرآن	الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي	دار القلم دمشق	الأولى	١٤١٢ هـ
١٢٧	مقدمة في أصول التفسير	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني	دار مكتبة الحياة بيروت	سنة	١٤٠٠ هـ
١٢٨	مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها	محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي تحقيق: أيمن عبد الجبار البحيري	دار الآفاق العربية القاهرة	الأولى	١٤١٩ هـ
١٢٩	مناهل العرفان في علوم القرآن	محمد عبد العظيم الزرقاني	مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة	الثالثة	بدون تاريخ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٣٠	الموافقات	إبراهيم بن موسى ابن محمد اللخمي الغزناطي الشهير بالشاطبي تحقيق: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان	دار ابن عفان القاهرة	الأولى	١٤١٧ هـ
١٣١	الموسوعة القرآنية خصائص السور	جعفر شرف الدين تحقيق: عبد العزيز عثمان التويجري	دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت	الأولى	١٤٢٠ هـ
١٣٢	الناسخ والمنسوخ	أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس تحقيق: محمد عبد السلام محمد	مكتبة الفلاح الكويت	الأولى	١٤٠٨ هـ
١٣٣	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي	دار الكتاب الإسلامي القاهرة	بدون	بدون تاريخ
١٣٤	نفائس البيان شرح الفرائد الحسان	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	مكتبة الدار المدينة المنورة	سنة	١٤٠٤ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف والمحقق	دار النشر	الطبعة	العام
١٣٥	النكت والعيون	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم	دار الكتب العلمية بيروت	بدون	بدون تاريخ
١٣٦	هداية القاري إلى تجويد كلام الباري	عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري	مكتبة طيبة المدينة المنورة	الثانية	بدون
١٣٧	الوحدة القرآنية	لمحمد محمود خوجة	دار كنوز إشبيليا الرياض	سنة	١٤٣١ هـ
١٣٨	الوسيط في تفسير القرآن المجيد	علي بن أحمد الواحدي النيسابوري تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ
١٣٩	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي المعروف بابن خلكان تحقيق: إحسان عباس	دار صادر بيروت	الأولى	١٩٩٤ م
١٤٠	موقع ملتقى أهل التفسير	http://vb.tafsir.net/			

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٥	شكر وتقدير
٦	المقدمة
١٠	أولاً: أهمية الموضوع
١١	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
١٢	ثالثاً: أهداف البحث
١٣	رابعاً: الدراسات السابقة
١٨	خامساً: منهج البحث
٢٠	سادساً: خطة البحث
٢٣	الباب الأول: التناسق الموضوعي: مقدمات تعريفية
٢٤	التمهيد:
٢٦	تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحاً
٢٦	أولاً: معنى التناسق لغةً واصطلاحاً
٢٩	ثانياً: معنى الموضوعي لغةً واصطلاحاً
٣٠	ثالثاً: معنى السورة لغةً واصطلاحاً
٣٢	رابعاً: معنى التناسق الموضوعي في السورة
٣٤	الفصل الأول: اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها
٣٦	المبحث الأول: اسم السورة الكريمة وما اشتهر من أسمائها

الصفحة	الموضوع
٣٧	المطلب الأول: اسم السورة الكريمة
٣٨	المطلب الثاني: الأسماء المشتهرة للسورة الكريمة
٤٥	المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة من أحاديث وآثار
٥١	المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك
٥٦	المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة الكريمة
٦١	الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها واختصاصها بما اختصت به
٦٣	المبحث الأول: المكي والمدني في السورة
٧٤	المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها
٧٥	المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها
٧٥	المطلب الثاني: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها
٧٦	المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها
٧٧	المطلب الرابع: المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها
٧٧	المطلب الخامس: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما بعدها
٧٨	المطلب السادس: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها
٧٩	المبحث الثالث: اختصاص السورة بما اختصت به
٨٣	الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها
٨٥	المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة
٩٠	المبحث الثاني: مقاصد السورة
٩٣	الباب الثاني: التناسق الموضوعي في سورة السجدة (دراسة تطبيقية)
٩٤	الفصل الأول: مناسبات السور الكريمة
٩٦	المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعها الكلي
٩٩	المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها
١٠١	المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها
١٠٣	الفصل الثاني: موضوعات سورة السجدة وتناسقها

الصفحة	الموضوع
١٠٥	مدخل
١٠٧	المبحث الأول: القرآن حق منزل من عند الله، ويشمل الآيتين: (٢، ١)
١٠٩	المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٣-١١)
١١٠	مدخل
١١٢	المطلب الأول: إثبات صدق رسالة محمد ﷺ
١١٣	المطلب الثاني: إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان
١١٥	المطلب الثالث: إثبات عقيدة البعث والجزاء، ومصير المنكرين لها
١١٧	المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين، ويشمل الآيات: (١٢-٢٢)
١١٨	مدخل
١٢٠	المطلب الأول: صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم
١٢١	المطلب الثاني: المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم ومآل الفريقين
١٢٣	المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة-التوحيد-البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٢٣-٣٠)
١٢٤	مدخل
١٢٦	المطلب الأول: التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ
١٢٨	المطلب الثاني: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد
١٢٩	المطلب الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بعقيدة البعث والجزاء
١٣١	الفصل الثالث: تفسير السورة على ضوء تناسقها الموضوعي

الصفحة	الموضوع
٢٠٠	الخاتمة
٢٠٣	الفهارس
٢٠٥	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢١٢	فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٢١٥	فهرس الأعلام
٢١٨	فهرس المصادر والمراجع
٢٤٥	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ